محاضرات في

النصرانية

بحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى
وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم

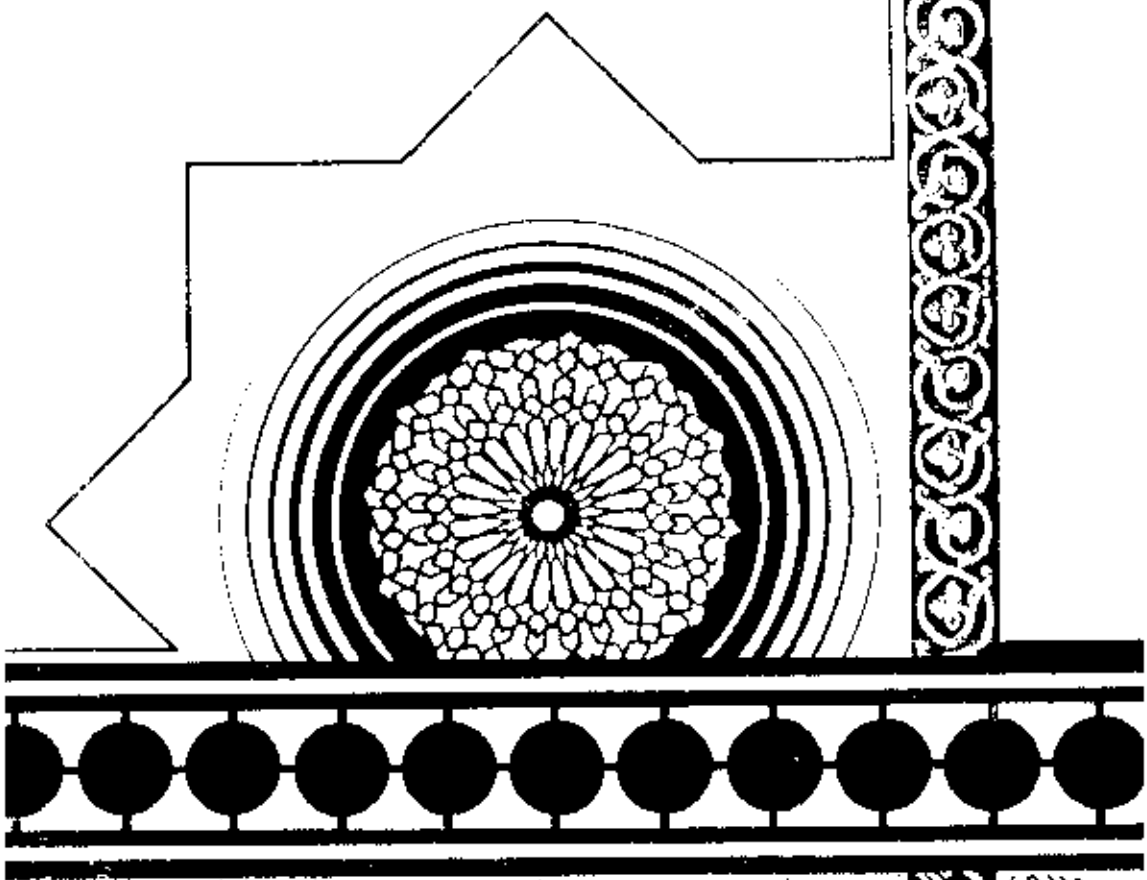

الأستاذ محمد أبو زهرة

دار الفكر العربي

اهداءات ٢٠٠٣

الدكتور/ حافظ يوسف

الإسكندرية

الإمام محمد أبو زهرة

إهداء من دكتور
حافظ يوسف

محاضرات في النصرانية

تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى
وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع جواد حسني - القاهرة
ص.ب ١٣ ت ٧٦٠٥٢٣ - ٧٥٠١٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحيـــة الطبعـــة الثالثـــة

الحمد لله رب العالمين ، الذى بعث رسله ليكونوا حجة على الناس يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، والصلاة والســـلام على النبى الأمى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبى الرحمة الذى بعث على فترة من الرســـل ، بعد أن ضلت الأفهام ، وحرفت الحقائق وســـيطرت الاوهام ، وعلى آله واصحابه الذين كانوا كالنجوم بين العالمين .

اما بعد .. فهذه محاضراتى فى النصرانية اعيد طبعها ، بعـــد ان الح الكثيرون فى طلب الاعادة ، اذ تعذر على مريدى قراءتها الحصول عليها ، حتى انها عندما قررت دراستها على طلبة معهد الدراسات الاسلامية لم يجد الدارسون بما يراجعون فيه ، فلم يكن بد من أن يعيد المعهد طبعها ليعين الدارسين ، ولينشر تلك الحقائق ، من غير تحجم على متدين ، ولا مضايقة لغير مسلم ، لأن البحث الذى يتبع فيه المنهاج العلمى السليم ، لا يصح أن تضيق به الصدور ، ولا أن تنزوى عنه العقول . واذا كانت فيـــه ثغرات يراها النقد المنطقى المستقيم ، ويعالجها البحث العلمى القويم من غير عوج فى القول ، ولا التواء فى القصد .

لقد كتبنا تلك المحـــاضرات بروح المحقق الذى يجمـــع الحقـــائق ، ويعرضها ، وقد تماسك بعضها ببعض ، ليتكون من ذلك مجموعة علميـــة تؤدى ولا تضل . وما كنا نجهد التاريخ لنسيره ، ولكنا خضعنا له ، وهو الذى كان يسيرنا .. وكنا فى ذلك كالقاضى العادل خضع للبينات التى تكون بين يديه ، وهى التى تحكم فى الحكم الذى نسجله . لا نغير ولا نبدل ، ولا ننحرف بها عن النتائج التى تؤدى اليها مقدماتها . فنسير حيث يسير بنا الدليل من غير انحراف ولا تجريف .

وما كانت البينات التى بين أيدينا من مصادر إسلامية ، او من اعداء المسيحية ، بل كانت من كتاب المسيحيين أنفســـهم التى ســـجلوها فى

تاريخها ، كتبها المتقدمون ، ورددها المتأخرون ، فهى شهادات من أهلها استقطفناها ، فنطقت ، واستهديناها ، فهدت ، واسترشدنا بها فارشدت، وما ضنت .

واذا كان من اخواننا وعشرائنا من تململ من محاضراتنا ، او تبرم من مخالفتنا لما يؤمن به ، فانا — علم الله — ماقصدنا بكلامنا احراجا ولا ايلاما، انما امانة العلم هى التى جعلتنا لا نقدم لتلاميذنا الذين نلقاهم ، والذين لا نلقاهم بالخطاب ، بل نلقاهم بالكتاب ، الا ما نعتقد أنه الحق الناصع ، وقد وجه الينا نقد من بعض المخلصين من اخواننا المسيحيين فى مقالات متتابعة نشرتها احدى المجلات المسيحية ، فما ضاقت صدورنا ، بل ذهبنا الى الناقد فى داره ، وطلبنا اليه ان يطلعنا على كل الأعداد التى تشتمل على نقد لنا ، لنصحح خطأ وقعنا فيه ، او لنبدل حكما ما انصفنا فيه ، عملا بقوله تعالى : « **ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون** » .

وانا لنحسب انه ليس من بين اخواننا اقباط مصر من ظلموا ، فما كان لنا الا ان نتقبل النقد بقبول حسن ، ونتبعه فى كل ما وجه الينا مستطيبين ذلك ، حتى ما كان منه تهجم علينا . فان المخلص يستمع ، ولو كان فى كلام مخالفه هجوم ، او تهجم بغير الحق .

وما وجدنا فى النقد ما يغير حكما ، ولقد ارسل الينا بعض ابنائنا المسيحيين رسائل نقد قدرناها ، فقرأناها ، وكان كتابها يخرجون عن حد النقد أو الدفاع الى ما لا يحسن من قول ، فما ضاقت صدورنا ، وحاولنا أن ننتفع منها ، ولكنا ما وجدنا فيها ايضا ما يبرر لنا تغيير حكم حكمنا به ، والى هؤلاء واولئك نعتذر .

ولا يصح أن يتبرم احد من اخواننا وابنائنا من كلام نسوقه لطلابنا ، معتقدين انه الحق الذى لا ريب فيه ، فلو كان اهل كل دين تضيق صدورهم بالبحث والدرس ، لكان حقا علينا معشر المشتغلين بالدراسات الاسلامية أن نذهب نفوسنا حسرات مما يكتبه بعض علماء أوروبا عن الاسلام ، يفترون على حقائقه ولا يدرسونه دراسة موضوعية ، بل يدرسونه دراسة

داعية محرفين الكلم عن مواضعه ، ومع ذلك ندرس كلامهم ، ونتتبع الصواب منه في موضعه ، ونتتبع الباطل في بطلان يستحق ، ناخذهم الى المنطق ولا ننحرف معهم عن قصد السبيل .

واخيرا نقول لاخواننا اننا نؤمن بالمسيح عليه السلام ، ونؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر النبيين « **قولوا آمنا بالله ، وما انزل الينا ، وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون** » .

محمد ابو زهرة

٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٨١

١٩ من مارس سنة ١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية الطبعة الثانية

الحمد لله الذى خلق فقدر ، وخلق آدم من طين ، وعيسى ابن مريم من غير اب ليكون حجة على العالمين . فيثبت ان الخلق بالارادة لا بالعلية ، فتبارك الله احسن الخالقين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر النبيين ، المبعوثين رحمة للناس أجمعين .

أما بعد ، فقد جاء فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال :

ثلاثة لهم أجران : « رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ، والعبد المملوك اذا أدى حق الله وحق مواليه . ورجل كانت عنده امة فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم اعتقها فتزوجها فله اجران» .

ويقبس من هذا الروح السمح كتبنا كتاب محاضرات فى النصرانية ، نرجو به مع احقاق الحق الهداية ، لا نهاجم اعتقادا ، ولا نبطل عقيدة ، بل ننير السبيل ونضع المصباح أمام الجادة فيسلكها من يريد الرشاد ، ومن يرجو السداد ، ولكننا فى عصر فهم الناس فيه الدين منزعا جنسيا ، ولم يفهموه حقا اعتقاديا ، ولا تهذيبا نفسيا ، ولا خلاصا روحيا ، فكان ذلك حاجزا دون أن تصل الهداية إلى القلوب ، وأن تشرق النفوس بنور الحق .

وقد كان الناس فى الماضى يوجد من بينهم من يقول « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » أما الآن فالناس جميعا غلقوا على أنفسهم باب النور باعتبارهم الدين جنسا ، والاستمساك به من القومية أو ما يشابهها ، فيكون العار على من خالف ، وان كانوا يعلمون أن فيما يعتقدون ما ليس بمفهوم .

وبسبب هذه النزعة الجنسية فى التدين ظهر نقد لكتابى هذا من بعض بنى وطنى غير المسلمين ، وكنت (علم الله) مستريحا لظهوره ، فجمعت

النقد ، وشكرت الناقد ، وتغاضيت عن عبارات نالني بها ، لأنها من غلتات القلم ، ولقد اخذت ادرس ذلك النقد حرفا حرفا ، لأصحح به خطأ جرى في الكتاب ، أو سوء تفسير فسرناه ، أو تخريجا بعيدا عن المعنى خرجناه.

ولكني وجدت النقد خاليا من ذلك في جملته ، بل هو مهاجمة لمقصد الكتاب ، يلمز اعتبار الدين جنسا ، ويدفعه التعصب الشديد ، ويحاول توهين المكتوب ، حتى انه في سبيل ذلك يعتبر الكلام المقيد بوصف متناقضا ، والمعلق على شرط متضاربا ، لأن صدر الكلام غير الوصف ، ومقدم القضية الشرطية غير تاليها . وان كان في النقد ما يفيد انه اثبت ان بعض اخواننا تألم من عبارات جاءت في كتابنا . فغيرناها ان لم يكن في التغيير ما يمس الجوهر ، ويفسد المعنى .

وقد كنا بسبب التألم نحجم عن اعادة طبع الكتاب ، مع الالحاف من الكثيرين وبعضهم من اخواننا المسيحيين ، واحجمنا عن ذلك نحو ست سنوات ، ولكن اشتد الطلب من البلاد الشرقية والمصرية ، وزكوا الطلب بانه لا يليق أن تحول الاعتبارات النفسية دون ظهور ثمرات الفكر ، وان عند اخواننا من سعة الصدر ما يتسع لذلك . وخصوصا أن الكتاب معروف في أمريكا واوربا والهند . فقد ترجم الى الانجليزية . ولخصته بعض المجلات الأمريكية تلخيصا كاملا ، وترجم الى الفرنسية والاردية .

فاذا كانت هذه الأمم المسيحية تطوع بعض المسيحيين فيها بترجمته تسجيلا للآثار العلمية . وان خالفوها — فانه من نقص الحرية الفكرية في مصر ان يضيق صدر بعض أبنائها حرجا باعادة طبع كتاب سجله المسيحيون في لغاتهم .

لهذا أقدمت على اعادة طبع الكتاب بعد طول الاحجام ، راجيا من المولى جلت قدرته الهداية والتوفيق والسداد ، انه نعم المولى ونعم النصير .

محمد ابو زهرة

٩ من رجب المحرم سنة ١٣٦٨
الموافق ٤ من مايو سنة ١٩٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحيـــة الطبعـــة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى ، وعلى آله وصحبه وسلم ، اشهد أن لا اله الا الله ، وحـده لا شريك له ، واشـــهد أن محمـــداً عبده ورســـوله ، وأن عيسى ابن مريم من النبيين الصديقين ، ومن عباد الله الصالحين واولى العزم من الرسـل .

اما بعد . فقد عهـد الى تدريس تاريخ الديانات بقســم الدعوة والارشـــاد من كلية اصول الدين فالقيت محاضرات فى النصرانية ، هذه خلاصتها ، وتلك لبابها ، ولقد عنيت ببيانها فى أدوارها المختلفة متبعـا فى بيان المسيحية الحاضرة سلسلة اســـنادها المتصلة . فكان أول السلسلة مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ، وتنتهى بعصرنا الحاضر ، هذا مبدأ السند وهذا منتهاه ، فالسند اذن ينقطع بين المسيح عليه السلام ، والمجمع الاول من المجامع المقدسة ، وان انقطاع السند فى هذه الفترة الطويلة سببه الاضطهاد الذى لحق النصارى فيها ، حتى كانوا يستخفون ويتعبدون فى السر . فلا يعلنون دينهم الذى ارتضوا ، ويفرون به فرارا ان كشف أمرهم ، وقد ينطقون بكلمة الكفر يتقون بها حد السيف او نار العـذاب ، وقد اعترف بقطع السند مجادلوهم واختاروا ذلك السبب علة لهذا القطع.

وانا ازاء ذلك العجز او عدم توافر أسـباب العلم ابتدانا بحثنا فى دينهم بكتبهم التى الزم المسيحيون بها بعد قرار المجامع بالالزام ، ثم تتبعنا فى البحث سير المجامع . نسير فى مسارها ، ونتجه فى اتجاهاتها ، ولكنـا لا نكتفى بدراسة قرارات مجمع من المجـامع ، بل ندرس البواعث التى بعثته الى انعقاده ونفصل بعض التفصيل الخـلاف الذى سبقه ، والذى جاء المجمع لحسمه ، ثم انتهى الى تشعيبه وتوسيع زاويته .

وان عنايتنا بتفصيل البواعث التى أدت الى انعقاد المجمع الاول ، وبيان قراراته ، وكيف تلقى جمهور المسيحيين ، وخاصة رجال الدين تلك القرارات ، قد ازالت الستار عما اكتنه غياهب التاريخ فى الفترة التى

كانت بين المسيح وهذا المجمع ، بل ان تلك العناية جعلتنا نخترق حجب الظلام التاريخى لنصل الى ضوء نعشو اليه لنعرف حقيقة دعوة المسيح فى عصر الاستخفاء او عصر الاضطهاد ، ولقد ساعدنا على الاستضاءة بذلك الضوء موازنات تصدينا لها وازنا فيها بين المسيحية الحاضرة وفلسفة الرومان واليونان فى تلك الفترة ، وما حاولنا أن نفرض ما استنبطنا على القارىء أو نسبقه الى الاستنباط ، بل القينا اليه بالمقدمات ، وتركنا له استخراج نتائجها ، ليشاركنا فيما وصلنا اليه باقتناعه ، ولكيلا نملأ عقله ، وهو خال ، فينقص تقديره للدليل ويضعف وزنه للبرهان .

ولقد كانت عنايتنا متجهة الى بيان العقيدة ، فجلينا ادوارها ، وبينا ما قام حولها من مناقشات وخلافات . وبينا كل فرقة ومتبعاتها ، والمجمع الذى انبعثت من بعده . وما احصينا فرقهم عدا ، ولا فصلنا آراء كل فرقة تفصيلا ، بل عنينا بالفرق الكبرى ، وعنينا بتفصيل العقيدة دون سواها .

وعلم الله أنى لبست رداء الباحث المنصف ونظرت بالنظر غير المتحيز ، وتخليت عن كل شىء سواه ، لاصل الى الحق وصول المجتهد الحر ، لا المقلد التابع المأسور بسابق فكره ، والمأخوذ بسابق اعتقاده ، ولكنى انتهيت كما ابتدأت ، مؤمنا بالله الواحد الأحد ، الذى ليس له والد ولا ولد .

وانى لأهدى كتابى هذا الى كل مسيحى طالب للحقيقة يسير فى مسالكها لا أبغى به غلبا فى جدال ، ولا سبقا فى نزال ، ولكن أبغى به الحق المجرد « **يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** » .

محمد ابو زهرة

تمهيـــــد

١ ـ عسير على المرء ان يكتب فى رأى يخالف رأيه ، ويتحرى مع هذه المخالفة ان يصور الرأى ، كما يجول بخاطر صـــاحبه ، وينبعث فى نفسه ، فيبين دوافعه وغاياته ، واذا كان ذلك واضـــحا فى رأى مخالف لرأى ، فكيف تكون الحال اذا كانت المخالفة فى عقيدة تعتنق ، وتتغلغل فى اعماق النفس ، وتستكن فى اطوائها !! ان الطريق حينئذ يكون أوعث ، ومسالكه اضيق ، لذلك كان الطريق غير ممهد امام الباحث الذى يريد ان يكتب فى النصرانية كما يعتقد النصارى ، ويصورها امام القارىء كمـــا مجول بخاطر معتنقيها ، ويفرض من نفسه ناظرا غير متحيز ، يبين العقيدة كما هى فى نفس اصحابها ، لا كما ينبغى ان تكون ، او كما يعتقد هو ، لأن الباحث خلع نفسه مما تعتنق وتؤمن به . ويجردها تجردا تاما مما قد صار منها بمنزلة الملكات ، وخالط الاحساس والمشاعر ، واســـتولى على كل مسالك الآراء اليها ، وتصوير المسيحية كما يعتقد اصـــحابها ليس فقط عسيرا على الكاتب غير المسيحى ، بل انه عسير على الكتاب المســـيحيين انفسهم ، يستوى فى ذلك المختصون بالدراســـات الدينية وغير المختصين ، ولذلك يستعينون فى تصويرها ، وادنائها الى العقول بضرب الامثال . والتشبيهات الكثيرة ، لتانيس غريبهـــا بالقريب المألوف ، والمشـــاهد المحسوس ولادخالها فى العقل من الباب الذى يألفه ويعرفه . ما استطاعوا الى ذلك ســـبيلا .

٢ ـ ولكن البحث العلمى يتقاضى الباحث الحر المنصف ان يدرس المسيحية ان اراد ان يعلنها كما يعتقد اهلها مجردا من نزعاته السابقة على الدراســـة ، غير جاعل لعقيدته سلطانا على حكمه ، حتى لا تســـيره فى دراسته ، وتتحكم فى اتجاهاته ، لأن ذلك قد يدفعه لأن يتزيد على القوم ، والتزيد ليس من شيمة العلماء ، او يدفعه لأن يتناول كلامهم بغير ما يريدون ، وذلك لا يجعل العقل يدرك الأمور كما هى فى ذاتها ، بل يدركها كما انعكست فى نفسه ، وكما رسمت على قلبه ، وقد يباعد ذلك الأمر فى ذاته .

ولذلك سنحاول داعين الله — مبتهلين اليه أن يلهمنا التوفيق — دراسة المسيحية ، مجردين من أنفسنا ناظرا غير متحيز عليها ، لتصورها كما هى ، وكما يعتقد أهلها ، ولنتمكن من ان نكتبها بروح الانصاف ، ولقد نضطر فى سبيل ذلك الانصاف ان ننقل عبارات كتبهم المقدسة عندهم وغير المقدسة من غير أن نتصرف بأى تصرف ، حتى ما يتعلق بالاعراب وأساليب البيان ، لكيلا يدفعنا التصرف فى التعبير الى تغيير الفكرة ، أو تحريف القول عن مواضعه . وسنجتهد ما استطعنا فى تصوير تفكيرهم بضرب الأمثال ، ان لم نجد بدا من ذلك .

ولكن مع عنايتنا الشديدة بتفهم ما عند القوم ، وتعرف غاياته ومراميه لا نترك النقد العلمى النزيه ، الذى يستمد توانينه من بدائه العقول واحكام المنطق ، وخصوصا ما يتعلق بكتبهم ، لأنه اذا كان الانصاف قد يطالبنا بألا نتزيد على ما عندهم ، أو نحرفه عن مراده ومرماه ، فالانصاف ايضا يطالبنا بألا نهمل العقل ، والا خرج بحثنا عن معناه العلمى التاريخى ، وصار بحثا لاهوتيا صرفا ، وذلك ما لا نريد ، فلا يصح أن يدفعنا حرصنا على انصافهم الى ظلم العلم والحق والعقل .

المسيحية : كما جاء بهـا المسيح عليه السلام

المســـيحية فى القـرآن :

٣ ـ قبل ان نخوض فى المسيحية كما هى عند المســيحيين نتكلم فى المسيحية التى جاء بها المسيح عليه السلام ، وانا اذا تصدينا للمســيحية التى جاء بها المسيح نجد التاريخ لا يسعفنا بها ، اذ بعد العهد ، واضطربت روايات التاريخ بالأحداث التى نزلت بالمسيحيين ، ويجوز أن تكون قد عملت يد المحو والاثبات عملها ، حتى اختلط الحابل بالنابل . وصار من العسير ان نميز الطيب من الخبيث ، والحق من البـاطل ، والصـحيح من غير الصحيح ، واننا معشر المسلمين لا نعرف مصدرا صحيحا جديرا بالاعتماد والثقة من المسلم غير القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، فهمـا المصدران المعتمدان للمسلم فى هذا ، وما نكتب هذا لنلزم به المسيحيين ، ولا على انه هو المعتبر عندهم ، ولكن نكتبـه ، ليتسـق البحث ، ولتتم السلسلة .

ينص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هى التوحيـد الكامل ، التوحيد بكل شعبه ، التوحيد فى العبادة ، فلا يعبد الا الله ، والتوحيد فى التكوين ، فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له ، والتوحيد فى الذات والصفات فليست ذاته بمركبة ، وهى منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى . فالقرآن الكريم يثبت أن عيسى ما دعا الا الى التوحيد الكامل ، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة من مجـاوبة بينه وبين ربه : « **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ، قال سـبحانك ما يكون لى أن أقول مالـيس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما فى نفسى ، ولا اعلم ما فى نفسـك ، انك انت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتنى به ، ان اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شـهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شىء شهيد** » .

فهذا نص يفيد بصريحه ان عيسى ما دعا الا الى التوحيـد ، فمـصير التوحيد اذن دخل النصرانية من بعده ، وما كان عيسى الا رسـولا لله رب العـالمين .

ولقد نزل على السيد المسيح عليه السلام كتاب هو الانجيل ، وهو مصدق للتوراة ، ومحيى لشريعتها ، ومؤيد للصحيح من احكامها ، وهو مبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحمد ، وهو مشتمل على هدى ونور وهو عظة للمتقين ، وانه كان على اهل الانجيل أن يحكموا بما أنزل فيه ، ولذلك قال الله تعالى : « **وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون** » .

دعوة المسيح :

٤ — ولقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على اساس انه لا توسط بين الخالق والمخلوق ، ولا توسط بين العابد والمعبود ، فالأحبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس ، بل كل مسيحى يتصل بالله فى عبادته بنفسه ، من غير حاجة الى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهما ، وليس شخص — مهما تكن منزلته او قداسته او تقواه — وسيطا بين العبد والرب فى عبادته ، وتعرف احكام شرعه مما أنزل الله على عيسى من كتاب ، وما أثر عنه من وصايا ، وما اقترنت به بعثته من أقوال ومواعظ .

ودعوة عيسى عليه السلام — كما ورد فى بعض الآثار ، وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين — تقوم على الزهادة والأخذ من اسباب الحياة بأقل قسط يكفى لأن تقوم عليه الحياة ، وكان يحث على الايمان باليوم الآخر ، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبنى الانسان فى الدنيا ، اذ الدنيا ليست الا طريقا غايته الآخرة ، وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية .

ولماذا كانت دعاية المسيح عليه السلام الى الزهادة فى الدنيا ، والابتعاد عن اسباب النزاع والعكوف على الحياة الروحية ؟ الجواب عن ذلك ان اليهود الذين جاء المسيح مبشرا بهذه الديانة بينهم كان يغلب عليهم النزعات المادية ، وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هى غاية بنى الانسان ، بل ان التوراة التى بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر ، ونعيمه او جحيمه ، ومن فرقهم من كان يعتقد أن عقاب الله الذى أوعد به العاصين ، وثوابه الذى وعد به المتقين ، انما زمانه فى الدنيا لا فى الآخرة ، وقد قال رينان الفيلسوف الفرنسى فى كتابه حياة المسيح : « الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية فى نفس هذا العالم ، فانه يؤخذ من أقوال

شيوخهم ان الصالحين يعيشون فى ذاكرة الله والناس الى الابد ، وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ، ويكونون معروفين عند الله : اما الاشرار فلا ، هذا كان جزاء اولئك ، وعقاب هؤلاء ، ويزيد الفريسيون على ذلك ان الصالحين ينشرون فى هذه الارض يوم القيامة ليشتركوا فى ملك المسيح الذى ياتى لينقذ الناس ، ويصبحوا ملوك العالم وقضاته ، وهكذا ينعمون بانتصارهم ، وانخذال الاشرار اعدائهم ، وعلى ذلك تكون مملكتهم فى هذا العالم نفسه ! ! هو مجاء المسيح عليه السلام مبشرا بالحياة الاخرة ، وانها الغاية السامية لهذا العالم بين اولئك الذين انكروها ، ومن لم ينكرها بقوله منهم انكرها بفعله ، فكانوا فى ذلك الانكار سواء .

مريم والمسيح فى القـــرآن الكريم :

٥ — واذا كانت شخصية المسيح هى اللب فى المسيحية الحاضرة ، واساس الاعتقاد فيها ، وجب ان نبينها كما جاءت فى القرآن ، كما سنبينها كما جاءت فى المسيحية ، ليستطيع القارىء ان يوازن بين الشخصيتين ، ويعرف ايهما اقرب الى التصور ، والعقل يتقبلها بقبول حسن ، ولنبدأ بامه .

يذكر القرآن الكريم مريم ام عيسى عليه السلام ، فيقص خبر الحمل بها وولادتها وتربيتها فى سورة آل عمران . فيقول تعالت كلماته : « **اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ، فتقبل منى انك انت السميع العليم ۞ فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالانثى ، وانى سميتها مريم ، وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ۞ فتقبلها ربها بقبول حسن ، وانبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** » .

هذه هى الاحوال التى اكتنفت الحمل بالبتول مريم ، وولادتها ، وتربيتها ، ويلاحظ القارىء ان العبادة والنسك اظلاها ، وهى جنين فى بطن امها الى ان بلغت مبلغ النساء ، واصطفاها الله لامر جليل خطير ، فامها وهى حامل بها نذرت ان يكون ما فى بطنها محررا خالصا لخدمة بيت الله

وسدانته ، والقيام بشئونه ، واستمرت محصنة على الوفاء بنذرها ، فلما وضعت ، وكان نذرها على غرض المذكورة ، كما يبدو من اشارات النصوص القرآنية ، جددت العزم على الوفاء بالنذر ، وقد وجدت ما تصوغه النفس للتحلل من النذر ، فكان ذلك الاصرار عبادة اخرى ، اذ وجدت فى النفس داعيات التردد ، والرجوع والتحلل من الوفاء فكان كفها هذه الداعيات والقضاء عليها عبادة اخرى ، ثم انصرفت الفتاة الناشئة منذ طراوة الصبا الى النسك والعبادة ، وقام على تنشئتها وهدايتها وتعليمها نبى من أنبياء الله الصديقين الصالحين ، فكفلها زكريا ، ووجهها الى العبادة الصحيحة ، وتنزيه القلب من كل ادران الشر والاثم ، وكان الله سبحانه وتعالى يدر عليها اخلاف الرزق من حيث لا تقدر ولا تحتسب ، ومن غير جهد ولا عنت ، حتى اثار ذلك عجب نبى الله كافلها فكان **« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »** .

٦ — ولقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التى تكونت فى ظلها بريئة من دنس الرذيلة — لا يجد الشيطان سبيلا او منفذا ينفذ الى النفس منها — تمهيدا لأمر جليل قد اصطفاها الله تعالى له دون العالمين ، ولذا خاطبتهما الملائكة وهى الارواح الطاهرة باجتباء الله لها : **« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴿ يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين »** . ولقد كان ذلك الاصطفاء هو اختيار الله لها لان تكون أما لمن يولد من غير نطفة آدمية ، وكان ذلك لكى تكون آية الله مشهورة ، تحمل فيما حف بها من احوال القرآن التى تقطع ريب المرتاب ، والسنة كل آفاك : وتقير المسبيل امام المؤمنين اذ أن ولادته من غير اب من أم كانت حياتها للنسك والعبادة . والعكوف على التقوى . وتحت ظل نبى من أنبياء الله تعالى لم تزن بريبة قط — يجعل المؤمن يؤمن بآية الله الكبرى فى هذا الكون ، ولا يجعل شيئا يقف أمام مريد الهداية من تظنن بالأم او ريبة فيها ، فحياتها كلها من قبل ومن بعد نفى هذه الريبة ، وتبعدها عن موطن الشبهة .

الحمل بالمسيح وولادته :

٧ — حملت العذراء البتول مريم بالسيد المسيح عليه السلام ، وهو الأمر الذى اجتباها الله له ، واختارها لاجله ، ولقد توجئت به ، اذ لم تكن به عليمة . فبينما هى قد انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ، ارسل الله اليها ملكا تمثل لها بشرا سويا « **قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ۞ قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ۞ قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا ۞ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا ۞ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ۞ فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا** » ، حملت السيدة مريم البتول بعيسى من غير أب ، ثم ولدته ، ولم تبين الآثار النبوية مدة الحمل . فلم يرد فى الصحاح آثار تبين تلك المدة ، ولو كانت مدة الحمل غريبة لذكرت ، فليس لنا اذن الا ان نفرض ان مدة الحمل كانت المدة الغالبة الشائعة بين الناس ، وهى مدة تسعة أشهر هلالية .

ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم ، سواء فى ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ، ومن لا يعرف ، لانها فاجأتهم بأمر غريب ، وهى المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل ، فكانت المفاجأة داعية الاتهام ، لانه عند المفاجأة تذهب الروية ، ولا يستطيع المرء أن يقابل بين الماضى والحاضر ، وخصوصا أن دليل الاتهام قائم ، وقرينته امر عادى لا مجال للريب فيه عادة ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة . فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من أصله ، ويأتى على قواعده ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذى لا يأتيه الريب ، ليعيد الى ذاكرتهم ما عرفوه فى نسكها وعبادتها ، ولذلك نطق الغلام ، وهو قريب عهد بالولادة ، اشارت اليه « **قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ۞ قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ۞ وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ۞ وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ۞ والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا** » .

٨ — نطق السيد المسيح فى المهد ، ليكون كلامه اعلانا صريحا ببراءة أمه وانه لم يكن الا عبد الله ، ولد من غير أب . ويروى ابن كثير : « من ابن

عباس ان عيسى ابن مريم امسك عن الكلام بعد ان كلمهم طفلا ، حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم انطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان ، فاكثر اليهود فيه، وفى أمه من القول ، وكانوا يسبونه ابن البغيـة ، وذلك قوله تعالى : « **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما** » ، ولم يذكر فى الآثار الصحاح عن النبى عليه الصلاة والسلام حال عيسى عليه السلام فى مرباه ونشاته ، وكيف كان منه مما يكون ارهاصا بنبوته ، فليس لنا الا ان نقول انه قد تربى بما كان يتربى به أمثاله الذين ينشئون على التقى والمعرفة فى بنى اسرائيل، ويغلب على الظن أن يكون قد ظهر منه وهو غلام ، ما يدل على روحانيته ، وما يدعو اليه بعد ذلك من حياة روحية ، وسط قوم سيطرت عليهم المادة ، وغلبت عليهم نزعاتهم ، والاتجاه اليها .

الحكمة فى كون المسيح ولد من غير اب :

٩ — لابد من ان نشير هنا قبل أن ننتقل الى بعثته عليه السلام الى السبب الذى من أجله ولد عيسى عليه السلام من غير اب . فانه لابد ان يكون ذلك لحكمة يعلمها الله جلت قدرته ، وقد اشار اليها سبحانه فى قوله تعالت كلماته : « **ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان امرا مقضيا** » .

وانا نتلمس تلك الآية الدالة فى ولادة عيسى عليه السلام من غير اب ، فنجد انه يبدو امام انظارنا امران جليان : احدهما . ان ولادة عيسى عليه السلام من غير اب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى ، وانه الفاعل المختار المريد ، وانه سبحانه لا يتقيد فى تكوينه للاشياء بقانون الأسباب والمسببات التى نرى العالم يسير عليها فى نظامه الذى ابدعه الله والذى خلقه ، فالأسباب الجارية لا تقيد ارادة الله ، لانه خالقها ، وهو مبدعها ومريدها ، فان الأشياء لم تصدر عن الله جلت قدرته ، كما يصدر الشىء عن علته ، والمسبب عن سببه ، من غير أن يكون للعلة ارادة فى معلولها ، بل كانت بفعله سبحانه وبارادته التى لا يقيدها شىء مهما يكن شأنه ، وخلق عيسى من غير اب هو بلا ريب اعلان لهذه الارادة الأزلية . بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية ، وفى عصر ساده نوع من الفلسفة ، اساسها ان خلق الكون كان من مصدره الاول ، كالعلة من معلولها ، فكان عيسى آية

الله على انه سبحانه لا يتقيد بالاسباب الكونية ، وان العالم كله بارادته ، ولم يكن سبحانه بمنزلة العلة من المعلول : « **تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا** » .

الامر الثانى : ان ولادة المسيح عليه السلام من غير أب اعلان لعالم الروح بين قوم انكروها ، حتى لقد زعموا أن الانسان جسم لا روح فيه ، وانه ليس الا تلك الاعضاء والعناصر التى يتكون منها ، فلقد قيل عن اليهود انهم كانوا لا يعرفون الانسان الا جسما عضويا ، ولا يقرون انه جسم وروح ، فقد قال رينان فى سبب الحقد الذى دخل فى النفس اليهودية : « لو كان الشعب الاسرائيلى يعرف التعاليم البرهانية التى كان من مقتضاها اعتبار الانسان عنصرين مستقلين : أحدهما الروح ، والآخر الجسد ، وانه تعذبت الروح فى هذه الحياة لانها ستستريح فى الحياة الثانية ، لسرى عنه شىء كثير من عذاب النفس ، واضطراب الفكر ، بسبب ذله وخضوعه ، مع ما كان يراه فى نفسه من الامتياز الادبى والدينى عن الشعوب التى كانت تذله » .

يقرر رينان فى هذا ان اليهود ما كانوا يقولون كاليونان أن الانسان جسم وروح ، ولقد يؤيد هذا ما جاء فى التوراة التى بأيديهم فى تفسير النفس بانها الدم ، فقد جاء فيها : « لا تأكلوا دم جسم ما ، لان نفس كل جسد هى دمه » ، اذن لم يكن اليهود يعرفون الروح على انها شىء غير الجسم. فلما جاء عيسى من غير أب . وكان ايجاده بروح من خلق الله ، كما قال تعالى « **والتى أحصنت فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين** » كان ذلك الايجاد الذى لم يكن العامل فيه سوى ملك من الأرواح نفخ فى جيب مريم ، فكان الانسان من غير بذرة الانسان وجرثومته . كان ذلك اعلانا لعالم الروح بين قوم انكروها ، ولم يعرفوها ، فكان هذا قارعة قرعت حسهم ليدركوا الروح ، وكان آية معلمة لمن لم يعرف الانسان الا انه جسم لا روح فيه ، وهذه آية الله فى عيسى وامه عليهما السلام .

بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته :

١ — بعث عيسى عليه السلام ، ولم يرد فى القرآن الكريم ، ولا فى الآثار الصحاح بيان السن التى بعث عند بلوغها عليه السلام . ولكن ورد فى بعض الآثار انه بعث فى سن الثلاثين ، وهى السن التى تذكر الاناجيل

المعتبرة عند النصارى انه بعث على رأسها ، ومصح لنا ان نفرض انه بعث في هذه السن على هذا الاساس .

بعث عيسى عليه السلام بشير بالروح ، وهجر الملاذ التي لم تزل النفوس في تلك الايام ، واستولت عليها ، وبشر بعالم الآخرة ، وايد الله بمعجزات ، وان ولادته نفسها معجزة ، كما جاء في الملل والنحل للشهرستاني ، فقد قال رحمه الله في ذلك : « كانت له آيات ظاهرة ، وبينات زاهرة ، مثل احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ، ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه ، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ، وتعلقه من غير تعليم سابق » .

ومعجزاته التي ذكرها القرآن الكريم تتلخص في خمسة أمور ، جاء ذكر اربعة منها في سورة المائدة في قوله تعالى : « **اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ، اذ ايدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني ، فتنفخ فيها ، فتكون طيرا باذني ، وتبرىء الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني** » .. الى قوله تعالت كلماته : « **اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين * قالوا نريد ان ناكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا ، وانت خير الرازقين * قال الله اني منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم ، فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين** » .

ويستبين من هذه الآيات الكريمة اربع معجزات :

الاولى : انه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا باذن الله ، اي ان الله سبحانه وتعالى خلق على يديه طيرا من الطين ، فالخالق هو الله سبحانه وتعالى . ولكن جرى الخلق على يد عيسى ، وينفخ من روحه عليه السلام باذن الله تعالى .

الثانية : احياؤه عليه السلام الموتى بإذن الله جلت قدرته ، والحقيقة في الحقيقة هو الله العلي القدير ، ولكن أجرى الاحياء على يد المسيح عليه السلام ؛ ليكون ذلك برهان نبوته ، ودليل رسالته .

الثالثة : ابراؤه عليه السلام الأكمه والأبرص ، وهما مرضان تعذر على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما ، والتمكن من اسبابه الشفاء منهما ، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما ، وبرىء المريضان برقيته ، فكان ذلك دليلا قائما على رسالته عليه السلام .

الرابعة : انزال المائدة من السماء بطلب الحواريين ، لتطمئن قلوبهم ، وليعلموا أن قد صدقتهم .

وهناك خامسة ذكرت في سورة آل عمران ، وهي انباؤه عليه السلام بامور غائبة عن حسه ، ولم يعاينها ، فقد كان ينبيء صحابته وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . وقد ذكر الله تعالى في قوله تعالى حاكيا عنه « **وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين** » .

الحكمة من كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع :

١١ — هذه معجزات عيسى عليه السلام ، وهنا يتساءل القارىء : لماذا كانت معجزاته عليه السلام من ذلك النوع ؟ يجيب عن ذلك ابن كثير في كتابه البداية والنهاية بقوله : « كانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب اهل ذلك الزمان تذكروا ان موسى عليه السلام كانت معجزاته مما يناسب اهل زمانه ؛ وكانوا سحرة اذكياء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار ، وخضعت لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهي اليه . وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذي لا يمكن صدوره الا ممن أيده الله ، واجرى الخارق على يديه تصديقا له اسلموا سراعا ، ولم يتلعثموا : وهكذا عيسى ابن مريم بعث في زمن طبائعية الحكماء ، فأرسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون اليها ، وانى لحكيم ابراء الأكمه الذي هو اسوا حالا من الأعمى والأبرص والمجذوم ومن به مرض مزمن ، وكيف يتوصل احد من الخلق الى ان يقيم الميت من قبره ، وغير هذا مما يعلم كل احد انه معجزة دالة على صدق من ثابت به ، وعلى قدرة من ارسله » .

وهكذا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم اجمعين بعث فى زمن الفصحاء البلغاء ، فانزل الله عليه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فلفظه معجزة تحدى به الانس والجن ان ياتوا بمثله او بعشر سور من مثله او بسورة ، وقطع عليهم بانهم لا يقدرون لا فى الحال ، ولا فى الاستقبال ، فلم يفعلوا ، ولن يفعلوا ، وما ذلك الا لانه كلام الخالق عز وجل ، والله لا يشبهه شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله .

ما نراه حكمة صحيحة :

١٢ — من هذا الكلام يستفاد ان معجزة المسيح كانت من نوع ابراء المرضى الذين يتعذر شفاؤهم واحياء الموتى ، لان القوم كانوا على علم بالطب الطبيعى وكانوا فلاسفة فى ذلك ، فجاءت المعجزة من جنس ما يعرفون ، ليكون عجزهم حجة عليهم ، وعلى غيرهم ممن هم دونهم فى الطب ، ولكن رينان الفيلسوف المؤرخ الفرنسى يقرر أن اليهود ماكانوا على علم بالطب الطبيعى فيقول : « كانت صناعة الطب فى الشرق فى ذلك الزمان كما هى اليوم ، فان اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التى وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ ، وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتاب لابقراط أبى الطب موضوعه العلة المقدسة يعنى الهستريا ، وفيه وصف هذه العلة ، وذكر دوائها ، الا ان اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب ، وكان فى اليهودية فى ذلك الزمان كثيرون من المجانين ، وربما كان ذلك ناشئا من شدة الحماسة الدينية .

فاليهود الذين بعث المسيح بين ظهرانيهم لم يكونوا على علم ان بالطب ، او الطب الطبيعى على رأى ذلك الفيلسوف المؤرخ .

وفى الحق ان الذى نراه تعليلا مستقيما لكون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لاهل زمانه ، لا لانهم اطباء ، فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والادواء ، بل لان اهل زمانه كان قد سادهم انكار الروح فى اقوال بعضهم ، وافعال جميعهم ، فجاء عليه السلام بمعجزة هى فى ذاتها امر خارق للعادة ،

مصدق لما نشر به الرسـول وهو فى الوقت ذاته اعلان صادق للروح ، وبرهان قاطع على وجودها ، فهذا طير مصور على شكل طير ، ثم ينفخ فيه فيكون حيا ، ما ذاك الا لان شيئا غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه ، فكانت معه الحياة ، وهذا ميت قد اكله البلى ، واخذت اشلاؤه فى التحلل ، واوشكت ان تصير رميما ، او صارت . يناديه المسـيح عليه السلام : فاذا هو حى يجيب نداء من ناداه ، وما ذاك الا لان روحا غير الجسم الذى غمره البلى حلت فيه بذلك النداء ، ففاضت عليه بالحيـاة ، وهكذا . فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته ، وتناسب اخص رسالته ، وهو الدعوة الى تربية الروح ، والايمان بالبعث والنشور ، وان هناك حياة اخرى يجازى فيها المحسن باحسانه والمسىء باساءته ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وهل ترى ان معجزة احياء الموتى تصح لمنكر الآخرة بالاستمرار فى انكاره او تصح لجاحد البعث والنشـور ان يستمر فى جحوده . وقد اسلفنا لك القول ان اليهود كان يسود تفكيرهم عدم الاعتراف بوجود الآخرة . وعدم الايمان باليوم الآخر . ان لم يكن بالقول فبالعمل . فكان احياء الموتى صـوتا قويا يحملهم على الايمان حملا . ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون .

تلقى اليهـود لدعوته :

١٣ — بعث عيسى عليه السلام بتلك البينات ، وايد رسالته بتلك المعجزات وانها باهرة تخرس الالسنة ، وتقطع الطريق على منكرى رسالته . لو كان الدليل وحده هو الذى يهدى النفوس الضالة ، والقلوب الشاردة ، ولكن القوم الذين بعث فيهم كانوا غلاظ الرقاب ، قساة القلوب فكانت مهمته شاقة ، اذ حاول هدايتهم ، لان منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون الى الاشكال والمظاهر منها . دون الاتجاه الى لبها وغايتها . حتى لقد كان منهم من يحجم عن عمل الخير فى يوم السبت زاعما انه داخل فى عموم النهى عن العمل فيه ، فاذا جاء المسيح داعيا الى ان ينظروا الى اصلاح القلب ، بدل الاخذ بالظاهر والاشكال فانه لا شك يصدم هؤلاء فيما يألفون . وفيما وجدوا عليه سابقيهم .

واليهود قوم عكفوا على "المادة" واستغرقتهم ، واستولت على اهوائهم ومشاعرهم حتى لقد كان تجاركم وسدنة الهياكل عندهم ، وقد

فاتهم العمل على كسب المال من ابوابه الدنيوية — يجمعون المال من نذور الهياكل ، والقرابين التي يتقرب بها الناس ، ويحرصون على ذلك اشد الحرص ، فكانوا يتخذون القرابين من اشد الناس حاجة وافقرهم . فجاء المسيح وناهضهم بهذا .

ولقد اتخذ بنو اسرائيل من دينهم المزعوم بدين موسى والانبياء من بعده ، وزعمهم أن لهم منزلة دينية لا يساميهم فيها أحد — اتخذوا من هذا ما يصح أن يسمى ارستقراطية دينية ؟ فزعموا أن لهم المكانة السامية ، ولغيرهم المنزل الدون ، ولو اعتنقوا الديانة اليهودية ، وآمنوا برسالة موسى . فكانت هناك طائفة يتال لها السامرة ، وكان الاسرائيليون يعاملون آحادها ، كانهم المنبوذون . فلما جاء عيسى عليه السلام ، وسوى بين بنى البشر فى دعايته انكروا عليه ذلك وناصبوه العداء .

ولقد كانوا يجعلون لاحبارهم وعلماء الدين فيهم المنزلة السامية والمكانة العالية دون الناس ، فجاء المسيح وجعل الناس جميعا سواء امام ملكوت الله .

مناواة اليهود له :

١٤ — لكل هذا تقدم اليهود لمناواة المسيح ، وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به ، واخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته ، فلما اعيتهم الحيلة ، ورأوا ان الضعاف والغرباء يجيبون نداءه ، ويلتفون حوله مقتنعين بقوله — اخذوا يكيدون له ، ويوسوسون للحكام بشانه ، ويحرضون الرومان عليه ، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون الى المسائل الدينية ، والخلافات المذهبية بين اليهود ، بل تركوا هذه الامور لهم يسوسونها فيما بينهم ، واليهود يريدون أن يغروا الرومان بعيسى كيفما كان الثمن ، فبثوا حوله العيون يرصدونه ، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام ، عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها وينقلون بها للحاكم الرومانى ، فلم يجدوا لان المسيح ما كان يدعو الا الى اصلاح الجانب النفسى الخلقى ولم يكن قد اتجه الى اصلاح الحكومة بعد ، ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه ، وانتهى الامر الى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى على أن يصدر الامر بالقبض عليه ، والحكم عليه بالاعدام صلبا .

نهاية المسيح فى الدنيـــا :

١٥ — وهنا نجد القرآن الكريم يقرر ان الله لم يمكنهم من رقبته ، بل نجاه الله من ايديهم : « **فما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم** » ، وبعض الآثار تقـــول ان الله القى شـــبهه على يهوذا ، ويهوذا هنا هو يهوذا الاسخريوطى الذى تقول الاناجيل عنه انه هو الذى دس عليه ، ليرشد القابضين اليه ، اذ كانوا لا يعرفونه ، وقد كان احـــد تلاميذه المختارين فى زعمهـــم .

ولقد وافق هذا انجيل برنابا موافقة تامة ، ففيه : « ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع — سمع يسوع دنو جم غفـــير ، فلذلك انسحب الى البيت خائفا ، وكان الاحد عشر نياما ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل وروفائيل وأذريل (١) ســـفراءه ان ياخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الاطهار ، واخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صـــحبة الملائكة التى تسبح الله الى الأبد .. ونخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى اصـــعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما ، فاتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، فصار شبيها بيسوع حتى اننا اعتقدنا انه يسوع ، أما هو فبعد ان استيقظ اخذ يفتش ليتظر اين كان المعلم ، لذلك تعجبنا ، واجبنا أنت يا سيدى معلمنا ، انسيتنا الآن .. الخ » .

والاناجيل المعتبرة عند المسيحيين لم تختلف فى شىء كاختلافهم فى قصة الصلب ، فلكل رواية بشانها .

المســـيح بعـــد نجـــاته :

١٦ — لم يصلب المسيح بنص القرآن ، ولكن شبه على القوم ، لقوله تعالى : « **وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم** » وقوله تعالى : « **وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه** » واذا كان المسيح عليه السلام لم يصلب ، فما هى حاله بعد ذلك ؟ اختلف فى هذا الشان مفسرو القرآن ، فجلهم على ان الله سبحانه وتعالى رفعه بجسمه وروحه اليه ، واخـــذوا

---

(١) يريد اسرافيـــل ، وعزرائيل .

بظاهر قوله تعالى فى مقـــابل القتل ، بل رفعه الله اليه ، وببعض آثار قد وردت فى ذلك ، وفريق آخر من المفسرين ، وهم الاقل عددا ، قالوا : انه عاش حتى توفاه الله تعالى كما يتوفى انبياءه ، ورفع روحه اليه كما ترفـــع ارواح الأنبياء والصديقين والشهداء ، واخذوا فى ذلك بظاهر قوله تعالى : **« انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة »** ومن ظاهر قوله تعالى : **« فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شيء شـــهيد »** ولكل من المختلفين وجهة هو موليها ، ولا نريد ان ندخل فى تفصـــيل حجج الفريقين وترجيح احداهما على الأخرى ، فلذلك موضع ليس هذا مقامه .

١٧ — ويزعم بعض الناس ان المسيح عليه الســـلام قد هاجر الى الهند ، وانه عاش فيها . حتى استوفى اجله ، ومات هنـــاك ، وله قبر ، ولقد جاء فى تفسير المنار ما نصه : « وجد فى بلدة سرى نكرا مقبرة فيهـــا مقام عظيم يقال انه مقام نبى جاء بلاد كشمير من زهاء الف وتسعمائة سنة ، ويسمى يوز آسف ويقال ان اســـمه الأصلى عيسى ، وانه نبى من بنى اسرائيل ، وانه ابن ملك ، وان هذه الاقوال مما يتناقله اهل تلك الديار عن سلفهم ، وتذكر فى كتبهم ، وان دعاة النصرانية الذين رأوا ذلك المكان لم يسعهم الا ان قالوا ان ذلك القبر لاحد تلاميذ المسيح او رسله » هذا ما جاء فى تفسير المنار ، وقد ذكر ان نقله عن غلام احمد القديانى الهندى ، وهو راو يشك فى صدقه .

هذا . وان القرآن الكريم لم يبين ماذا كان من عيسى بين صـــلب الشـــبيه ووفاة عيسى او رفعه على الخلاف فى ذلك ، ولا الى اين ذهب ، وليس عندنا مصدر صحيح يعتمد عليه ، فلنترك المســـالة : ونكتفى باعتقادنا اعتقادا جازما ان المسيح لم يصلب ، ولكن شبه لهم .

موازنة بين المسيح فى القرآن الكريم والمسيح فى المسيحية الحاضرة :

١٨ — « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * ما كان لله ان يتخذ من ولد ، سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون » . وتلك ديانته كما جاء بها ، ودعا اليها ، فما الذى عرض لها من بعده ، وما الذى ادخل عليها بعد ان رفع الى ربه ؟ .. اول ما ادخل على هذه الديانة

هو ما يتعلق بشخص المسيح عليه السلام ، ولنسارع فى بيان اعتقادهم فى المسيح بايجاز ، ثم بعد ذلك نبين الأدوار التاريخية التى مرت بتاريخ المسيحيين ، محاولين ما استطعنا ان نبين مصادر هذه الاعتقادات التى تتعلق بالمسيح ، ثم بقوانينهم الكنسية .

يعتقد المسيحيون ان الله سبحانه وتعالى اوصى آدم بألا يأكل من الشجرة ، فأكل منها باغواء ابليس ، فاستحق هو وذريته العذاب ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده جسد كلمته ، وهى ابنه الأزلى تجسدا فناسوتيا ، ورضى بموته على الصليب ، وهو غير مستحق لذلك ، لكى يكون ذلك فداء الخطيئة الأولى ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله وابن الانسان معا ، وكان ذلك الابن ، وهذا الفداء هو المسيح عيسى ولد مريم العذراء .

أرسل الله اليها ملاكه جبريل ، وبشرها بأن المسيح مخلص الدنيا يولد منها ، وان الروح القدس يحل فيها ، فتلد الكلمة الازلية ، وتصير والدة الاله . وقد ولد ببيت لحم ، اذ كان قد ذهب اليها يوسف النجار خطيب مريم الذى لم يتركها بعد ان حملت : لرؤيا رآها فى منامه تمنعه من ذلك ، لأن بيت لحم بلده ، فذهب اليها ومعه مريم ليقيد اسمه فى الاحصاء العام الذى أمر به الرومان .

ولد المسيح فى خان قد نزل فيه يوسف ومريم ، ولفقرهما لم يجدا مأوى لهما فى الخان سوى مكان الدواب . ولقد قمطته واضجعته فى مذود البقر .

وفى ليلة ميلاده ظهر ملاك لجماعة من الرعاة كانوا يحرسون قطعانهم فى الحقول المجاورة لبيت لحم ، فراعوا بغتة جمهورا من الملائكة مسبحين قائلين « المجد لله فى الاعالى ، وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة » فترك الرعاة القطعان ، وذهبوا الى المكان الذى دلهم عليه الملائكة ، فرأوا الطفل فى المذود ، وعندها وهم يمجدون الله ، ويسبحونه على كل ما سمعوا ورأوا ، كما قيل لهم .

وقد ختن المسيح لما مرت ثمانية أيام من وقت ولادته ، وسمى يسوع ، أى المخلص فى زعمهم كما سماه الملاك عند التبشير به .

ولقد حدث بعد ولادته بأيام ان وفد الى أورشليم جماعة من حكماء المجوس وعلمائهم ، قالوا انه لاح لهم فى السماء نجم عرفوا من مرآه بما ارتوا من علومهم وما عندهم من آثار ونبوات انه نجم مولود جديد هو ملك اليهود المنبأ به فعزموا على الرحيل اليه ، ليسجدوا له ، وحملوا معهم هدايا من الذهب واللبان والمر . وكانوا فى مسيرهم يسيرون والنجم الذى رآه يهديهم الى الطريق هم ومن معهم من خدم . حتى جاءوا الى المدينة ، وسألوا عن مكان الملك المولود ، فلما علم هيرودس ملك اليهود بأمرهم دعاهم اليه ، واستطلع طلعهم ، وتعرف امرهم فقصوا عليه قصصهم وما ابتعثهم الى الضرب فى الأرض . والمجىء الى أورشليم ، فسرى الى نفسه الخوف على ملكه من هذا الوليد ، ثم دعا اليه كهنة اليهود وكتبتهم ، وسألهم أين يولد المسيح . فقالوا : فى بيت لحم اليهودية حسب النبوءات فقال للمجوس . اذهبوا الى بيت لحم ، ومتى وجدتم الصبى فأخبرونى لأسجد له ، قال ذلك ، وأخفى فى نفسه امرا لم يبده ، فذهبوا والنجم يتقدمهم ، ووجدوا الصبى يسوع وأمه ، فسجدوا له ، وقدموا هداياهم ، وفى هذا الوقت ظهر ملاك الرب فى الحلم ليوسف ، وقال له قم وخذ الصبى وأمه ، واهرب الى مصر ، لأن هيرودس يطلب الصبى ليقتله ، ففعل كما امر ، وخرجت الاسرة المقدسة الى مصر وسائر المجوس الى بلادهم من غير أن يعرجوا على هيرودس لانهم نهوا عن العودة اليه بوحى اوحى اليهم فى منامهم ، فأخذه الغيظ ، واندفع فأمر بقتل جميع اطفال بيت لحم والبلاد التى تجاوزه ممن لا تتجاوز سنه سنتين . زاعما أن يسوع لابد ان يكون احدهم .

رحلت الأسرة المقدسة الى مصر ونزلوا حيث يوجد الدير المحرق ، كما يعتقدون ، وبعد أن قاموا بضعة أشهر واعتزموا الرحيل ، لان ملك الرب ظهر ليوسف فى الحلم ، وقال له : قم وخذ الصبى وأمه وعد الى اليهودية ، لأن هيرودوس الذى كان يطلب نفس الصبى قد مات ، فقاموا واتجهوا الى فلسطين ، ومروا فى طريقهم بالمطرية ، واستظلوا بشجرة هناك تسمى شجرة العذراء . وفى بعض الآثار انه لما دخلت مريم وابنها ويوسف أرض مصر ، انكفأت اصنامها وتحطمت ، وكان ذلك اتماما لنبوة أشعياء القائلة ، « هو ذا الرب راكب على سحابة وقادم الى مصر ، فترتجف أوثان مصر من وجهه . ويذوب قلب مصر داخلها » سفر أشعياء — ١٩ : ١ .

ولما عادوا الى فلسطين اقاموا فى الناصرة . ولما بلغ يسوع الثلاثين من عمره عمد فى نهر الاردن ، عمده يوحنا المعدان ، ثم صام اربعين يوما ، ولما شرع فى التبشير ظهر له الشيطان يجربه . وقال له : اعطيك هذه الدنيا ان خررت وسجدت لى : فاجابه يسوع وقال : اذهب يا شيطان . ثم تركه ابليس ، واذا ملائكة قد جاءت وصارت تخدمه ، وبعد هذه التجربة صار فى طريق التبشير . فلازمه حواريوه الاثنا عشر ، واختار معهم سبعين ارسلهم مثنى مثنى الى قرى اليهود والجليل للتبشير . ثم اقام ثلاث سنوات يبشر ، ويأتى بالمعجزات المثبتة لالوهيته فى زعمهم ، يشفى المريض ويفتح اعين العميان ، ويخرج الارواح النجسة .. وينهر الرياح اذا ثارت ، والبحر اذا اضطخب بالاذى ، وتقذف بالزبد ، فيهدآن .

ولما راى اليهود ان الامر يكاد يفلت من ايديهم تشاوروا لكى يصطادوه ، وتآمروا عليه ، وشكوه ظلما ، وكذبوا عليه ، ثم امسكوا به واسلموه الى بيلاطس حاكم فلسطين من قبل الرومان . فقضى عليه بالموت صلبا ، فصلب فى زعمهم ودفن . وبعد ان مكث فى القبر ثلاثة ايام قام فى الضحى ، ومكث اربعين يوما ارتفع بعدها الى السماء امام تلاميذه الذين عينهم لنشر ديانته ، اذ قال لهم : « اذهبوا الى العالم ، وكرزوا بالانجيل للخليقة كلها ، وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس » .

المسيحية بعد المسيح

ما نزل بالمسيحيين من اضطهاد :

١٩ ـ هذا هو المسيح كما جاء فى كتبهم وتعاليمهم ، ولا نريد أن نخوض فى بيان خلافاتهم حوله ، ولا بيان اختلافهم فى تفسير هذه العقيدة ، ولا فى تفصيل مجملها قبل ان نبين ما نزل بالمسيحيين بعد المسيح ، ولكنا سارعنا الى بيان اعتقادهم الذى استقروا عليه فى المسيح ليوازن القارىء بين ما جاء فى القرآن الكريم ؛ وما جاء فى اناجيلهم وتعاليمهم .

ونعود بعد ذلك الى ما يوجبه البحث العلمى : وهو تتبع العقيدة فى نموها ، وفى استقامتها أو انحرافها بعد صاحبها ، وتمهيدا لذلك نبين ما نزل بالمسيحيين بعده ، لكى يستبين القارىء مقدار قوة السند بين الديانة وصاحبها مع هذه الأحداث ، وليعرف الفلسفة التى عاصرت المسيحية ومقدار اتصالها .

اتفقت المصادر شرقية وغربية ، دينية وغير دينية : على ان المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث ، جعلتهم يستخفون بديانتهم ، ويفرون بها احيانا ويصمدون للمضطهدين مستشهدين احيانا أخرى ، وهم فى كلتا الحالين لا شوكة لهم ، ولا قوة تحميهم ، وتحمى ديانتهم وكتبهم ، وانه فى وسط هذه الاضطهادات يذكرون انه دونت اناجيلهم الأربعة التى يؤمنون بها ، ودونت رسائلهم !!

واول اضطهاد نزل بالمسيحيين كان فى عهد المسيح ، وانتهى بالخاتمة التى بيناها ، ولقد نزلت من بعده الشدائد بالمسيحيين بما يتفق مع هذا الابتداء . فلقد جاء قيصران بعد طيباروس الذى عاصر المسيح ، كانا شديدين على تلاميذه ، وقتلا منهم قتلا ذريعا ، وفى زمن ثانيهما دون متى انجيله بالعبرية . وترجمه يوحنا صاحب الانجيل الى اليونانية ، على رواية ابن البطريق كما سنتبين ، ولم يكن الاضطهاد فى عهد هذين القيصرين من الرومان فقط ، بل كان من اليهود ايضا ، وأذاهم أمكن ؛ وتتبعهم عن

العقيدة ادخل . لانهم من الشعب ومخالطوهم ومعاشروهم ، فهم بداخلهم اعرف .

واشد ما نزل من اذى كان فى عهد نيرون (سنة ٦٤ م) وتراجان سنة ١٠٦ م وديسيون (٢٤٩ — ٢٥١ م) ودقلديانوس (سنة ٢٨٠ م) ، فنيرون هاج انشر عليهم ، وانزل البلاء والعذاب بهم . واتهمهم بانهم الذين احرقوا روما ، فاخذهم بجريرتها . وكانت السنوات الاربع الاخيرة عذابا اليما لهم . فقد تفنن هو واشياعه فى هذا العذاب ، حتى لقد كانوا يضعون بعضهم فى جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم ، وصلبوا بعضهم، والبسوا بعضهم ثيابا مطلية بالقار ، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها ، وكان هو نفسه يسير فى ضوء تلك المشاعل الانسانية .

وفى عصر نيرون هذا دون انجيل مرقس سنة ٦١ على رواية ، وكان بمصر وقد كتبه عنه بطرس وهو برومية وكتب ايضا لوقا انجيله فى عهد هذا القيصر ، وفى ابتداء هذا الانجيل ينص على انه يراسل به تاوفيلس ، ليؤكد له صحة الكلام ، وتاوفيلس هذا رجل من عظماء الروم واشرافهم ، وفى عصر هذا القيصر او بعده دون يوحنا انجيله .

وفى عهد تراجان نزلت بهم آلام ، لانهم قد جرت عادتهم بالصلاة فى الخفاء وهربا من الاضطهاد ، وقد امر تراجان بمنع الاجتماعات السرية ، فانزل بهم الذل والعذاب لذلك ، ولانهم مسيحيون لا يدينون بدين القيصر .

جاء فى كتاب تاريخ الحضارة « لقد كتب بلين — وكان واليا فى آسيا — الى الامبراطور تراجان كتابا يدل على الطريقة التى كان بها المسيحيون ؛ قال : « جريت مع من اتهموا بانهم نصارى على الطريقة الآتية وهو انى اسالهم اذا كانوا مسيحيين فاذا اقروا اعيد عليهم السؤال ثانية وثالثا مهددا بالقتل ، فان اصروا انفذت عقوبة الاعدام فيهم ، مقتنعا بان غلطهم الشنيع، وعنادهم الشديد ، يستحقان هذه العقوبة ، وقد وجبت التهمة الى كثيرين بكتب لم تذيل باسماء اصحابها ، فانكروا انهم نصارى ، وكرروا الصلاة على الارباب الذين ذكرت اسماءهم امامهم ، وقدموا الخمور والبخور لتمثال اتيت به عمدا مع تماثيل الارباب ، بل انهم شتموا المسيح ، ويقال ان من الصعب اكراه النصارى الحقيقيين ، ومنهم من اعترفوا بانهم نصارى ؛

ولكنهم كانوا يثبتون بان جريمتهم فى انهم اجتمعوا فى بعض الايام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على انه رب ، وعلى انشاد الاناشيد اكراما له ، وتعاهدوا بينهم لا على ارتكاب جرم ، بل على الا يسرقوا ، ولا يقتلوا ، ولا يزنوا ، وان يوفوا بعهدهم ، ورايت من الضرورى لمعرفة الحقيقة ان اعذب امراتين ذكروا انهما خادمتا الكنيسة ، بيد انى لم اقف على شىء سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها » .

وهذا الكتاب كاشف كل الكشف عما كان يحدث للنصارى فى عهد ذلك القيصر من اضطهاد وتعذيب ، وتنقيب عن القلب وخبيئة النفس .

ولم ينقطع الاضطهاد بعد موت دراجان ، بل استمر ، وان اخذت الرافة بعض القياصرة ، خلف من بعده خلف ينزلون عذابا مرا يزيل اثر كل رحمة سابقة كانت نسبية حتى جاء ديسيوس فانزل بهم من البلاء ما تقشعر من هوله الأبدان ، ولنترك القلم لبطريرك الاسكندرية ، يصف بعض ما عانى من ديسيوس بعد ان ذاق بعض الرحمة من سابقه ، فهو يقول : « لم تكد تنقضى الصعداء ، حتى حلق بنا الخوف ، وحفنا الخطر ، عندما بدل ذلك الملك الذى كان ارق جانبا ، واقل شرا من غيره ، وجاء مكانه ملك آخر ، ربما لا يجلس على كرسى المملكة حتى يوجه انظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا . وقد تحقق حدسنا ، عندما اصدر امرا شديد الوطاة ، فعم الخوف الجميع ، وفر بعضهم ، وقد أبعد كل مسيحى من خدمة الدولة ، مهما يكن ذكاؤه ، وكل مسيحى يرشد عنه يؤتى به على عجل ويقدم الى هيكل الأوثان ، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم ، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة ان يكون هو الذبيحة . بعد ان يجتهدوا فى حمله بالترهيب ... ومن ضعاف الايمان من انكر مسيحيته . واقتدى به البعض ، ومنهم من تمسك بأذيال الفرار ، أو من زج به فى غيابات السجون » .

وهكذا يقص ذلك القسيس ما نزل بهم مما انتهى به الأمر الى فراره هو ، وقد كتب يعتذر (١) عن ذلك الى بعض من ابلوا بلاء حسنا ، ولم يلوذوا بالفرار .

---

(١) راجع فى هذا الكتاب تاريخ الأمة القبطية الجزء الأول ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

ولم يكن البلاء مقصورا على مصر ، بل كان يتتبع المسيحيين فى الدولة الرومانية حيثما ثقفوا ، وأينما كانوا .

ولى بعد دبسيوس من أوقع البلاء وانزله بالمسيحيين ، ولكن كان اشد هؤلاء وابلغهم أذى وانكاعم بطشا — دقلديانوس الذى جاء اليهم ، بعد أن خف العذاب عنهم قليلا ، وقد رجوا فيه خيرا ، واملوا منه أن يكون عونا ، لأن مدير خاصته مسيحى ، ولكنه كان اشد من غيره على المسيحيين، وخصوصا المصريين ، وذلك لأن المصريين رأوا أمما تحللت من حكم الرومان، ونكروا اغلاله ، فاقتدوا بهم ، ونزعوا الى السير فى طريق الحرية والاستقلال ، وساروا فيه ، وعقدوا الامرة لواحد منهم ، فجاء دقلديانوس الى مصر ، وانزل بها البلاء ، وازال استقلالها ، واعاد فتحها ، وكانت تثرنها فى ذلك الابان مسيحية ، وقد أمر بهدم الكنائس ، واحراق الكتب ، واصدر أمرا بالقبض على الأساقفة والرعاة ، وزجهم فى غيابات السجن ، وقهر المسيحيين وحملهم على انكار دينهم ، وقد استشهد فى هذا الوقت عدد كبير من الاقباط تجاوزت عدتهم أربعين ومائة الف ، وعدهم بعض المؤرخين ثلاثمائة الف ، ولكثرة ما استشهد من شهداء وما نزل من بلاء كانت ولاية دقلديانوس حادثا ذا خطر فى شأن مصر فجعلوه مبدأ تقويمهم ، وذلك فى سنة ٢٨٤ ميلادية .

وقد استمر البلاء ينزل من قياصرة الروم حتى جاء عهد قسطنطين ، بينا وبركة على المسيحيين ، لا على المسيحية كما سنبين .

اثر الاضطهادات فى الديانة :

٢٠ — هذه هى الاضطهادات التى قارنت المسيحية فى نشأتها وفى تكربنها وليدا وفى تدرجها ، وفى عصر تدوينها ورواية كتبها ، وهى مع اسباب أخرى جعلت بعض العلماء يبحثون عن قيمة هذه الكتب ، وجعلت بعض علماء المسيحيين أنفسهم يعتذرون عن بعض الاضطراب فى الاناجيل بأنها دونت فى عصور اضطهاد المسيحية الأولى ، بل ان مناظريهم يقررون بان تلك الاضطرابات كانت سببا فى فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة. يقول الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه اظهار الحق : « طلبنا مرارا من علمائهم التحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين

فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم ، فقال : ان سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين الى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة ، وتفحصنا كتب الاسناد لهم ، فما رأينا فيها شيئا غير الظن ، يقولون بالظن ، ويتمسكون ببعض القرائن . وقد قلت ان الظن فى هذا الباب لا يغنى شيئا ، فما داموا لم يأتوا بدليل شاف ، وسند متصل فمجرد المنع يكفينا . وايراد الدليل فى ذمتهم لا فى ذمتنا ». وفى الحق ان تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به فى شئونهم الدينية — وخاصة ما كان متصلا ببيان الشريعة يقومون به سرا لا جهرا ، وفى خفية من العيون المتربصة ، والاعداء المترقبين ، والسرية يحدث فى ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن الى ما يحكى عما يحدث فيها ، فيتظنن فى كل ما يروى عنها ، ولا مانع من ان يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، وينقل عن أشخاصهم ما لم يقولوه ، ويتسامع الجمهور أمورا ما حدثت فى تلك الاجتماعات ، ولا قالها حاضروها ، فاذا جرى الشك والريب فيما دون من كتب المسيحية التى فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد ، والتى كتبت فى ظلمة السرية ، يكون قد وقع حيث وجدت دواعيه ، وقامت شواهده .

الفلسفة الرومانية والمسيحية :

٢١ — ولقد كان من المسيحيين من يفرون بدينهم ، ومنهم من يظهر الوثنية ويبطن المسيحية ، ومنهم من دخل النصرانية وفى رأسه تعاليم الوثنية لم تخلع منه ولم تزايله ، وان زايلها بعقله المدرك فعقله الباطن ما زال مستقرا لها ومكمنا تكمن فيه ، وأولاء لا شك أثر تفكيرهم فى المسيحية التى لم يكن لها قوة تحميها ولا شكيمة تعدل النفوس الى حظيرتها .

وان التاريخ يروى لنا انه فى القرن الثانى ، والثالث ، والرابع الميلادى قد دخل الرومان والمصريون أفواجا افواجا فى المسيحية . فمن حق العلم أن نحكى ما كان يسيطر على هذه الامم من أفكار ، وما كان يسود تفكيرها من منازع عقلية ودينية ، ولا نعتمد فى ذلك الا على ما اثبته تاريخ العلم والفلسفة ، وما أجمع عليه المؤرخون .

يحكى التاريخ أن مدينة الرومان لم تكن متناسقة تناسقا اجتماعيا ، فلم يكن توزيع الثروة فيها توزيعا يتحقق معه العدل الاجتماعى ، فبينما

ترى ترفا ورخاء لمن انعمت عليهم الدولة بالفيء والغنائم والاسلاب من الفتوح الرومانية ، ترى الوف الالوف من الناس قد حرموا ما يتبلغون به فى حياتهم ، فاستولى عليهم الاحساس بالظلم ، والسخط على الحياة ، والتململ بها ، والناس لا يشقون لآلامهم وحرمانهم بمقدار ما يشقون لسعادة غيرهم التى امتنعت عليهم ، وكذلك كانت آلام سواد الرومان ، ولولا الايمان بحياة مستقبلة ، يستمتعون فيها بما حرموا منه فى هذه الحياة ، لضاقت الصدور بما يجلجل فى القلوب ، ولانفجرت فى ثورة اجتماعية ، لكن توجهت هذه النفوس الى الايمان بعالم علوى ، واعترف الانسان بعجزه التام عن معرفة نفسه واسعادها ، اذا اعتمد على تفكيره فقط ، لذلك رجعوا الى الدين .

وفى هذا الوقت اراد الفلاسفة أن يجعلوا فلسفتهم محل الأديان ، اذ أخذت التماثيل والأوثان تفقد قوة تأثيرها ، ولم يعد لها سلطان فى تصريف سلوك الانسان ، ولفقدت معابدها ما كان لها من روعة وقوة ، فاعتور النفس الرومانية حينئذ عاملان ، كلاهما فيه قوة وبأس ، الشعورهم بالبأساء والآلام يجعلهم فى حاجة الى عزاء من الدين ، وسلوى باليوم الآخر ، وملاذ الى حياة روحية ، والفلسفة — بما لها من سلطان العقل — لما وجدت الأوثان تسقط قيمتها ارادت ان تحل محلها ، حينئذ التحمت الفلسفة بالشعور الدينى ، او التقت الفلسفة والدين ، ولم يكن التقاؤهما عداوة وخصاما ، بل كان محبة وسلاما ، فكانت تلك الحال داعية اتصال بينهما ، لا داعية افتراق .

قال غدلبند فى ذلك : « ان الفلسفة استخدمت نظريات علوم اليونان لتهذيب الآراء الدينية ، وترتيبها ولتقدم بالشعور الدينى اللجوج فكرة فى العالم تقنعه . فاوجدت نظما دينية من قبيل ما وراء المادة تتفق مع الأديان المتضادة اتفاقا يختلف قلة وكثرة » .

هذه كلمة ذلك الفيلسوف نقلها عنه صاحب كتاب المبادىء الفلسفية ، فما هذه الأديان المتضادة التى الفت بينها الفلسفة ، وجعلت من نغماتها المختلفة نغمة واحدة مؤتلفة !

ان التاريخ يقص علينا أن الأديان التى كانت فى بلاد الرومان ثلاثة : الوثنية الرومانية ، واليهودية ، والمسيحية الناشئة ، فهل عملت الفلسفة على ايجاد ديانة تجمع بين المسيحية واليهودية ، وفيها وثنية ؟ وهل المسيحية التى تؤمن بالتوراة التى عند اليهود على اختلافه بين ، وتؤمن بالتثليث والوهية المسيح وتقديس الصليب ، هى النظام الحيني الجامع بين الأديان الثلاثة !! لنترك ذلك الآن . وقد رشحنا امام القارىء المصباح الذى يرى به الطريق .

الأفلاطونية الحديثة واثرها فى النصرانية :

٢٢ — ولنتجاوز روما الرومان ولنعبر البحر الأبيض ، ولنيمم شواطئه الجنوبية ، فهناك تجد مدينة الاسكندرية ومدرستها ، وفلسفتها التى كانت تشع على العالم كله بنور العلم ، وقد آوى اليها فلاسفة اليونان ، وتابعوا الفلسفة اليونانية ، والتى نراها تتجه اتجاها واضحا الى النواحى الدينية ، والبحث فى منشىء الكون .

كان شيخ هذه المدرسة امنيوس المتوفى سنة ٢٤٢ ، اعتنق فى صدر حياته الديانة المسيحية . ثم ارتد عنها الى وثنية اليونان الأقدمين ، وجاء من بعده تلميذه افلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ وقد تعلم فى مدرسة الاسكندرية اولا ، ثم رحل الى فارس والهند ، وهناك استقى ينابيع الصوفية الهندية ، واطلع على تعاليم بوذا وديانته ، وبراهمة الهند وديانتهم . وعرف آراء البوذيين فى بوذا ، والبراهمة فى كرشنة ، وقد عاد بعد ذلك الى الاسكندرية ، وأخذ يلقى بآرائه على تلاميذه ، وجلها يتجه الى تعرف ما وراء الطبيعة ، ومنشىء الكون .

ويلخص اعتقاده فى منشىء الكون فى ثلاثة امور :

(**اولها**) ان الكون قد صدر عن منشىء أزلى دائم لا تدركه الأبصار ، ولا تحده الافكار ، ولا تصل الى معرفة كنهه الأفهام .

(**ثانيها**) ان جميع الأرواح شعب لروح واحد وتتصل بالمنشىء الاول بواسطة العقل .

(**ثالثها**) ان العالم فى تغيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة ، وهو تحت سلطانها ، فالله منشىء الأشياء وهو مصدر كل شىء ، واليه معاده لا يتصفه

بوصف من اوصـــاف الحوادث . فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكرا كفكرنا .. ولا ارادة كارادتنا ولا وصف له ، الا انـــه واجب الوجود ، يتصف بكل كمال يليق به ، يفيض على كل الاشـــياء بنعمـــة الوجـــود ، ولا يحتاج هو الى موجود ، واول شيء صدر عن هذا المنشيء في نظـــر أفلوطين هو العقل المصدر عنه كأنه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الانتاج ، ولكن ليس كمن تولد منه ، ومن العقل تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصـدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء .

٢٣ — هذه هي فلسفة المعاصرين لنشأة الديانة المسيحية عندما اريد تحويلها ، وترى ان فلســفة الرومان ترمي الى ايجاد الفة بين الوثنية واليهودية ومسيحية المسيح عليه السلام ، كما ترى ان فلسفة الاسكندرية ترجع العالم في تكوينه وتدبيره الى ثلاثة عناصر او الى ثالوث مقدس هو المنشيء الاول ، والعقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه ، والروح الذي يتصل بكل حي ومنه الحياة . فاذا عبرنا عن المنشيء الأول بالآب ، وعن العقل المتولد عنه بالابن ، وعن الروح بروح القدس ، كما هو ثالوث النصارى الذي اخذ ببعضـــه مجمع نيقية ، وبكله المجامع التي جاءت من بعده ، لما خرجنا في التسمية عن الصواب ، وما كان فيها اي تسامح ، فذلك الثالوث في معناه هو ثالوث النصارى ، واذا لم يختلف المســـمى ، فلماذا يختلف الاســـم ؟ .

وهنـــا يرد على النفس سؤال : أيهما استقر ، وايهما كان الينبوع ؟ هل اخذت الأفلاطونية الحديثة من النصرانية، ام النصرانية الحاضرة هي التي اخذت عن الفلسفة ؟ ان الجواب عن هذا يقتضي تعرف السابق منهما ، فالســـابق بلا ريب أستاذ اللاحق ، والزمن هو الذي يحكم ويفصل ، وسنجد فيما يلي من البحث ان مجمع نيقية هو الذي سار في تقرير هـــذا الثالوث ، ووضـــع الأساس لمن بعده ، او بعبارة ادق قرر الوهية الابن ، وأن جوهره هو جوهر الآب ، وقد جاء في قراره « ان الجامعـــة المقدسة ، والكنيســـة الرسـولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيـــه ، وانه لم يوجد قبل أن يولد ، وانه وجد من لا شيء ، او من يقول ان الابن وجـــد

من مادة أو جوهر غير جوهر الأب ، وكل من يؤمن انه خلق ، او من يقول انه قابل للتغيير (١) » .

(١) اطلع زميلنا المرحوم الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى الاستاذ بكلية اصول الدين سابقا على هذا الاستنباط التاريخى فقال : انه يوافق ما استنبطه بعض المستشرقين ، ثم ترجمه ، وتفضل فارسل الينا نص الترجمة وهاهى ذى، ننشرها مع بحثنا شاكرين له رحمه الله فضل تعاونه:

التثليث ليس من المسيحية بل من الفلسفة الاغريقية

١ — كانت المشكلة الفلسفية التى واجهت اولا الاغريق هى : « ما مبدأ كل شىء ؟ » « وباجتهاد الفلسفة فى الاجابة عن هذا السؤال اجابة محدودة ومقنعة شيئا فشيئا كان لنا تلك المذاهب الفلسفية التى تتابعت فى تاريخ الفلسفة الاغريقية . هذه فلسفة بدات طبيعية مع الفلاسفة الأيونيين ، ثم أخذت فكرة التوحيد فى الظهور على ايدى سقراط ، وأفلاطون ، وارسطو ، بحيث راى هؤلاء أن المبدأ الذى صدر عنه العالم هو الله الواحد الذى لم يتغير ، على غموض فى تعيين هذه الصفات ونحوها مما يصح أن يتصف بها .

ولكن بمقدار تبين هذه المعارف والمعلومات عن الله كانت تكبر الصعوبة الاساسية التى اصطدمت بها المذاهب التى سبقت سقراط : كيف تصدر الاشياء عن مبدئها ؟ كيف يمكن أن يخرج الكثير — اى العالم — من الواحد ، والمتغير من الذى لا يتغير ؟ وانه كلما قرب المبدأ الاول من الوحدة الحق بصيرورته روحيا ، ومن عدم التغير الحق بصيرورته كاملا ، تتسع الهوة التى تفصله عن العالم وكثرته وتصير اكبر عمقا ، كما يصبح عسيرا فهم كيف يبرز الله العالم للوجود ويحركه .

٢ — اذا كان الله واحدا وحدة مطلقة كيف يمكن ان يخلق الكثرة المختلفة دون أن يقبل فى ذاته كثرة بأى وجه من الوجوه ؟ واذا كان كماله المطلق يقتضى عدم التغير ، كيف نفهم أنه فى وقت ما اوجد العالم دون أن يلحقه تغير ، مع انه انتقل من حالة عدم العمل الى حالة العمل ؟ هنا تظهر عبقرية العقل الاغريقى ! الواحد البرىء من التغير لا يمكن أن يصدر عنه العالم المتكثر المتغير مباشرة ، يجب اذن أن تتوسط بينهما وسائط أزلية متدرجة حسب نظام ميتافيزيقى .

٣ — كان افلاطون أول من ادرك تلك المشكلة وأول من أدرك هذا الحل الذى وجب على العقل الاغريقى فيما بعد — بعد انضاجه طويلا — أن يجتمع نهائيا عليه ، اعنى عقيدة ثلاثة اقانيم او عقيدة التثليث — ص ٧٠ — ٧١ .

٤ — هذا المذهب او هذه العقيدة التى تمثلها عقل افلاطون .. وان ادركها ادراكا فيه نوع غموض ، ليس الا عقيدة التثليث المشهورة =

وهذا المجمع كان فى سنة ٣٢٥ بعد الميلاد ، والمسيحيون قبله كانوا على اختلاف كبير جدا ، ويكفى للدلالة على هذا الاختلاف أن الذين حضروا المجمع نيف وأربعون بعد الالفين ، وهم على آراء مختلفة ، ولم يجمع أعضاء هذا المجمع على نحلة واحدة ، اما عقيدتهم فى الابن وقولهم انه تولد عن المنشىء من غير زمن بينهما كما يقول الفلاسفة ، وانه من جوهر أبيه ، كما يقولون لم تسد الا بعد ذلك المجمع ، وسياتى لذلك فضل بيان ان شاء الله تعالى ، وعلى ذلك يكون تثليث المسيحية كحقيقة مقررة متاخرا عن افلوطين لأن افلوطين توفى سنة ٢٧٠ بعد الميلاد كما علمت ، والتثليث

= ومن السهل ادراك الغرض منها : الاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغير ، جعله يضع بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه خارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلين فيه ، اى تتضمنهما ذاته — صادرين عنه ، دونه فى الكمال ، ويجعلانه ممكنا ان يصدر عن الله العالم الكبير المتغير ، اول هذين الوسيطين العقل ، وثانيهما الروح الالهية — ص ٧٣ — ٧٤ .

٥ — وهكذا كان التزاوج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الاغريقية لم ينتج فلسفة فقط ، بل أنتج معها دينا ايضا ، أعنى المسيحية التى تشربت كثيرا من الآراء والافكار الفلسفية عن اليونان . ذلك أن اللاهوت المسيحى مقتبس من نفس المعين الذى كانت فيه الافلاطونية الحديثة (يريد فلسفة افلاطون التى كانت المعين الاصلى للفلسفة الافلاطونية الحديثة) ولذا نجد بينهما (اى اللاهوت المسيحى والافلاطونية الحديثة) مشابهات كبيرة ، وان افترقا أحيانا فى بعض التفاصيل ، فانهما يرتكزان على عقيدة التثليث ، والثلاثة الاقانيم واحدة فيهما — ص ٩٣ .

٦ — أول هذه الاقانيم هو مصدر كل كمال ، والذى يحوى فى وحدته كل الكمالات ، وهو الذى دعاه المسيحيون الآب . والثانى أو الابن هو الكلمة . والثالث هو دائما الروح القدس — ص ٩٢ — ٩٤ .

وعلى أنه يجب ان يلاحظ (وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحى عن الافلاطونية الحديثة) ان الاقانيم الثلاثة ليست فى نظر هذا المذهب متساوية فى الجوهر والرتبة . بينما هى متساوية عند المسيحية . فالابن الذى يتولد من الآب لا يمكن ان يكون ادنى منه كمالا . والا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل . وهذا حط من رتبته . وكذلك الروح القدس مساو للآب والابن — ص ٤٩ .

كل هذه النقول من كتاب : « مقدمة (او المدخل لدراسة) الفلسفة الاسلامية» تاليف المستشرق المعروف ليون جوتيه طبع باريس عام ١٩٢٣ .

لم يتكامل الا فى آخر القرن الرابع ، والمتقدم استاذ المتأخر كما يرجح العقل وكما يوجبه الظن الذى لا بعد من الاثم .

ولقد نرى ذلك الظن عند بعض علماء أوربا ، حتى شك بعضهم فى حياة المسيح وقالوا انه شخص خرافى لم يوجد ، أراد بعض فلاسفة الافلاطونية الحديثة أن يفرضوه ، ليجعلوا من آرائهم ديانة يعتنقها العامة، وتسود الكافة ، وقد تم لهم ما أرادوا ، ولكنا نحن المسلمين لا نقر ذلك كله ، لما فيه من انكار وجود المسيح الذى نؤمن به ، ونزل بخبره الوحى الامين وان كنا نصدق لبه .

مصـــادر المســـيحية بعـــد عيسى

٢٤ ـــ الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والاناجيل ، ورسائل الرســل ، وتسمى التوراة (اسفارها الموسوية وغيرها) كتب العهد القديم ، وتســمى الأناجيل ، ورسائل الرسل كتب العهد الجديد ، فمن العهد القديم يعرفون اخبار العـــالم فى عصوره الأولى ، وأجيـــاله القديمة ، وشرائع اليهود الاجتمـــاعية والدينيـــة ، وتاريخ نشـــاتهم ، وحكوماتهم وحوادثهم ، والنبوات السابقة منذ هبوط الانسان على هـــذه الارض ، والبشـــارات بالنبيين اللاحقين ، وبالمسيح ، وفيها يجدون ادعية متوارثة تعين على اداء العبادات ، والقيـــام بالطقوس الدينية كمزامير داود ، ولنترك الكلام فى التوراة واسفارها فلذلك موضعه من الدراســـة للديانة اليهودية ، بيد انه يجب أن يلاحظ ان بعض الأسفار المعتبرة عنـــد اليهود مرفوضة عند المســيحيين ، لعدم اعتقادهم بصحة الوحى فيها .

الاناجيـــل :

٢٥ ـــ اما كتب العهد الجديد فهى التى تعنينا فى هـــذا البحث ، ويهمنا ان نجلى امرها ، ونعرف حقيقتها ، واولها الاناجيل .

والاناجيل المعتبرة عندهم اربعـــة : انجيل متى ، وانجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل يوحنا .

ومكان الاناجيـــل فى النصرانيـــة مكان القطب والعماد ، واذا كانت شخصية المسيح وما حاطوها به من افكار هى شـعار المسيحية ، فان هذه الاناجيل هى المشتملة على اخبار تلك الشخصية ، من وقت الحمل الى وقت صلبه فى اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال ، ثم رفعه بعـــد اربعين ليلة ، وهى بهذا تشتمل على عقيدة الوهية المســـيح فى زعمهم ، والصلب والفداء ، اى انها تشتمل على لب المسيحية فى نظرهم بعد المسيح ومعناها .

وهذه الاناجيل الأربعة هى التى تعترف بها الكنائس ، وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها ، ولكن التاريخ يروى لنا انه كانت فى العصور الغابرة اناجيل اخرى ، قد اخذت بها فرق قديمة ، وراجت عندها ، ولم تعتنق كل فرقة الا انجيلها ، فعند كل من اصحاب مرقيون ، واصحاب ديـــان

انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ، ولاصحاب مانى انجيل يخالف هـذه الاربعة ، وهو الصحيح فى زعمهم ، وهناك انجيل يقال له انجيل السبعين ينسب الى تلاميذ ، والنصارى ينكرونه ، وهناك انجيل اشتهر باسم التذكرة ، وانجيل سرن تهس ، ولقد كثرت الاناجيل كثرة عظيمة ، واجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة فى آخر القرن الثانى الميلادى ، أو اوائل القرن الرابع أن تحافظ على الاناجيل الصادقة — فى اعتقادها — فاختارت هذه الاناجيل الاربعة من الاناجيل الرائجة إبان ذلك .

ولقد يذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير الى وجود اناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثالث . واول من ذكر هذه الاناجيل الاربعة ارينيوس فى سنة ٢٠٩ ، ثم جاء من بعده كليمنس اسكندريانوس فى سنة ٢١٦ ، واظهر أن هذه الاناجيل الاربعة واجبة التسليم ، ولم تكتف الكنيسة باختيار هذه الاناجيل الاربعة ، بل أرادت الناس على قبولها لاعتقادها صحتها ، ورفض غيرها ، وتم لها ما ارادت فصارت هذه الاناجيل هى المعتبرة دون سواها .

ولقد كنا نود ونحن ندرس المسيحية وأنوارها فى التاريخ ان نعرف هذه الاناجيل التى اهملت ، وما كانت تشتمل عليه . مما كان سببا فى رفضها ، وحمل الناس على تركها ، وخصوصا انها كانت رائجة . ويأخذ بها طوائف من المسيحيين ويتدينون هذه الديانة على مقتضاها ، فان الاطلاع عليها يمكننا من معرفة اعتقاد الناس فى المسيح ، وكيف كان ، خصوصا بين أولئك الذين تاربوا عصره ، وأدركوا زمانه ، ولقوا تلاميذه ، ونهلوا من مناهلهم ، واذ ضن التاريخ بحفظ نسخ منها ، فقد كنا نود أن تطلعنا الكنيسة على ما اشتملت عليه مما يخالفها ، وما كان من سبب رفضها ، وتريناحجة الرفض ، لتكون دليلا مثيرا لها على أنها بهذا اقامت ديانة المسيح ولم تغيرها ، ولكن ضن التاريخ علينا ، فطوى تلك الاناجيل ، وضنت الكنيسة بطويت تلك البيانات ، فلم يبق لنا الا ان نكتفى من الدراسة بما بين أيدينا ، لعل فيه غناء ان انعمنا النظر وامعنا فى الاستنباط ، وجعلنا للعقل سلطانا ، ومن براهينه برهانا .

الأناجيل لم يملها المسـيح ولم تنزل عليه :

٢٦ — وهذه الاناجيل الاربعة لم يملها المسيح ، ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى اليه، ولكنها كتبت من بعده — كما رايت — وتشتمل على اخبار يحيى (يوحنا المعمدان) والمسـيح ، وما كان منه ، وما احـاط بولادته من عجائب وغرائب ، وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة، ولا تحدث من سـواه من البشر ، وما كان يحدث له من احداث ، وما كان يجرى بينه وبين اليهود ، وما كان يلقيه من اقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ ، وفيها قليل من الشرائع التى تتعلق بالزواج والطلاق ، ثم اخبار المؤامرة عليه ، واتهامه والقبض عليه ، ومحاكمته ، سواء أكانت تلك المحاكمة أمام اليهود ، أم أمام الرومان ، ثم فيها الحكم عليه بالموت صلبا، وصلبه بالفعل فيما يعتقدون ، وفيها أيضا قيامته من قبره ، ومكوثه اربعين يوما ، ثم رفعه الى السماء . وفى الجملة هى تشتمل على اخبار المسيح وصلواته، واقواله وعجائبه ، من بدايته الى نهايته فى هذا العالم . وهذا — كما قلنا — لب المسيحية ومعناها ، لأن فيها النواة الأولى لالوهية المسيح ، وعقيـدة النصارى فيه ، ولنتكلم على كل انجيل من هذه الاناجيل بكلمة تبين تاريخ تدوينه ، وتعرف بمؤلفه ، ومكانته من المسيح .

انجيـل متى :

٢٧ — وقد كتبه متى، وهو أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر، ويسميهم المسيحيون رسلا ، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب، وكانوا يسمون فى ذلك العهد عشارين ، ولقد كان جابيا للرومان فى كفر ناحـوم من أعمال الجليل بفلسطين ، وكان اليهود ينظرون للجباية نظر ازدراء ، لانها تحمل صاحبها على الظلم ، او على الأقل تحمله على العنف ، والعمل فيها معين للدولة الرومانية المغتصبة التى تحكم البلاد بغير رضا أهلها ، ولكن السيد المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه كما جاء فى انجيله . ففى الاصحاح التاسع منه : « وفيما يسوع يجتاز من هناك راى انسانا جالسا عند مكان الجباية ، واسمه متى ، فقال له : اتبعنى ، فقام وتبعه ، وبينما هو متكىء فى البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا ، واتكئوا مع يسوع وتلاميذه .

ولما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟ ولما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ، بل المرضى ، فاذهبوا وتعلموا ما هو ، اني اريد رحمة لا ذبيحة ، لاني لم آت لادعو ابرارا ، بل خطاة الى التوبة » .

ولما صعد المسيح الى ربه جال متى للتبشير بالمسيحية فى بلاد كثيرة.

ومات فى سنة ٧٠ ببلاد الحبشة على اثر ضرب مبرح انزله به احد اتوان ملك الحبشة . وفى رواية أخرى انه طعن برمح فى سنة ٦٢ بالحبشة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيا للمسيحية مبشرا بها ، فموطن دعايته كما يروى مؤرخو المسيحية هو الحبشة .

انجيل متى كتب بالعبرية ولم يعرف الا باليونانية وجهل المترجم :

٢٨ — وقد اتفق جمهورهم على أنه كتب انجيله بالعبرية او السريانية، كما اتفقوا على أن اقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية، ولكن موضع الخلاف فى تاريخ تدوينه، ومن الذى ترجمه الى اليونانية، فمن المتفق عليه عند اكثرهم ان متى كتب انجيله بالعبرانية . وذلك لانه كتبه لليهود يبشر بالمسيحية بينهم ، وليقرأه مؤمنوهم بها ، قال جيروم : « ان متى كتب الانجيل باللسان العبرى فى أرض يهودية للمؤمنين من اليهود » وقال غيره: « ان متى كتب الانجيل باللسان العبرى . وهو الذى انفرد باستعمال هذا فى تحرير العهد الجديد » .

واذا انتقلنا الى تاريخ تدوين هذا الانجيل وترجمته نرى ميدان الخلاف فسيحا ، فنجد ابن البطريق يذكر أنه دون فى عهد قلوديوس قيصر الرومان من غير أن يعين السنة التى كتب فيها .

ويذكر أن الذى ترجمه يوحنا ، فيقول فى ذلك : « فى عصر قلوديوس كتب مقاوس (متى) انجيله بالعبرانية فى بيت المقدس. ونسره من العبرانية الى اليونانية يوحنا صاحب الانجيل » .

وهنا نجده لم يعين السنة التى كتب فيها الانجيل ، بل عين الملك الذى كتب فى عهده ، وهذا الملك لم يكن هو الذى عاصر المسيح ، ولا الذى يليه . بل الذى عاصر المسيح وصلب — على زعمهم — فى عهده طيباريوس،

وولى من بعده غابيوس ، وملك لربع سنين وثلاثة اشهر ، ثم جاء من بعده فلوديوس وملك اربع عشرة سنة ، فيحتمل تدوين هذا الانجيل أن يكون فى آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح ، ويحتمل أن يكون فى أول او آخر العشرة الخامسة او اوائل السادسة . فكلام ابن البطريق يحتمل كل هذا، وقال جرجس زوين اللبنانى فيما ترجمه عن الفرنسية : « ان متى كتب بشارته فى اورشليم فى سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب اليه القديس ابرنيموس ، والسبب فى ذلك على ماذهب اليه القديس ابيفانيوس انه كتبه اما اجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح ، او اجابة لامر الرسل ، ولم يكتبه انجيله باليونانية بل بالعبرانية على زعم أوسيبيوس فى تاريخه ، وقد وافق اسيبيوس القديس ابرنيموس ، اذ ان بانتينوس قد ذهب ليكرز بالايمان المسيحى فى الهند ، فوجد انجيلا لمتى الرسول مكتوبا بالعبرانية ، فجاء به الى الاسكندرية ، وبقى محفوظا فى مكتبة قيصرية الى ايامه ، لكن هذه النسخة العبرانية قد فقدت، وبعد فقدها ظهرت ترجمتها فى اليونانية» أ هـ. وفى هذا يعين الكاتب تاريخ السنة الذى دون فيها الانجيل ، ولكن لا يعين المترجم . بل يذكر انه غير معروف ، بينما نرى ابن البطريق يعين انه يوحنا صاحب الانجيل المسمى باسمه .

ويقول بالنسبة لتاريخ التدوين صاحب كتاب (مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين) : « أن متى بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين كتب انجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا ، ومرقس ولوقا كتبا انجيلهما قبل خراب اورشليم . ولكن لا يمكن الجزم فى اية سنة كتب كل منهم بعد صعود المخلص ، لانه ليس عندنا نص الهى على ذلك » .

وقال صاحب ذخيرة الالباب : « ان القديس متى كتب انجيله فى السنة ٤١ للمسيح باللغة المتعارفة يومئذ فى فلسطين ، وهى العبرانية أو السيروكلدانية .. ثم ماعتم هذا الانجيل ان ترجم الى اليونانية. ثم تغلب استعمال الترجمة على الاصل الذى لعبت به أيدى النساخ الايونيين ومسخته بحيث اضحى ذلك الاصل خاملا ، بل مفقودا ، وذلك منذ القرن الحادى عشر » .

وقال الدكتور بوست فى قاموس الكتاب المقدس ، مخالفا جمهور المتقدمين فى انه كتب بالعبرانية او السريانية : « ان هناك من يقول انه كتب

باليونانية ، ثم يرجح انه الف بالبونانية مخالفا بذلك اجمـــاع مؤرخيهم . ثم يقول بالنسبة لتاريخ تدوينه : « ولا بد ان يكون هذا الانجيل قد كتب قبل خراب اورشليم» ويظن البعض «ان الانجيل الحالى كتب مابين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ » . والحق ان باب الاختلاف فى شأن التاريخ لا يمكن سده ، ولايمكن ترجيح رواية ، ولاجعل تاريخ اولى من تاريخ بالاتباع، وذلك يقول هورن : « الف الانجيل الأول سنة ٣٧ او سنة ٣٨ او سنة ٤١ او سنة ٤٣ او سنة ٤٨ او سنة ٦١ او سنة ٦٢ او سنة ٦٣ او سنة ٦٤ من الميلاد » . ونقول نحن : « يجوز غير ذلك ، والجمهور على انه كتب بغير اليونانية ، ولكن لم يعرف غيرها ، ولم يعـــرف جمهـــرة المؤرخين من يكون المترجم ، وفى أى عصر ترجم ، وقد علمت ان ابن البطريق يذكر ان يوحنا هو الذى ترجمه الى اليونانية ، ولكن لا نجد أحدا من المؤرخين ايده، بل ان الكثيرين منهم يقولون : « انه لم يعرف المترجم » .

اثر جهـــل تاريخ التـــدوين والمترجم :

٢٩ — لاشك ان جهل تاريخ التدوين ، وجهل النســخة الاصـــلية التى كانت بالعبرية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح او غيره ، وعلم باللغتين اللتين ترجم عنها والتى ترجم اليها ، كل هذا يؤدى الى فقد حلقات فى البحث العلمى ، ولئن تسامح الباحث فى تاريخ التدوين ، وتاريخ الترجمة وملابساتها ، ليمنعنه العـــلم من الاسترســـال فى التسامح ، حتى لا يرى أن المســـلسلة تكون كاملة اذا لم يعرف الأصل الذى ترجم ، فلقد وددنا ان نعرف ذلك الأصل ، لنعرف اكانت الترجمـــة طبق الأصل ، أم فيهـــا انحراف ، ولنعرف افهم المترجم مرامى العبارات ومعانيها ، ســـواء اكانت هذه المعانى تفهم بظاهر القول او باشاراته ، أم بلحن القول وتلويحاته ، أم بروح المؤلف وغرضـــه ، ومرماه الكلى من الكلام . ولكن عز علينا العلم بالاصل ، ولقد كنا نتعزى عن ذلك لو عرفنا المترجم ، وانه ثبت ثقة امين فى النقل ، عالم لايتزيد على العلماء ، فقيه فى المســـيحية حجة فيها ، عارفـــه للغتين فاهم لهما ، مجيد فى التعبير بهما ، فعندئذ كنا نقول : ثقة روى عن ثقة بترجمته ، ونسد الخلة بتلك الرواية ، ونراقب الظلمة بتلك النظرة، ولكن قد امتنع هذا ايضا ، فقال جمهرة علمائهم : ان المترجم لم يعرف ، فبقيت الظلمة من غير ما يرأبها .

انجيـــل مرقس :

٣٠ ــ يقول المؤرخون ان اسمه يوحنا ويلقب بمرقس ، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح ، واختصهم بالزلفى اليه، واصله من اليهود ، وكانت اسرته بأورشليم فى وقت ظهور السيد المسيح، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته ، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس فى اعتقادهم من بعد رفعه، والهموا بالتبشير بالمسيحية، كما الهموا بمادئها. ويقول صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية : «وقد اجمعت تقاليد الطوائف المسيحية على ان الرب يسوع كان يتردد على بيتـــه ، وانه فى هذا البيت لكل الفصح مع تلاميذه ، وفى احدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ » . وجاء فى سفر الأعمال : « ان الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون فى بيته » ولقـــد لازم مرقس خاله برنابا (وهو من الرسل) وبولس الرســـول فى رحلتهما الى انطاكية وتبشيرهما بالمسيحية فيها ، ثم تركهما بعد ذلك ، وعاد الى أورشليم ، ثم التقى مرة اخرى بخاله ، واصطحبه الى قبرص، ثم افترقا ، فذهب الى شمال افريقية ودخل مصر فى منتصف القرن الاول ، فاقام بها وأخذ يدعو الى المسيحية التى كانت اخبارها قد سبقته اليها ، وقد وجد فى مصر ارضا خصبة لقبول دعوته ، فدخل فيها عدد كبير من المصريين ، وكان يسافر من مصر احيانا الى رومة واحيانا الى شمال افريقية ، ولكن مصر كانت المستقر الأمين له، فاستمر بها الى ان ائتمر به الوثنيون ، فقتلوه بعد أن سجنوه وعذبوه ، وكان ذلك سنة ٦٢ من الميلاد ، وقد جاء فى كتاب مروج الاخبار فى تراجم الابرار ان مرقس كان ينكر الوهية المسيح هو واستاذه بطرس الحوارى ، وقد جاء فى ذلك الكتاب عن مرقس : « صنف انجيله بطلب من أهالى رومية، وكان ينكر الوهية المسيح » .

اللغة التى كتب بها انجيل مرقس وتاريخ تدوينه والاختـــلاف فيه وفى الكاتب :

٣١ ــ وقد كتب هذا الانجيل باللغة اليونانية، ولم نر أحدا من كتاب المسيحيين ناقض ذلك ، وقد ذكر الدكتور بوست فى كتابه (قاموس الكتاب المقدس) انه كتب الانجيل باليونانية ، وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية ، واخذ من ذلك انه كتب فى رومة . ويجىء ذلك فى تاريخ ابن البطـــريق ،

عليه : « وفى عصر تارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريين انجيل مرقس من مرقس فى مدينة رومية ، ونسبه الى مرقس » .

ونوجه نظر القارىء الى ماقاله ابن البطريق من ان الذى كتب الانجيل هو بطرس عن مرقس ، ونسبه اليه ، فكان بطرس راوى مرقس . مع ان الاول رئيس الحواريين — كما يقول ابن البطريق — والثانى من تلاميذه ، كما جاء فى كتاب مروج الاخبار فى تراجم الابرار . واذا كان ذلك الانجيل خلاصة علمه بالمسيحية ، فاذا رواه عنه استاذه، فقد روى هذا عن مرقس ما القاه عليه وعلمه ، وان ذلك لغريب ، ولقد ذكر هذا الامر صاحب مرشد الطالبين : « قد زعم ان انجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ لنفع الامم الذين كان ينصرهم بخدمته » . وقد ذكر الامر بلفظ الزعم ، كانه لا يصدقه، وانه لا يراه مقبولا ، كما نراه غريبا ، ولكن هكذا يذكر الرواة . وبجوار هؤلاء الذين يقولون او يزعمون ان انجيل مرقس كتب بتدبير من بطرس ، وبولس ، فقد قرر الكاتب القديم اريبيوس : « ان مرقس كتب انجيله بعد موت بطـــرس وبولس » .

وفى الحق ان ذلك الاختلاف ، وان كان زمنيا فى ظاهره ، هو فى معناه ولبه ، اختلاف فى شخص المحرر لهذا الانجيل . فابن البطريق ، وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر أن الذى كتبه هو بطرس عن مرقس ، ونســبه اليه ، واريبيوس يقرر ان الذى كتبه هو مرقس من غير تدبير بطرس ، لانه كتبه بعد موته . فمن الكاتب اذن ؟ ليس بين ايدينا مانرجح به احدى الروايتين على الاخرى ! . ولنتجاوز هذا الى تاريخ كتابة ذلك الانجيل ، فنجدهم ايضا قد اختلفوا فى زمان تاليفه . وقدقال فى ذلك هورن: « الف الانجيل الثانى سنة ٥٦ وما بعدها الى سنة ٦٥ والاغلب انه الف سنة ٦٠ او سنة ٦٣ » ، ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين : انه كتب ســـنة ٦١ .

انجيـــل لوقـا :

٣٢ — يقولون : ان لوقا ولد فى انطاكية ، ودرس الطب ، ونجح فى ممارسته ولم يكن من اصل يهودى، ولقد رافق بولس فى اسفاره واعماله،

وجاء فى رسائل بولس ما يشير الى هذه الرفقة ، وتلك الملازمة . ففى الاصحاح الرابع من رسالته الى كولوسى يقول : « ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب » ، وفى الاصحاح الرابع من رسالته الثانية الى اهل تيموتاوس يقول : « لوقا وحده معى » ، وفى رسالته الى اهل فليمون يقول: « مرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معى » . من هذا كله يفهم أن لوقا هذا هو الانطاكى ، الطبيب ، ومثل هذا جاء فى تاريخ ابن البطريق؛ ويستنبط القس ابراهيم سعيد من كون لوقا طبيبا معانى كثيرة تسمو بانجيله ، فيقول : « وكان لوقا طبيبا ، وهذه المهنة لهـا قيمتها الخاصة لأنها ألقى على حياة لوقا نورا ساطعا ، فنرينا اياه الرجل العلمى العملى المدقق المحقق ، الرشيق الأسلوب ، الجميل الديباجة ، لأن الرومان لم يسمحوا فى وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب ، الا لمن جاز امتحانات عدة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة » ، ثم يبين : « أن كونه طبيبا قد سرد ولادة المسيح من غير أب سردا طبيعيا هادئا من غير محاولة التدليل على جوازه ، يؤخذ منه ان ذلك ليس ضد العلم ، وان كان فوق متناول العالم ، وليس ضد الطبيعة ، وانه فوق مجرى الطبيعة » . ويرجح — كما قال كثيرون — انه ولد بانطاكية ، ولكن الدكتور بوست يقرر انه لم يكن انطاكيا ، ويبين أن الذين يقولون انه انطاكى وهموا ذلك أو ظنوه من اشتباهه بلوكيوس ، فيقول : ظن بعضهم انه (لوقا) مولود فى انطاكية الا أن ذلك ناتج من اشتباهه بلوكيوس . وزعم بوست انه كان رومانيا نشأ بايطاليا . ومهنة الطب التى نسب اليها ليست أيضا موضع اتفاق ، لأن بين المؤرخين المسيحيين من يقررون انه كان مصورا .

ومن هذا يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقينى بمولد وصناعة كاتب هذا الانجيل ، فمن قائل انه انطاكى ولد بانطاكية ، ومن قائل انه رومانى ولد بايطاليا ، ومن قائل انه كان طبيبا ، ومن قائل انه كان مصورا ، وكلهم يتفقون على انه من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا من تلاميذ حواريه . ولبولس هذا شأن خطير فى المسيحية كما سنبين .

من كتب لهم انجيل لوقا ، ولغته ، واختلافهم حوله :

ويختلفون أيضا فى القوم الذين كتب لهم أولا هذا الانجيل . فالقس ابراهيم سعيد يقول : « انه كتب لليونان ، وانجيل متى كتب لليهود . وانجيل

مرقس يقول كتب للرومان ، وانجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة » . وانا نجد انجيل لوقا يبتدىء بهذه الجملة : « اذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا . كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين ، رأيت أيضا ، اذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » . وثاوفيلس هذا يقول عنه ابن البطريق انه من عظماء الروم ، فيقول فى ذلك : « وكتب لوقا انجيله الى رجل شريف من علماء الروم يقال له ثاوفيلا . وكتب اليه أيضا الأبركسيس الذى هو اخبار التلاميذ » وهى الرسالة المسماة أعمال الرسل ، وهناك من يقول ان ثاوفيلس هذا كان مصريا ، لا يونانيا ، فهو قد كتب للمصريين لا لليونانيين .

ويقول الدكتور بوست فى تاريخه : « قد كتب هذا الانجيل قبل خراب أورشليم وقبل الاعمال ، ويرجح انه كتب فى قيصرية فى فلسطين مدة اسر بولس بسنة ٥٨ — ٦٠ من الميلاد غير أن البعض يظنون انه كتب قبل ذلك » . ومن هذا يفهم أن بوست يرجح أنه الف وبولس حى فى الاسر ، ولكن يحقق العلامة لارون انه حرر انجيله بعد أن حرر مرقس انجيله ، وذلك بعد موت بطرس ، وبولس . والواقع ان باب الخلاف فى تاريخ تدوين هذا الانجيل اوسع من ذلك ، فقد قال هورن : الف الانجيل الثالث سنة ٥٣ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ .

ولا نترك هذا الانجيل من غير أن نقول ان الباحثين قد اختلفوا فى شخصية كاتبه وفى صناعته ، وفى القوم الذين كتب لهم ، وفى تاريخ تأليفه ، ولم يتفقوا الا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ تلاميذه . والا على أنه كتب باليونانية .

انجيل يوحنا :

٣٣ — لهذا الانجيل خطر وشأن أكثر من غيره فى نظر الباحث ، لانه الانجيل الذى تضمنت سطوره ذكرا صريحا لالوهية المسيح ، فهذه الالوهية يعتبر هو نص اثباتها وركن الاستدلال فيها . ولذلك كان لابد من العناية به ، اذ كان التثليث هو شعار المسيحية ، وهو موضع مخالفتها لديانات التوحيد ، واساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات .

(م ٤ — محاضرات فى النصرانية)

ويقول جمهور النصارى : أن كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحوارى ابن زبدى الصياد الذى كان يحبه السيد المسيح ، حتى انه استودعه والدته وهو فوق الصليب ، كما يعتقدون ، وقد نفى فى أيام الاضطهاد الأولى ، ثم عاد الى افسس ، وليث يبشر فيها ، حتى توفى شيخا هرما .

هذه خلاصة ما جاء بكتاب مرشد الطالبين ، ولكن بجوار هؤلاء من محققى المسيحيين من أنكر ان يكون كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحوارى ، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت الى الأول بصلة روحية ، وان ذلك الانكار لم يكن من ثمرات هذه الاجيال ، بل ابتدأ فى القرن الثانى الميلادى ، فان العلماء بالمسيحية فى القرن الثانى الميلادى انكروا نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحوارى ، وكان بين ظهرانيهم اريتيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحوارى ، ولم يرد عليهم بانه سمع من استاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه بوليكارب ، ولأعلم هذا تلميذه ازينيوس ، ولأعلن هذا تلك النسبة عندما شاع انكارها . ولقد قال استاذنا فى العصور المتأخرة : « ان كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ، ولقد كانت فرقة الوجين فى القرن الثانى تنكر هذا الانجيل وجميع ما اسند الى يوحنا ، ولقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تاليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه : « اما انجيل يوحنا فانه لا مرية ولا شك كتاب مزور اراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض . وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب انه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فاخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وانا لنراف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولو باوهى رابطة ، ذلك الرجل الفلسفى — الذى الف هذا الكتاب فى الجيل الثانى — بالحوارى يوحنا الصياد الجليل ، فان اعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى » .

هذا قول بعض الباحثين من كتابهم : « ومن البدهى ان يعد المتعصبون ذلك القول خروجا على وجه المسيحية ، ولذلك قال احد هؤلاء المتعصبين،

وهو الدكتور بوست رادا على هؤلاء : وقد انكر بعض الكفار قانونية هذا الانجيل ، لكراهتهم تعليمه الروحي ، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح ، غير ان الشهادة بصحته كافية ، فان بطرس يشير الى آية منه (٢ بط ١ : ١٤ قال يو ٢١ ، ١٨) واغناطيوس وبوليكرس يقتطفان من روحه ونحواه . وكذلك الرسالة الى ديوغنيتس وبلميلوس وجوستينس الشهيد وتاتيانس ، وهذه الشواهد يرجع بنا زمانها الى منتصف القرن الثاني ، وبناء على هذه الشهادات ، وعلى نفس كتابه الذي يوافق ما نعلمه من سيرة يوحنا نحكم بانه من تلميذه ، والا فكاتبه من المكر والغش على جانب عظيم ، وهذا الأمر يصير تصديقه ، لان الذي يقصد أن يغش العالم لا يكون روحيا ، ولا يتصل الى علم وعمق الافكار والصلات الموجود فيه ، واذا قابلناه بمؤلفات الآباء رأينا بينه وبينها بونا عظيما ، حتى نضطر للحكم بانه لم يكن منهم من كان قادرا على تأليف كذا ، بل لم يكن بين التلاميذ من يقدر عليه الا يوحنا ، ويوحنا ذاته لا يستطيع تأليفه بدون الهام من ربه » .

واذا نظرنا الى هذا القول نظرة فاحصة كاشفة نفسه قسمين ، قسم يعلن به الكاتب شدة ايمانه وتعصبه لما يشتمل عليه هذا الكتاب وتقديسه . وهو القسم الذي ذكره في عجز قوله ، وهو انه لا يستطيع احد من الآباء ، بل لا يستطيعه احد من الحواريين ، بل لا يستطيعه الكاتب نفسه الا بالهام من ربه ، ويلحق بهذا الجزء ما سبقه مما يماثله ، فان من الخطأ ان يعد ذلك برهنة واحتجاجا ، فانه ليس فيه اية محاولة لها ، اما القسم الثاني فهو ما يصح ان يعتبر محاولة للاستدلال وهو ما ذكر في صدر قوله ، فانه يقرر الاتفاق بين نص جاء فيه ، ونص جاء في رسالة بطرس الثانية ، فهو يقول : ان الفقرة الرابعة عشرة من الاصحاح الاول ونصها مع الفقرة التي قبلها : « ١٣ — ولكني احسبه حقا ما دمت في هذا المسكن ان انهضكم بالتذكرة — ١٤ — عالما ان خلع مسكني قريب ، كما اعلن ربنا يسوع المسيح ايضا » موافقة للفقرة الثامنة عشرة من الاصحاح الحادي والعشرين من انجيل يوحنا ونصها : « الحق الحق اقول لك لما كنت اكثر حداثة كنت تنطق ذلك ، وتمشي حيث تشاء ، ولكن متى شخت فانك تمد يدك ، وآخر يمنطقك ، ويحملك حيث لا تشاء » .

ونحن لا نجد موافقة بين الفقرتين لا فى اللفظ ولا فى المعنى ، واستولى علينا العجب من ادعاء الموافقة ، ولا جامع بينهما ، فظننا ان هناك خطأ فيما كتبه الدكتور بوست ، وقلنا لعله يريد الرسالة الأولى لا الرسالة الثانية ، فرجعنا الى الفقرة الرابعة عشرة من الاصحاح الأول من الرسالة الأولى ، فوجدنا نصها هى وما قبلها هكذا : « لذلك تنطقوا احقاء ذهنكم صاحين فالقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التى يؤتى بها اليكم عند استعلان يسوع المسيح كأولاد الطاعة ، ولا تشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم » . وهنا نجد بعضا من الموافقة فى اللفظ ، والموافقة فى المعنى ، فرجحنا أنه اراد هذه الرسالة ، وسبق قلمه فدون الثانية بدل الأولى ، وعلى ذلك نناقش القول على اساسها ، واساس المناقشة ما نعرفه من ان المتاخر ان وافق قوله من سبقه يكون قوله شهادة للسابق ، ولا يكون قول السابق شهادة له ، وايهما اسبق تدوينا رسالة بطرس أم انجيل يوحنا ، وقد اتفق مؤرخو النصرانية على أن بطرس قتله نيرون ، ويقول فى ذلك ابن البطريق : « واخذ نارون قيصر لبطرس فصلبه منكسا وقتله ، لان بطرس قال له : أن أردت أن تصلبنى فاصلبنى منكسا لئلا اتشبه بسيدى المسيح ، فانه صلب قائما » .. وعاش بطرس بعد السيد المسيح اثنتين وثلاثين سنة ، فكان بطرس قتل بعد ميلاد المسيح بنحو ٦٥ ، لان المسيح صلب فى اعتقادهم ، وله ثلاث وثلاثون سنة ، يضاف اليها اثنتان وثلاثون سنة عاشها بعده بطرس . ومن المؤكد ان انجيل يوحنا كتب بعد ذلك ، فقد كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ على ما اعتمد الدكتور بوست ، فاذا وجدنا اتفاقا بين ما كتب فى هذا الانجيل ، وما جاء فى رسالة بطرس يجب أن يكون كاتب هذا الانجيل شاهدا لبطرس ، لا أن بطرس شاهد له ، وشهادة انجيل يوحنا لا قيمة لها لانها شهادة انجيل فى نظر من انكروه مجهول غير معروف يحتاج الى دليل ، فلا حجة فى هذا الأمر ، وعلى ذلك يكون الأمر فى غيره من الشهادات ، وسنبين عند مناقشة كتبهم كثيراً من أوجه النقد فيها .

تاريخ تدوين هذا الانجيل وسبب تدوينه :

٤٣ — ولقد اختلف المسيحيون فى تاريخ تدوين هذا الانجيل اختلافا بينا ، فالدكتور بوست يرجح انه كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ وقيل سنة ٩٦ ، ويقول صورن فى تاريخ تدوين ذلك الانجيل : الف الانجيل الرابع سنة ٦٨

او سنة ٦٩ أوسنة ٧٠ أوسنة ٨٩ أوسنة ٩٨ من الميلاد » اذن فليس هناك تاريخ محرر لتدوين هذا الانجيل ، كما انه ليس هناك بيان قد خلص من الشك بحقيقة كاتبه ، وقد علمت ما فى ذلك .

ولقد قالوا انه كتب لغرض خاص ، وهو ان بعض الناس قد سادت عندهم فكرة ان المسيح ليس الها ، وان كثيرين من فرق الشرق كانت تقر تلك الحقيقة ، فطلب الى يوحنا ان يكتب انجيلا يتضمن بيان هذه الالوهية، فكتب هـذا الانجيل ، وقد قاله جرجس زوين اللبنـانى فيما ترجمه : « ان شـيرينطوس وابيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس الا انسانا . وانه لم يكن قبل امه مريم فلذلك فى سنة ٩٦ اجتمع عموم اساقفة آسـيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه ان يكتب عن المسيح ، وينادى بانجيل مما لم يكتبه الانجيليون الآخرون ، وان يكتب بنوع خصوصى لاهوت المسيح » قال يوسف الدبس الخورى فى مقدمة تفسيره : (من نحلة الجبل) ان يوحنا صنف انجيله فى آخر حياته بطلب من اساقفة كنائس آسيا وغيرها ، والسبب انه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه اثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ، ولوقا فى اناجيلهم ، وقال صاحب مرشد الطالبين : انه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التى فيها كتب يوحنا انجيله ، فان بعضهم يزعم انه كتبه فى سنة ٦٥ قبل خـراب أورشليم ، واخرون ممن يوجد فيهم بعض الاقدمين يرون بكتابته فى سنة ٩٨، وذلك بعد رجوعه من المنفى ، فالمقصد بكتابته ابقاء بعض مبادرات المسـيح الضرورية ذات القوى مما لم ينكره باقى الانجيليين. وافناء لبعض هرطقات مفسدة ؛ اشهرها معلمون كذبة فى شأن ناسـوت المسيح وموته ، وخاصة ترسيخ النصارى الاوائل فى الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم ، وقد قيل أن يوحنا لم يؤلف انجيله الا بعد صلاة عامة قلبية مع التبعية لأجل أن يوحيه الروح القدس بذلك » .

ما يستنبط من سـبب كتابته :

٣٥ — من هذه النقول يستفاد أن كتاب النصارى يجمعون أويكادون على أن الانجيل المنسوب الى يوحنا كتب لاثبات الوهية المسيح التى اختلفوا فى شأنها ، لعدم وجود نص فى الاناجيل الثلاثة يعينها. وهنا لايسع القارىء لتلك النقول الا ان يستنبط امرين : (احدهما) صريح وهو أن الانجيل

الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على الوهية المسيح ، اوهى كانت كذلك قبل تدوين الانجيل الرابع على الأقل ، وهذه حقيقة يجب تسجيلها ، وهى أن النصارى مكثت اناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على الوهية المسيح ، (وثانيهما) أن الاساقفة اعتنقوا الوهية المسيح قبل وجود الانجيل الذى يدل عليها ، ويصرح بها ، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ، وبدعوا هرطقتهم فى زعمهم لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك ، فاتجهوا الى يوحنا ، فكتب كما يقولون انجيله الذى يشتمل على الحجة ، وبرهان القضية ، والبينة فيها على زعمهم ، وهـذا ينبىء عن أن الاعتقاد بالوهية المسيح سابق لوجـــود نص فى الكتب عليه ، والا لما اضطروا اضطرارا الى انجيل جديد طلبوه افتقدوه ، فلما لم يجدوا طلبوا من يوحنا أن يكتبه . ولكن الواقع أن رسـائل الرسـل التى كتبت فى أولهم قبل هذا الانجيل ، فيها ما ينبىء عن الوهية المسيح ، ويعلنها ، فلم تكن فيها حجة لا تجعلهم فى حاجة ماسة الى انجيل جديد ، وليها غناء من البيان يغنيهم عن سواه أم لعل تلك الرسائل المشتملة على هذه الالوهية كتبت بعد هذا الانجيل ليؤيدوه بها ، وليثبت ما اتى به ، ويرسخ فى نفوس المسيحيين ، ثم نسبت الى السابقين .

هذا تنبيه مجمل اضطرنا سياق البحث لبيانه قبل اوانه ، وفى غير مكانه ، وله فى البحث موضع ، يغنى فيه الاجمال عن التفصيل .

هـذه الاناجيـل لم تنزل على عيسى عليه السـلام :

٣٦ — هذه هى الاناجيل التى ذكرناها كما كتب النصارى ، لا كما يعتقد غيرهم ، ونلقى عليها نظرة علمية بعد الكلام فى بقية الكتب ، ولكن يجدر بنا هنا أن نتبه الى أن هذه الأناجيل ليست نازلة على عيسى عليه السلام فى نظرهم ، وليست منسوبة له . ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه ، ومن ينتمى اليهم ، وهى تشتمل على أخبار المسيح وقصصه ، ومحاوراته ، وخطبه ، وابتدائه ونهايته فى الدنيا كما يعتقدون هم .

انجيـــل عيسى :

ولكن هل هناك انجيل غيرها يعد انجيل عيسى ؟ وهل فى كتابات الباحثين من النصارى ما يدل على ثبوت هذا الانجيل ، وان كنا لا نجده ؟

نجد فى هذه الاناجيل عبارات تذكر كلمة انجيل او بشارة (وهى ترجمة لكلمة انجيل باليونانية) مضافة احيانا الى المسيح على انه ابن الله ، واحيانا الى الله ، واحيانا الى ملكوت الله ، فنرى مثلا فى انجيل متى فى الاصحاح الرابع منه ما نصه : « وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض ، وكل ضعف فى الشعب » ، وبشارة الملكوت هى ترجمة كلمة انجيل باليونانية ، ونرى فى انجيل مرقس فى الاصحاح الاول منه : « وبعد ما اسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » وجاء فى رسالة بولس الى اهل رومية فى الاصحاح الاول منها : « اولا اشكر الهى يسوع المسيح من جهة جميعكم ، ان ايمانكم ينادى به فى كل العالم، فان الله الذى اعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع انكركم ... » ويجىء فى رسالته الاولى الى اهل كورنثوس فى اصحاحها التاسع : « بصرت الضعفاء كضعيف لاربح الضعفاء ، صرت للكل كل شىء لاخلص على كل حال قوما ، وهذا انا افعله لاجل الانجيل ، لاكون شريكا فيه » ففى هذا كله نجد كلمة انجيل اوكلمة بشارة (وهى ترجمة كلمة انجيل باليونانية) مضافة الى ملكوت الله ، كما فى انجيل متى ومرقس، وانجيل الابن كما فى رسالة بولس الى اهل رومية ، وكلمة الانجيل من غير اضافة كما فى انجيل مرقس ، ورسالة بولس الى اهل كورنثوس الاولى ، ولا شك ان الانجيل المذكور فى كل هذا ليس واحدا من هذه الاناجيل لانها لا تضاف الا الى اصحابها باتفاق النصارى ، ولان المسيح قد وعظ بهذا الانجيل ، كما جاء فى عبارة متى التى نقلناها ، ولم يكن واحد من هذه الاناجيل قد وجد فى عهده بالاتفاق ، وليس من المعقول أن يعظ باقواله تلاميذه ، وهم بعد لا يزالون فى دور التعلم ، ولان هذا الانجيل قد ذكر فى هذه الاناجيل على انه كان قائما فى عهد عيسى ، ولانه ذكر من غير نسبة كما فى انجيل مرقس ورسالة بولس الاولى الى اهل كورنثوس، وليس واحد من هذه الاربعة تنصرف اليه كلمة انجيل من غير نسبته الى صاحبه ، ولانه ذكر فى رسالة بولس الى اهل رومية منسوبا الى المسيح الابن ، وليس واحد من هذه الاناجيل يستحق هذا الاسم ، لهذا كله نقول : ليس هذا الانجيل واحدا منها كما تقضى بذلك طبيعة السياق ، وكما يقضى بذلك

العقل ، واذا كان الأمر كذلك ، فهل لنا ان نفهم أن هناك انجيلا اصيلا نزل على عيسى وكرز به على حد تعبيرهم ووعظ . ويعتبر الأصل لهذه الديانة؟

اقوال علمـــاء النصرانية فى انجيـــل عيسى :

ولقد يمهد لذلك الراى ، ويرشحه ـــ اننا وجدنا من مؤرخى المسيحية الاحرار الذين لم يقيدهم فى بحثهم الا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بانه كانت فى القرن الاول رسـالة تعتبر أصـــلا لهذه الاناجيل فيما جاء به المسيح ، وخلاصة احواله ، وهـــذا ترجمة ما قاله نارتن فى كتاب له : « قال اكهارن فى كتابه : انه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان احوال المسيح رسـالة مختصرة يجوز ان يقال انها هى الانجيل الاصلى ، والغالب ان هذا الانجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا اقوال المسيح بآذانهم، ولم يروا احواله باعينهم . وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الاحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » .

إذن فهؤلاء الاحرار يقررون انه كان هناك انجيل يعد من المسيحية بمنزلة القلب ، ولكنه غير موجود ، فهـــل لنا أن نقول ان ذلك الانجيـــل هو المشار اليه فى أقوال متى ، ومرقس ، وبولس السابقة ، وهو الذى نزل على عيسى ، أهو انجيله وانجيل الله ؟ ليت ، وهل ينفع شيئا ليت ، ليت هذا الانجيل كان قائما ، وحرصت الكنيسة على بقائه . وقامت بحياطته، ليكون فيصلا بين المختلفين ، وحكما بين الفرق والمفترقين، وليكون قسطاس المجامع القديمة والحديثة التى حكمت حين الانشـقاق، وليكون مصدرا علميا لمن يكتب فى المسيحية الاولى . ويتبعها فى مدارجها فى احقـــاب الزمن ، وملابســـات التـــاريخ .

انجيـــل برنابا :

٣٧ ـــ لقد كتبنا خلاصة ما بينه المسيحيون فى اناجيلهم الاربعـــة ، واستنبطنا من نصوصها ما يدل على وجود انجيل أصيل ، هى منه الفرع من الأصل ، على أن فى ذلك كلاما قد طـــوينا ه الى موضعه من القول ، وقد ابدينا فى استنباطنا بعض الاحرار المسيحيين ، واستنبطوا قرينـــا لما استنبطنا ، وقبل أن نغادر الكلام فى الاناجيل الى الكلام فى الرسائل يجدر بنا أن نتكلم فى انجيل جديد قد كشف عنه البحث العلمى ، وقد حمل

من الامارات ما يدل على انه فى نشأته يمتد الى ابعد أعماق التاريخ المسيحى، وابعد اغواره ، وهو يشبه الاناجيل القائمة فى انه قصة المسيح من ولادته الى اتهامه . ويحكى محاوراته ، ومناقشاته وخطبه ، ولكن الكنيسة لم تعترف به وانكرته ، فليس معتبرا عند المسيحيين مصدرا دينيا ، ولكنه متداول بين علماء الامم الاوربية ، وقد اتجهوا اليه بالبحث والعناية ، والاهتمام ، ولم يمنعهم من ذلك انكار الكنيسة له . ذلك الانجيل هو انجيل برنابا ، ومن الحق علينا أن ندرسه، ونعرف راى المسيحيين فيه، ومايؤدى اليه النظر العلمى من غير التفات عليهم ولا تهجم، ومن غير ان نقحم انفسنا فيما ليس لنا من املاء عقيدة على القوم فى دينهم .

بـــرنابا :

٣٨ — جاء ذكر برنابا فى رسالة أعمال الرسل التى ينسب تدوينها الى لوقا . فقد جاء فى الاصحاح الرابع من تلك الرسالة : « ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ : وهو لاوى قبرصى الجنس، اذ كان له حقل باعه واتى بالدراهم ، ووضعها عند ارجل الرسل » ، وجاء فى الاصحاح التاسع عند الكلام عن ايمان شاول — وهذا هو الذى اشتهر بعدئذ باسم بولس الرسول — ان برنابا هو الذى شهد له بالايمان ، وهو نص ما جاء فيه : « ولما جاء شاول الى اورشليم حاول ان يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ ، فاخذه برنابا وأحضره الى الرسل . وحدثهم كيف ابصر الرب فى الطريق . وانه كلمه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع » ولقد ذكر ذلك السفر ايضا انه كانت ترسله الكنيسة للوعظ والهداية ، وفى الاصحاح الحادى عشر : « فسمع الخبر عنهم فى آذن الكنيسة التى فى اورشليم . فارسلوا برنابا لكى يجتاز الى انطاكية ، الذى لما اتى ، ورأى نعمة الله فرح ووعظ ان يثبتوا فى الرب بعزم القلب . لانه كان رجلا صالحا ، ومملوا من الروح القدس والايمان، فانضم الى الرب جمع غفير ثم خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول ، ولما وجده جاء به الى انطاكية ... » ، ويزعمون ان الروح القدس خاطبه واختصه بالخطاب هو وبولس (شاول) من بين الانبياء والمعلمين ، فقد جاء فى الاصحاح الثالث عشر من رسالة الاعمال : « وكان فى انطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون : برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ،

ولوكيوس القيروانى ، ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس الربع ، وشاول .

وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس : افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم اطلقوهما ، فهذان ، اذ ارسلا من الروح القدس انحدرا الى سلوكية ، ومن هناك سافرا فى البحر الى قبرص . ولما صارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود . وكان معهما يوحنا خادما » وقد استمر برنابا وبولس مصاحبين فى التبشير بالديانة المسيحية فى قبرص . وحدثت على ايديهما المعجزات ، حتى زعم الناس انهما الهان . وجاء فيه عن بيان وقع الخبر عليهما : فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما ، واندفعا الى الجمع صارخين وقائلين . « ايها الرجال لماذا تفعلون هذا ؟ نحن بشر تحت آلام مثلكم .. نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل الى الاله الحى الذى خلق السماء والارض والبحر وكل ما فيها ، الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الامم ، مع انه لم يترك نفسه بلا شاهد » .

ومن هذا كله يتبين لن رسالة الاعمال تشهد ان برنابا كان من الرسل فى اعتقادهم ، الذين اخلصوا للدعوة الى المسيحية ، حتى باع كل مايملك ؟ والقى بثمنه بين أيدى الرسل يتصرفون به فى سبيل نشر الدعوة ، وينفقونه فى حاجات الجميع . وانه هو الذى شهد لبولس بالايمان ، وان الكنيسة ارسلتهما مبشرين بالمسيحية فى قبرص بعد أن ارسلت برنابا وحده الى انطاكية ، وان برنابا كان رجلا صالحا ممتلئا من الروح ، وان الروح القدس خصه بعناية من بين الرسل والمعلمين كما يعتقدون .

وينص بولس فى رسالته الى اهل كولوسى فى اصحاحها الرابع على أن مرقس صاحب الإنجيل ابن اخت برنابا ، فيقول : « يسلم عليكم ارسترخص المأسور معى ، ومرقس ابن اخت برنابا الذى اخذتم لأجله ان آتى اليكم فاقبلوه » .

ولقد كان مرقس هذا يصاحب خاله وبولس فى سفرهما للدعاية والوعظ . ولقد افترقا بسبب ارادة برنابا أن يصحبهما ابن اخته فى الطواف فى المدن التى سبقت اليها الدعاية ، ومخالفة بولس لذلك ، ولذلك جاء

فى رسالة الاعمال فى اصحاحها الخامس عشر ما نصه : « ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا : لنرجع ونعتقد اخواننا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب، كيف هم ؟ فاشار برنابا ان ياخذ معهما ايضا يوحنا الذى يدعى مرقس ، واما بولس فكان يستحسن ان الذى فارقهما من بمفيلية ، ولم يذهب معهما للعمل لا ياخذانه معهما ، فحصل بينهما مشاجرة ، حتى فارق احدهما الآخر ، وبرنابا اخذ مرقس وسافر فى البحر الى قبرص، واما بولس فاختار سيلا ، وخرج مستودعا من الاخوة الى نعمة الله » .

ولقد اشرنا الى الصلة بين برنابا ومرقس صاحب الانجيل عند الكلام فى انجيل مرقس ، ونقلنا من كتب المسيحيين ما يدل على أن مرقس هذا ، وهو حجة عندهم باتفاق ، كان ينكر الوهية المسيح ، هو واستاذه بطرس، وقد نقلنا عن مروج الأخبار فى تراجم الابرار ما يدل على ذلك .

هل برنابا من الحـــواريين الاثنى عشر :

٣٩ — هذا هو برنابا . قديس من قديسى المسيحيين باتفاقهم ، ورسول من رسلهم ، وركن من الاركان التى قامت عليها الدعاية للمسيحية الأولى ، وقد وجد انجيل باسمه يدل على انه كان من الحواريين الذين اختصهم المسيح بالزلفى اليه ، والتقرب منه ، وملازمته فى سرائه وضرائه، ولكن كتب المسيحيين غير هذا الانجيل لاتعده من هؤلاء الحواريين وانكانت تعده من الرسل الذين يبلغون مكانة الحواريين فى هذا الدين بعد المسيح، ومهما يكن من شىء فى هذا الأمر ، وهو كونه من الحواريين أو ليس منهم ، فان برنابا حجة عند المسيحيين ، وهو من الملهمين فى اعتقادهم، فان صحت نسبة هذا الانجيل اليه كان مايشمله حجة عليهم ، يدعوهم الى ان يوازنوا بين ما جاء فيه وماجاء فى غيره من كتبهم ، ويؤخذ بما هو اقرب الى التصور والتصديق ، واصح سندا ، واقرب بالمسيحية الأولى رحما .

فلندرس الآن أقدم نسخة عرفت فى العصر الحديث .

اتفق المؤرخون على ان اقدم نسخة عثروا عليها لهذا الانجيل، نسخة مكتوبة باللغة الايطالية ، عثر عليها كريمر احد مستشارى ملك بروسيا ، وذلك فى سنة ١٧٠٩ وقد انتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار

فى سنة ١٧٣٨ الى البلاط الملكى بفيينا . وكانت تلك النسخة هى الاصل لكل نسخ هذا الانجيل فى اللغات التى ترجم اليها .

ولكن فى اوائل القرن الثامن عشر، أى فى زمن مقارب لظهور النسخة الايطالية وجدت نسخة اسبانية ترجمها المستشرق سايل الى اللغة الانجليزية ، ولكن لم يعلم من تلك النسخة وترجمتها الا شذرات اشار اليها الدكتور هوايت فى احدى الخطب، وقديل ان الذى ترجم النسخة الاسبانية الى تلك اللغة مسلم نقلها من الايطالية الى الاسبانية .

ولقد رجح المحققون أن النسخة الايطالية هى الاصل للنسخة الاسبانية ، وذلك أنها قد قدمت بمقدمة تذكر ان الذى كشف النقاب عن النسخة الايطالية التى كانت اصلا للنسخة الاسبانية راهب لاتينى اسمه فراميتو وانه يقص قصصها ، فيقول : « انه عثر على رسائل لايريانوس وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول ، ويسند تنديده الى انجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع الى البحث عن انجيل برنابا . وقد وصل الى مبتغاه لما صار احد المقربين الى البابا سكتس الخامس، فانه عثر على ذلك الانجيل فى مكتبة هذا البابا ، فاخفاه بين ازراره ، وطالعه ، فاعتنق الاسلام » ويظهر أن تلك النسخة هى نفس النسخة التى عثر عليها سنة ١٧٠٩ .

ويقول فى ذلك الدكتور سعادة مترجم الانجيل الى العربية: «اذا تحريت التاريخ وجدت أن زمن البابا سكتس المذكور نحو مغيب القرن السادس عشر . وقد علمت مما مر بك بيانه ان نوع الورق الذى سطر فيه انما هو ورق ايطالى يمكن تعيين اصله من الآثار المائية التى فيه ، والتى يمكن اتخاذها دليلا صادقا على تاريخ النسخة الايطالية والتاريخ الذى يحدسه العلماء « من كل ما تقدم بيانه يتراوح بين منتصف القرن الخامس عشر ، والسادس عشر ، وعليه فمن الممكن أن تكون النسخة الايطالية هى عينها التى اختلسها فراميتو من مكتبة البابا على ما مرت الاشارة اليه » .

الكلام فى صحة تسمية هذا الانجيل :

٤٠ — اقدم نسخة معروفة اذن هى النسخة الايطالية التى عثر عليها فى فجر القرن الثامن عشر ، ولكن وجودها يمتد الى منتصف القرن

الخامس عشر او اول القرن السادس عشر ، وقد وجدت فى جو مسيحى خالص ، فلا مظنة لان تكون مدخولة عليهم .

فاول من عثر عليها فى خزانة كتبه رئيس دينى خطير . وكاشفها راهب ، ولما تداولتها الايدى انتقلت الى مستشار مسيحى من مستشارى ملك بروسيا ، ثم آلت الى البلاط الملكى بفيينا فلا مظنة لان تكون مدخولة عليهم ، وهى منسوبة لقديس من القديسين هو برنابا ولم يعرف بهذا الاسم سواه ، له مثل مكانته الدينية . ولقد كان وجود انجيل له امرا معروفا بين العلماء بهذا الدين . فهذا فرامينو يقول انه اطلع على رسالة لاريانوس ينكر ما كتب بولس مستشهدا على استنكاره بانجيل برنابا .

وينكر التاريخ ان هناك اناجيل كثيرة حرمت قراءتها الكنيسة — كما أشرنا من قبل ، ويقول الدكتور سعادة : « ينكر التاريخ أمرا اصدره البابا جلاسيوس الاول الذى جلس على الاريكة البابوية سنة ٤٩٢ ميلادية يعدد فيه اسماء الكتب المنهى عن مطالعتها، وفى عدادها كتاب يسمى انجيل برنابا ، ويذهب بعض العلماء المدققين الى أن امر البابا جلاسيوس المشوه عنه انما هو برمته تزوير » .

ولكن التاريخ اصح واصدق من قول هؤلاء العلماء ، وان كانوا محققين ، فاقوال العلماء والمؤرخين تقرى فى تحريم قراءة اناجيل كثيرة . فاذا فعل ذلك البابا جلاسيوس فقد سار على سنة اسلافه ، وجرى على سنته من بعده اخلاف ، واذا صح ذلك الامر — كما يشهد التاريخ ، وكما تنبىء عنه المقدمات والنتائج ، فان انجيل برنابا كان معروفا متداولا قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم باكثر من قرنين .

وزعم الدكتور سعادة بانه لو كان معروفا فى ذلك الابان لعرفه النبى صلى الله عليه وسلم واحتج به ، أو اخذ منه — زعم باطل — لان النبى صلى الله عليه وسلم كان اميا لايقرأ ولايكتب ، ولم يقم فى البلاد التى سادتها المسيحية اماداً تمكنه من المعرفة والاطلاع ، ولان مضى قرنين من الزمان بعد التحريم يجعل التحريم ينتج اثره، فيخفى ماكان ذائعا ، ويدفن ما كان معلوماً مشهوراً فمائتان من السنين تكفى لطمس الموجود ، وتعفية آثار المفقود .

وان المسيحيين يجدون فيما يشتمل عليه ذلك الانجيل أخبارا دقيقة من التوراة حتى لقد يقول الدكتور سعادة : « انك اذا أعملت النظر فى هذا الانجيل وجدت لكاتبه الماما عجيبا باسفار العهد القديم لاتكاد تجد لها مثيلا بين طوائف النصارى الا فى افراد قليلين من الاخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفا على الدين ، كالمفسرين ، حتى انه ليندر أن يكون بين هؤلاء ايضا من له الماما بالتوراة يقرب من الماما كاتب انجيل برنابا » .

ترجيح صدق النسبة فى هذا الانجيل :

٤١ — هذه بينات شاهدة — وان لم تبلغ اليقين والجزم — بان نسبة هذا الانجيل الى برنابا نسبة يرجح ان تكون صحيحة، لانه وجدت نسخته الاولى فى جو مسيحى خالص ، وكان معروفا قبل ذلك بقرون ان لبرنابا انجيلا، وهو يدل على ان كاتبه على الماما تام بالتوراة التى لايعرفها الرجل المسيحى غير الاختصاصى فى علوم الدين ، بل يندر من يعرفها من المختصين ، وان برنابا كان من الدعاة الأولين الذين عملوا فى الدعوة عملا لا يقل من عمل بولس ، كما تذكر رسالة اعمال الرسل، فلابد ان تكون له رسالة او انجيل .

هذه بينات تشهد بان الانجيل الذى كشف وعرف صحيح النسبة ، ليس للمسلمين يد فيه، وان من ينحله للمسلمين كمن يحمل فى يده شيئا يظن فى حملة اتهاما له ، فيسند ملكيته الى غيره نفيا للتهمة عن نفسه . فهل ينيل منه ذلك النفى من غير حجة ولا دليل سوى أن فيه اتهاما له ؟ وهل يقر القضاء ذلك النفى ؟ .

قد يقول قائل : ان هذه البينات كلها مرجحة وليست يقينية ، ونحن نقول ان اكثر مسائل التاريخ ترجيح ، وليست يقينية جازمة ، فاذا كانت نسبة انجيل برنابا اليه ظنية تقبل الاحتمال فاننا نأخذ بذلك الظن، لانه المأخذ فى اكثر مسائل التاريخ ، والاحتمال الذى لا ينشأ عن دليل لا يلتفت اليه ، بجوار الاحتمال الناشىء عن دليل ، ووجود ذلك الانجيل بلغة مسيحية وبين ظهرانى المسيحيين ، وفى مكاتبهم الخاصة دليل على ان المسلمين ليست لهم يد فيه، ولذلك رجح جمهور المحققين انه ليس لهم يد فى انشائه .

ولكن زعم بعضهم أن اصله عربى ، وهو زعم ليس له دليل ، وعلى مدعى ذلك الأصل ان يبرزه ، ويبين تاريخ تدوينه ، ومقدار نسبته .

ولكن الدكتور سعادة يزعم أن اصله عربى بدليل أنه يوجد على النسخة الايطالية تعليقات عربية ، وأنه صرح فى التبشير باسم النبى ، مع أن المعهود فى البشارات الرمز لا النص .

ونحن نرد الاول بأن وجود تعليقات عربية يدل فقط على أن بعض من قرأ هذه النسخة يعرف العربية ما ضعف فيها لانه يستقيم التعبير أحيانا قليلة ، ويستقيم العبارة فى أحيان كثيرة ، ومن الغريب أن يتخذ من التعليقات العربية دلالة على أصله الاسلامى ، ولا يتخذ من صلبه الايطالى دليلا على أصله المسيحى .

اما كون التبشير بالنبى صلى الله عليه وسلم صريحا فيه وليس بتلميح فنحن لا نسلم بأن كل التبشيرات فى الكتب الدينية تلميح . نعم بعضها رمز وتلميح ، ولكن معنى ذلك نفى الصريح ، وعلى فرض أن كل تبشير تلميح لا تصريح ، فالنص الايطالى الذى بين ايدينا ترجمة لا نص ، وعسى أن يكون المترجم فهم المعنى ، فلم يسعفه فى لغته التلميح ، فنطق بالتصريح كما يفعل المسيحيون فى كثير مما ترجموا من كتب أصلها عبرى .

ومن المؤكد ان ذلك الانجيل لم يكن معروفا عند المسلمين فى غابرهم وحاضرهم ، لأن المناظرات بينهم وبين المسيحيين كانت قائمة فى كل العصور ، ولم يعرف ان احدا احتج على مناظره المسيحى بهذا الانجيل ، مع أنه فيه الحجة الدامغة التى تفلج المسلم على المسيحى ، فدعوى وجود نسخة عربية كانت هى الأصل للنسخة الايطالية ، فوق انها لا دليل عليها مطلقا ، ولو بطريق الوهم هى تناقض اخبار التاريخ الاسلامى مناقضة تامة ، والا احتج المجادل عن الاسلام بها ، ففيها أقوى دليل ، والتاريخ لم يحفظ ذلك ، وهذى سجلاته ليستنبطوها ، وليعرفوا دخائلها ، فلن يجدوا شيئا يمكن دعواهم ويثبت قضيتهم .

قيمة انجيل برنابا من حيث ما اشتمل عليه :

٤٢ — وانجيل برنابا هـذا يمتاز بقوة التصوير ، وسمو التفكير ، والحكمة الواسعة ، والدقة البارعة ، والعبارة المحكمة ، والتناسق والانسجام ، حتى انه لو لم يكن كتاب دين لكان فى الأدب والحكمة من الطبقة الأولى ، لسمو العبارة وبراعة التصوير .

ولماذا انكره المسيحيون مع ان قوة النسبة فيه لا تقل عن قوة النسبة فى كتبهم الاربعة كما ذكرنا ، ان لم تكن أقوى؟ الجواب عن ذلك ان المسيحيين رفضوه لانه خالف اناجيلهم ورسائلهم فى مسائل جوهرية فى العقيدة .

ولقد كنا نظن ان ظهور ذلك الانجيل كان يحمل الكنيسة على التفكير من جديد فى مصادر الدين ، لتعرف اى الكتب اقرب نسبا بالمسيحية الأولى ، اذلك الانجيل بما خالف ، أم الرسائل والاناجيل التى توارثتها ؟ ولكنهم سارعوا الى الرفض والانكار ، كما سبق اسلافهم الى انكاره من قبل .

مخالفة انجيل برنابا لما عليه المسيحيون :

والأمور التى خالف ذلك الانجيل فيها ما عليه المسيحيون الآن تتلخص فى اربعة امور :

اولها : انه لم يعتبر المسيح ابن الله ، ولم يعتبره ألها ، وقد ذكر ذلك فى مقدمته فقال : « أيها الاعزاء ان الله العظيم المجيب قد افتقدنا فى هذه الايام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم ، والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، وزاعمين الختان الذى أمر به الله دائما ، مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل فى عدادهم ايضا بولس الذى لا اتكلم عنه الا مع الأسى وهو السبب الذى لاجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته » .

ويقول فى آخر الفصل الثالث والتسعين : « أجاب الكاهن ان اليهودية قد اضطربت لأجلك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بانك أنت الله ، فاضطررت بسبب الشعب الى ان آتى الى هنا مع الوالى الرومانى والملك هيرودس فنرجو من كل قلبنا أن ترضى بازالة الفتنة التى ثارت بسببك ، لأن مريم يقول انك الله . وآخر يقول انك ابن الله ، ويقول فريق انك نبى . اجابه

يسوع : « وانت يا رئيس الكهنة . لماذا لم تخمد الفتنة ، وهل جننت انت ايضا ، وهل امست النبوات ، وشريعة الله نسيا منسيا ، ايتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان » ولما قال يسوع هذا عاد فقال : « انى اشهد امام السماء ، واشهد كل ساكن على الأرض أنى برىء من كل ما قال الناس عنى من أنى اعظم من بشر ، لأنى بشر مولود من امراة ، وعرضة لحكم الله ، اعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العام » .

ويقول فى الفصل السبعين : « أجاب يسوع : وما قولكم انتم فى ؟ أجاب بطرس : انك المسيح ابن الله . فغضب حينئذ يسوع . وانتهره بغضب قائلا : اذهب ، وانصرف عنى ، لانك أنت الشيطان ، وتريد ان تسىء الى » .

(الأمر الثانى) : ان الذبيح الذى تقدم به ابراهيم الخليل عليه السلام للفداء هو اسماعيل ، وليس باسحق ، كما هو مذكور فى التوراة ، وكما يعتقد المسيحيون . هذا نص ماجاء فى انجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام : « الحق اقول لكم انكم اذا امعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلموا خبث كتبنا وخيانتنا ، لان الملاك قال : « يا ابراهيم . سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله . حقا يجب عليك ان تفعل شيئا لأجل محبة الله . أجاب ابراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله ، فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : « خذ ابنك بكرك واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة » . فكيف يكون اسحق البكر ، وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين .

(الأمر الثالث) : هو كما يقول الدكتور سعادة « بك » : ان مسيا او المسيح المنتظر ليس هو يسوع ، بل محمد . وقد ذكر محمدا باللفظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية الذيول ، وقال انه رسول الله ، وأن آدم لما طرد من الجنة راى سطورا كتبت فوق بابها باحرف من نور « **لا اله الا الله محمد رسول الله** » ولقد قال المسيح كما جاء فى انجيل برنابا : « ان الآيات التى يشفينى الله على يدى تظهر انى اتكلم بما يريد الله ، ولست احسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لست اهلا لان احل رباطات ، أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا الذى خلق قبلى . وسياتى بعدى بكلام الحق . ولا يكون لمينه نهاية » وانك لتجد فى الفصلين الثالث

والاربعين والرابع والاربعين كلاما وافيا فى التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم لان التلاميذ طلبوا من المسيح عليه السلام ان يصرح لهم به . فصرح بما يعلن حقيقته ، ويبين ما له من شأن .

(الامر الرابع) : ان هذا الانجيل يبين ان المسيح عليه السلام لم يصلب ، ولكن شبه لهم . فالقى الله شبهه على يهوذا الاسخريوطى ، ويقول فى ذلك برنابا : « الحق أقول ان صوت يهوذا ، ووجهه ، وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة انه يسوع ، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع ، معتقدين ان يسوع كان نبيا كاذبا ، وانما الآيات التى عملها بصناعة السحر ، لأن يسوع قال انه لا يموت الى وشك انقضاء العالم ، لانه سيؤخذ فى ذلك الوقت من العالم » .

ثم يبين ان يسوع طلب الى الله ان ينزل الى الأرض بعد رفعه ليرى امه وتلاميذه ، فنزل ثلاثة ايام .

ثم يقول : « ووبخ كثيرين ممن اعتقدوا انه مات » وقام قائلا : « اتحسبوننى انا والله كاذبون ، لان الله وهبنى ان اعيش ، حتى تبطل انقضاء العالم ، كما قد قلت لكم ، الحق اقول لكم انى لم امت ، بل يهوذا الخائن ، احذروا ، لان الشيطان سيحاول جهده ان يخدعكم ، ولكن كونوا شهودى فى كل اسرائيل ، وفى العالم كله ، لكل الاشياء التى رايتموها وسمعتموها » .

٤٣ — هذا هو انجيل برنابا ، وما خالف فيه بقية الاناجيل من مسائل جوهرية ، وفى الحق انه خالف المسيحية القائمة فى خصائصها التى امتازت بها فان تلك المسيحية امتازت بالتثليث ، وبنوة المسيح والوهيته ، وكان هذا شعارها الذى بها تعرف ، وعلامتها التى بها تتميز ، وقد خالف كل هذا ، واذا كانت مخالفته للمسيحية القائمة فى تلك الامر الجوهرى ثابتة — وهو ينسب الى قديس من قديسيهم — فقد كان من الحق اذن أن يحدث ظهوره وكشفه بين ظهرانى المسيحيين وفى مكاتب من لا يتهمون بالكيد للمسيحية ، ومن لا يتهمون بانهم لا يرجون لها وقارا — رجة فكرية عنيفة ، اهتزت بسببها المشاعر والمنازع ، فالكنيسة والمتعصبون من المسيحيين يرفضونه رفضا باتا ، ما دام قد أتى بما لا يعرفونه هم ،

ولا يعنون انفسهم بدراسته دراسة علمية ، ينتهون فيها الى نقضه جملة ، أو قبوله جملة ، او قبول بعضه ، ورفض بعضه الذى يثبت بالدليل أن فيه مخالفة لتعاليم المسيح الصحيحة الثابتة بسند اقوى من سنده ، ومتنها أقرب الى العقل والفكر من متنه .

ولكن العلماء الذين دابهم التنقيب والبحث عكفوا على دراسته ، وموازنة نصوصه بالتوراة والاناجيل ورسائل رسلهم ، بل القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وانتهت دراسة جلهم بانه يعيد ان يكون قد استقى من القرآن الكريم ،و مما هو مشهور عند المسلمين .

وان أجل خدمة تسدى الى الاديان والانسانية ، أن تعنى الكنيسة بدراسته ، ونقضه ، وتأتى لنا بالبينات الدالة على هذا النقض ، وتوازن بين ما جاء فيه وما جاء فى رسائل بولس ، ليعرف القارىء والباحث ايهما أهدى سبيلا ، واقرب الى الحق ، واوثق به اتصالا .

رســائل رســلهم

٤٤ ــ انتهينا فى كلامنا السابق الى ذكر الاناجيل وعرضها ، كما يقول المسيحيون ، وكنا فى ذلك ناقلين ، ولم نعن فى ذلك بالنقــد ، فان لذلك موضعه .

والآن ننتقل الى القسم الثالث من مصادر المسيحية ، وهو رسائل رسلهم ، ويسمونها ــ ما عدا رسالة أعمال الرسل ــ الاسفار التعليمية ، كما يسمون الاناجيل ورسالة أعمال الرسل الأســـفار التاريخية ، لأن الاناجيل تعنى بشرح حياة السيد المسيح وحكاية أحواله ، وبعض أقواله ومواعظــه ، أما الرسائل فانها تعنى بالناحيــة التعليمية التى تبين بها الديانة .

عدد الرسائل وكاتبوها :

والرسائل اثنتان وعشرون رسالة : الأولى ، وتسمى أعمال الرسل ، وتنسب الى لوقا صاحب الانجيل ، وأربع عشرة كتبها بولس ، وهى رسالة اهل رومية وكورنثوس الأولى والثانية ، وغلاطية ، وأفسس ، وفيلبى ، وكولوسى ، وتسالونيكى الأولى والثانية ، وتيموثاوس الأولى وتيموثاوس الثانية ، وتيطس ، وفيلمون والعبرانيين ، ورسالة كتبها يعقــوب ، ورسالتان كتبهما بطرس ، وثلاث رسائل كتبها يوحنا ، ورسالة كتبهــا يهــوذا .

وهناك غير الاثنتين والعشرين رسالة أخرى يسمونها السفر النبوى وهى رؤيا يوحنا ، وهــذه الرسالة فى منحاها ومنهجها تخالف الرسائل السابقة ، فبينما الرسائل السابقة وعظية وتعليمية فى جملتها ، وتتعرض كثيرا لذكر بنوة المسيح ، وتخليصه للعــالم من خطيئته ، تجد رسالة رؤيا يوحنا اللاهوتى ، تعنى ببيان الوهية المسيح وسلطانه فى السماء وعلمه بحال الكنيسة والقوامين على المسيحية من بعده ، وهى تارة تصور الاله فى عليائه كشيخ اشيب يشبه المسيح منبثقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب ،

وعيناه كلهب نار ، وفى يده سبعة كواكب ، وسيف ماض ذو حدين يخرج من فيه ، (راجع الاصحاح الأول من الرؤيا) .

وتارة تصور المسيح خروفا قائما كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين ، (راجع الاصحاح الخامس) .

وتبين أن الناس يعرضون أمام الاله والمسيح « ويخرون ساجدين ، ثم تصور الملائكة وأحوالهم وأعمالهم ، وهكذا ... » .

فهى رسالة تشرح سلطان المسيح فى الملكوت وتبين احوال الملائكة وخضوعهم للمسيح ولله .

٤٥ — وهذه الرسائل تشرح المسيحية الحاضرة بأكثر من الاناجيل، وقد كتبت جميعها باليونانية ، كما يقول مؤرخوهم ، وللباحثين كلام كثير فى شأن الرسائل ، وقوة سندها ، وقيمتها من حيث الاستدلال لهذا الدين، ولكنا نرجىء القول فى ذلك الى الكلام فى نقد مصادر المسيحية نقدا علميا ، ونكتفى الآن بعرضها وذكرها ، محوطة بهالة من تقديسهم ، ومكلوءة بتقديرهم .

وقد ذكرنا موجزا لتاريخ يوحنا ، وعرفنا القارىء به ، وهو صاحب الرؤيا ، وثلاث رسائل ، وبينا لوقا ، وهو صاحب رسالة أعمال الرسل ، فلنعرف الآن بكلمات موجزة القارىء ببطرس صاحب الرسالتين ، ويعقوب ويهوذا ، ولكل رسالة ، وبولس وله اربع عشرة كما ذكرنا .

فبطرس من حواريى المسيح ، وكان اسمه الأصلى سمعان ، وكان صياد سمك وقد جال بعد المسيح للتبشير ، فذهب الى انطاكية وغيرها ، ثم ذهب الى رومة سنة ٦٥ فقبض عليه وزج فى السجن ، وحكم عليه بالموت صلبا فى زمن نيرون على ما نوهنا . وقد طلب أن يصلبوه منكسا حتى لا يتشبه بالمسيح .

وقد علمت أن صاحب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار يخبر ان بطرس وتلميذه مرقص صاحب الانجيل الذى كان يعبر عنه بابنه كلاهما كان ينكر الوهية المسيح .

ترجمة يعقوب صاحب الرسالة :

٤٦ — ويعقوب صاحب الرسالة هو يعقوب بن زبدى الصياد ، اخو يوحنا ، وكان حواريا ناخيه ، ويقولون : انه أول اسقف لكرسى أورشليم ؛ ويقول صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية : « كان لشهرته بالطهارة يعرف بيعقوب البار ؛ وقد اغتاظ منه رؤساء اليهود ، فحكموا عليه بالموت فى مجمعهم ؛ فمات رجما سنة ٦٢ وكان قد كتب رسالته سنة ٦١ م » .

ترجمة يهوذا :

٤٧ — واما يهوذا ، وهو حوارى ، ويقولون انه يدعى لباوس ، ولقب تداوس وهذا هو الاسم الذى ذكر فى انجيل متى ، ولكن انجيل برنابا يقرر ان يهوذا غير يهوذا الاسخريوطى الذى شهد على المسيح وخانه ، وغير تداوس ، ويقولون : انه اخو يعقوب الصغير ، وعلى هذا يكون لزبدى الصياد ثلاثة من الحواريين ، ولكن متى لما ذكر يعقوب ويوحنا ذكر امامهما انهما ولدا زبدى الصياد ، ولم يذكر أمام تداوس !! وعلى أية حال فليهوذا هذا رسالة منسوبة اليه ، وقد قالوا انه مات شهيدا ببلاد العجم .

ترجمة بولس :

٤٨ — بولس : ولننتقل الآن الى الكلام فى بولس والتعريف به ، وان لبولس هذا لشانا فى المسيحية ، فهى تنسب اليه أكثر مما تنسب لاحد سواه ، فرسالته هى التى شرحتها ، وقد كان بنشاطه الجم ، وتطوافه فى الاقاليم مشرقا ومغربا ، لا يستقر فى مكان على نية الاقامة فيه ، بل على قصد فى الرحيل الى غيره — أشد دعاتها ، وقد تأثر المسيحيون خطاه ، وتعرفوا اخباره واقواله ، ما دونه منها فى رسالته ، وما القاه فى الجموع وتناقلوه ، وان لم يدونه هو وتأثروا اعماله فاحتذوا حذوه ، وسلكوا مسلكه ؛ واعتبروه القدوة الاولى ، فلا بد اذن من العناية بتاريخه لنتعرف أكانت منزلته فى المسيحية الأولى كمنزلته فى المسيحية الحاضرة ، حتى يصلح أن يكون حلقة الاتصال بينهما ، وناقل الأولى الى اهل الثانية ، ولنتبين أنه صادق النقل ، حتى تكون الأولى والثانية شيئا واحدا ، وليستا شيئين مختلفين .

وانا فى حكاية بدايته ونهايته نعتمد على المصادر المسيحية وحدها ، كما كنا فيما أسلفنا من القول ، حتى لانتزيد عليهم ، ولكى نعرض الرجل كما هو عندهم .

فى سفر أعمال الرسل تفصيل لحياة بولس ، وقد اخذت اعماله من ذلك السفر الشطر الأكبر . وقد جاء فيه ان مولده كان فى طرسوس ، وتربى فى اورشليم ، واسمه الأصلى شاول . وهذا نص الفقرة الثالثة من الاصحاح الثانى والعشرين حكاية عنه : « انا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت فى هذه المدينة » (أورشليم) .

ولقد جاء انه من الفريسيين الذين يقولون أن هناك قيامة يشاركون فيها ملك المسيح فى الدنيا ، فقد جاء فى الاصحاح الثالث والعشرين : « ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون ، والآخرون فريسيون » صرخ فى المجمع : « ايها الرجال الاخوة ، أنا فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الاموات . انا أحاكم » .

ونجد كتاب المسيحية متفقين على انه من اليهود ، ولكن جاء فى سفر أعمال الرسل ايضا ما يدل على انه رومانى ، ففى آخر الاصحاح الثانى والعشرين منه مانصه: « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : أيجوز لكم ان تجلدوا انسانا رومانيا غير مقضى عليه ، فلما سمع قائد المائة ذهب الى الامير واخبره قائلا: انظر ما أنت مزمع أن تفعل ، لان هذا الرجل رومانى . فجاء وقال له : قل لى انت رومانى ؟ فقال نعم. فاجاب الأمير : أما انا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية ، فقال بولس : أما أنا فقد ولدت فيها . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين ان يفحصوه ، واختشى الامير لما علم انه رومانى ، لانه قيده » .

وهذان بلا ريب نصان متعارضان ، لعل ارجحهما انه يهودى ، لانه ذكر انه رومانى عندما رأى أن جسمه سيكوى بالسياط. فاعمل الحيلة، عساه يجد مخرجا ، فادعى انه رومانى لينجو جلده ، وقد تم له ما اراد بتلك الحيلة التى احتالها فى انتسابه ، وأصر عليها عندما روجع فيها .

ولكن لو اتخذنا من قرائن الأحوال دليلا على كذب ادعائه الرومانية،

وانه قالها خلاصا واجتيالا لورد مثل ذلك عندما قال انه يهودى ، لأنه كان يخاطب جمعا يهوديا عمل للقبض عليه .

ولقد صرح فى سفر الاعمال انه قال انه فريسى ليوقع الخلاف بين الصدوقيين والفريسيين ، فقد جاء فيه عند ذكر اقراره بانه فريسى. ولما علم بولس ان قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون ، الخ . فهو ما صرح بهذا التصريح الا ليوقع الفرقة بينهم ، وينجو من كيدهم بتدبير فريق منهم .

وقد تم له بعض ما أراد، فاختلفوا وجرى بينهم نزاع شديد كما دلت على ذلك الفقرات التى ذكرت من بعد فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الاعمال ، واذن فلا نستطيع أن نستبين جنسه من هذا على وجه تطمئن اليه النفس .

٤٩ — ومهما يكن من امر جنسه ، فقد كان بولس هذا فى صدر حياته من اشد اعداء المسيحية ، وابلغهم كيدا لها ، واكثرهم امعانا فى أذى معتنقيها ، كما يدل على ذلك ماجاء فى سفر الاعمال فى مواضع كثيرة منه.

ففى الاصحاح الثامن منه : « وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى اورشليم ، فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال اتقياء استفانوس ، وعملوا عليه مناحة عظيمة ، واما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم الى السجن » .

وجاء فى اول الاصحاح التاسع : « أما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى دمشق الى الجماعات حتى اذا وجد اناسا فى الطريق رجالا او نساء يسوقهم موثقين الى اورشليم » .

ويجىء فى ذلك السفر ايضا اعترافه الصريح بذلك الماضى فى مواضع متعددة ايضا .

فمنها ما جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين مخاطبا اليهود : « كنت

غيورا لله ، كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق ، حتى الموت ، مقيدا ومسلما الى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لى ايضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين اذا أخذت منهم رسائل للاخوة الى دمشق ، ذهبت لآتى بالذين هناك الى أورشليم مقيدين لكى يعاقبوا » .

ولكن سفر الأعمال يقول ان ذلك الرجل الذى كاد للمسيحية هذا الكيد وآذى اهلها ذلك الايذاء ، قد انتقل من الجبت والطاغوت الى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ، ولا تمهيدات مهدت له .

فيقول فى الاصحاح التاسع : « فبذهابه حدث انه اقترب الى دمشق ، فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له : شاول . شاول . لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من انت يا سيدى ؟ فقال : أنا يسوع الذى انت تضطهده ، صعب عليك أن ترفس مناخس ، فقال وهو مرتعد متحير : يا رب ماذا تريد ان افعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل المدينة ، فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل » .

دخل بولس او شاول فى المسيحية ، وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح ، ولكنهم أوجسوا منه خيفة ، ولم يصدقوا ايمانه ، ولكن شهد له برنابا الذى حدثناك عنه بالايمان ، وبما حدث له فى الطريق .

فقد جاء فى الاصحاح التاسع ايضا من السفر المذكور : « ولما جاء شاول حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين ، فأخذه برنابا ، وأحضره الى الرسل ، وحدثهم كيف أبصر الرب ، وانه كلمه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع » .

ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة ، والحركة الدائبة فى الدعاية للمسيحية ، كما تدل على ذلك عبارات سفر الأعمال ، وقد اصطحب فى رحلاته برنابا ، حتى اختلفا كما ذكرنا فى الكلام على برنابا — فلما اختلفا افترقا ، وهناك نجد حلقة مفقودة ، فليبين لنا سفر الاعمال على من تلقى مبادىء المسيحية التى أخذ يبشر بها ، والتى دونها فى رسائله الأربع عشرة ، والتى يضيف اليها بعض الكتاب سفر الأعمال ، وينسبه الى بدل نسبته الى لوقا ؟ لم تبين لنا الكتب المسيحية على من تلقى مبادىء

المسيحية ؟ ولعلهم يعتقدون انه ليس فى حاجة الى التلقى ، لانه انتقـــل من مرتبة الكافر المناوىء الى مرتبة الرسـل فى المسيحية ، وصار ملهما ينطق بالوحى فى اعتقادهم ، فلم يكن فى حاجة الى التعلم والدراسة ، لان الوحى كفاه مؤونة الدرس وتعبه .

لقد اخذ بولس فى التطواف فى الاقاليم ينشىء الكنائس، ويقوم بالدعاية ويلقى الخطب ، وينشىء الرسائل ، حتى كانت رسائله هى الرســـائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادىء فى الاعتقاد، وبعض الشرائع العملية، وقد قالوا انه قتل فى اضطهادات نيرون سنة ٦٦ او سنة ٦٧ على الخلاف فى ذلك .

صـــفات بولس :

• ٥ — ان الذى يستخلص من احـــوال واقوال بولس التى دونت فى رسائله واعماله التى ذكرها ســـفر اعمال الرسـل ، يتبين له انه امتاز بثلاث صفات جعلته فى الذروة من الدعاة الى المبادىء والعقائد :

الصفة الاولى : انه كان نشيطا دائم الحركة ذا قوى لاتكل، وذا نفس لا تمـــل .

الصفة الثانية : انه كان المعيا شديد الذكاء بارع الحيلة، قوى الفكر، يدبر الامور لما يريد بدهاء الالمعى ، وذكاء الاروعى ، يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصـــيبها .

الصفة الثالثة : انه كان شـــديد التاثير فى نفوس الجماهير ، قوى السيطرة على اهوائهم ، قديرا على انتزاع الثقة به من يتحدث اليه .

وبهذه الصفات الممتازة ، وبهذه القدرة البارعة استطاع ان يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية ، وقطبهم ، وان يفـــرض ما ارتاه على المسيحيين ، فيعتنقوه دينا ، ويتخذوا قوله حجة زاعمين انه رسالة ارسل بها ، وبهذه الصفات الباهرة استطاع ان يحمل صديقه برنابا على ان يصدقه فى رؤيته المسبح ، واستطاع ان يحتل المنزلة الاولى بين التلاميذ، وقد كان بلاؤهم ، وكيد الشيطان لهم . وبهذه الصفات القوية استطاع ان يحملهم على نسيان ماضيه ، وان يندغموا فى شخصه حتى يصـــير هو كل شىء ،

وهم لا يستطيعون رد قوله فى الجماهير ، وحتى لقد صارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه، منسوبة اليه، ولقديعجب الذين درسوا الديانات وعرفوا احوال رجالها ، وأدوارهم ، فيقولون : كيف ينتقل رجل من كفر بديانة الى اعتقاد شديد بها طفرة ، من غير سابق تمهيد، ولكن ذلك العجب يزول ان كان الانتقال مقصورا على مجرد الانتقال من الكفر الى الايمان ، فان لذلك نظائر واشباها، بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين الى الرسالة فى الدين الذى كفر به ، وناواه وعاداه، فان ذلك ليس له نظير وليس له مشابه ، ولم يعهد ذلك فى انبياء ورسل قط ، وهذه توراة اليهود وأسفار العهد القديم التى يؤمن بها المسيحيون كما رووها ، وكما تالوها ليذكروا لنا رسولا بعث من غير أن يكون فى حياته الأولى استعداد لتلقى الوحى ، وصفاء نفس يجعله أهلا للالهام ؟ ولايجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته ، وانه اذا لم يكن للرسالة ارهاصات قبل تلقيها ، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها . ولكن بولس أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب فى عصره ، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده ، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون اقواله وآراءه وتعاليمه .

بيد أن العقل يخترق بنوره الحجب ، ويزيل بضوئه كل أستار الظلم ، ولو قاوم فى سبيل ذلك براعة بولس وذكاءه ، ولذا وجد فى العصور المسيحية من كانوا يثيرون مناقشات قوية حول اقوال بولس منكرين لها مبطلين ، ونسارع فننقول مقالة القس عبد الاحد: « ان بولس يجل ويعظم رجلا اسمه عيسى أميت ومات . وحيى فقط ، وان خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم الرسول المشار اليه ، فلا محل للحيرة اذا قلت أن المؤسس الحقيقى للمسيحية الحاضرة هو بولس ، فان شاول الشاب الطرسوسى من سبط بنيامين . ومن مذهب الفريسيين وتلميذ احد علماء الدهر عضو مجلس صانهدرين المدعو غمائيل ... الذى كان يجتهد فى محو اسم عيسى واتباعه من الأرض ، والذى رأى عدوه الناصرى فى السماء لامعا داخل الانوار وقت الظهر امام دمشق . اهتدى وسمى باسم بولس . وهو الذى وضع اساس العيسوية » . والقسم الأعظم من أعمال الرسل يبحث من سياحات بولس الطويلة وجهوده ومتاعبه ،

مثل هو صادق فى النقل عن المسيح ، والاخبار عنه ، للاجابة عن هـــذا السؤال موضعها عند الكلام فى الالهام الذى نحلوه لرسلهم ، ونقد الكتب نقـــدا علميـــا .

كتب العهد القديم والاناجيل والرسائل كتبت بالهام فى اعتقـادهم :

٥١ — الى هنا قد بينا الكتب ، وذكرنا طرفا من حياة منشئيها ، واحوالهم ومقدار الاختلاف فى نسبة الكتب الى اصحابها ، وقبل ان ننتقل الى نقد هذه الكتب نقدا علميا فى متنها واسنادها ، نقول : ان المسيحيين يقولون ان هذه الكتب كلها ، كتبت بالالهام اى بالوحى عن طريق الالهام ، وانها لذلك لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فهى حق وصدق ، لانه موحى بها ، وسواء فى ذلك كتب العهد القديم ، والعهد الجديد ، سواء أكانت اناجيل أم رسائل تعليمية أم رســـالة النبوة .

ولذا يقول مؤلفو موجز تاريخ الامة القبطية فى شأن الكتاب المقدس : «الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التى كتبها رجال الله القديسيون بالهام الروح القدس فى أوقات مختلفة ، وفيها اعلن الله مشيئته ووصـــاياه ، وما قطعه من المواعيد ، وما فرضه من المثوبة ، وما فيه ارشاد للنـــاس وخيرهم وخلاصهم وما اتمه من عمل الفداء» . وبمراجعة ما كتبه شراحهم وعلماؤهم تفهم أن الالهام عندهم ، هو الهـــام فى المضمون الرئيسى ، ولذا يقول هورن : « اذا قيل ان الكتب المقدسة أوحى بها من عند الله لا يراد ان كل الالفاظ والعبارات من الهـــام الله ، بل يعلم من اختلاف محاورات المصنفين واختلاف بيانهم انهم قد جوز لهم ان يكتبوا ، على حسب طباعهم وعاداتهم وفهومهم واستعمل علم الالهـــام على طريقة استعمال العلوم الرئيسية ، ولا يتخيل انهم كانوا يلهمون فى كل امر يبينونه ، وفى كل حكم كانوا يحكمـــون به » .

اذن لم تكن كل الكتب المقدسة ملهمة من حيث اسلوب البيان ، ومن حيث التصرف فى التعبير ، ومن حيث كل ما تشتمل عليه من معان ، بل موضع الالهام فقط المعانى الرئيسية أو الرسمية ، وبقية الأفكار والمعانى على حسب الطبائع والافهام والعادات .

٢ ٥ ـ عرضنا على القارىء كلام القوم فى كتبهم ، وحاولنا ان نكون حاكين ولم نعلق عليها ولم ننقدها ، ولم ننبه الى وهنها ، الا اذا كان ذلك التنبيه قد سبق اليه علماؤهم ، والباحثون منهم ، ووجهوا هم النقد اليه ، او كان الأمر من الوضوح بحيث يكون المرور عليه من غير تنبيه الى موضع الضعف يجعل البحث غير ملصق ، وبعيدا عن الانسجام الفكرى .

والآن نريد أن ننتقل من النظرة الحاكية المتفاضية الى النظرة الفاحصة الكاشفة ، ولسنا نريد أن نحصى كل أوجه النقد التى وجهت ، فان ذلك يحتاج بيانه الى مجلدات ضخام لكثرتها ، وتعدد نواحيها ، وكثرة دواعيها ، ولكنا نكتفى بايراد بعضها ، ونترك الباقى للاطلاع عليه فى مصـــــادره المسيحية وغير المســـــيحية :

ما يجب أن يكون فى الكتاب الدينى من صـــفات ليكون حجـــة :

لأجل أن يكون الكتاب الدينى حجة ـ يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه ، ومجموع أوامره ونواهيه ، ومصدر الاعتقاد ، واساس الملة ـ يجب أن يتوافر فى هذا الكتاب أمور :

احدها : أن يكون الرسول الذى نسب اليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك ، وان يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة ، أى بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين المكذبين ، وان يشتهر أمر ذلك التحدى وهذا الاعجاز ، ويتوارثه الناس خلفا عن سلف ، ويتواتر بينهم تواترا لايكون للانسان مجال لتكذيبـــــه .

ثانيها : الا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا ، فلا تتعارض تعليماته ، ولا تتناقض اخباره ، بل يكون كل جزء منه متمما للآخر ومكملا له ، لان ما يكون من الله لا يختلف ، ولا يفترق ، ولا يتناقض ، بل ان العقـــلاء فى اقوالهم ، وفى كتبهم ، يتحرون الا يتناقض قولهم ، ولا يختلف تفكيرهم .

ثالثها : أن يدعى ذلك الرسول انه أوحى اليه به ، ويدعم ذلك الادعاء

بالبينات الثابتة ، وهى المعجزات التى بعث بها الرسول ، ودعا الى كتابه على أساسها ، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر، أويثبت بالكتاب نفسه .

رابعها : ان تكون نسبة الكتاب الى الرسول الذى نسب اليه ثابتة بالطريق القطعى ، بان يثبت نسبة الكتاب الى الرسول ، بحيث يتلقاه الاخلاف عن الاسلاف ، جيلا بعد جيل من غير اى مظنة للانتحال .

وأساس ذلك التواتر أن يروى جميع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، حتى تصل الى الرسول بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوى عن الجمع الذى سبقه ، والذى سبقه كذلك ، حتى يصل الى الرسول الذى اسند اليه الكتاب ، ونسب اليه ، ونزل به الوحى عليه .

تطبيق هذه الشروط على كتب النصارى :

٥٣ — ان الكتب فى الدين هى اساسه، فان لم تكن مستوفية الشروط السابقة لم يكن الاطمئنان الى صحتها كاملا ، وتطرق اليها الريب والظن من كل جانب ، وبذلك يتهدم الدين من اساسه ، ويؤتى من قواعده ، ولا يكون شيئا مذكورا فى الأديان ، بل يكون طائفة من اساطير الأولين اكتتبها طائفة من الناس ، وادعوها دينا ، ونسبوها لشخص معترف به ، لترويج عند العامة ، وتدخل فى اوهامهم ، ويعتمدون على الزمان فى تمكينها فى نفوسهم وقلوبهم .

وهل الكتب المقدسة عند النصارى سواء أكانت من كتب العهد القديم أم العهد الجديد مستوفية هذه الشروط ، فتكون ملزمة للكافة ؟ .

لا يزعم النصارى ان هذه الكتب كتبها المسيح نفسه ، حتى ننظر فى قوة نسبتها اليه ، ولكن يزعمون أن الذين كتبوها رسل من بعده مبعوثون بها ، يبشرون الناس بما فيها ، فنبحث ، هل هؤلاء رسل حقا وصدقا قد ثبتت رسالتهم بدليل لا مجال للريب فيه ؟ .

لقد قلنا أن الطريق لذلك أن يدعوا هم هذه الرسالة ويثبتوها بمعجزة يجريها الله على أيديهم، ويتحدوا الناس ليدعوهم الى الاذعان أو ليسجلوا عليهم الكفر بعد أن يقوم الدليل عليهم .

اننا نبحث فى مراجعهم فلا نجد مرجعا صحيحا قرر ان هؤلاء ادعوا مثل هذه الرسالة ، ودعوا الناس الى الايمان بها ، ومعهم البرهان عليها، والدليل القائم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

نعم قد نجد فى رسالة اعمال الرسل ذكرا لاخبار تلاميذ المسيح ، وان روح القدس تجلى عليهم ، وانهم كانوا يأتون بأمور خارقة للعادة ، وسماهم كاتب تلك الرسالة رسلا، فليها يذكر أن عدد الاصحاب بعد المسيح أحد عشر ، وهم : بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، واندراوس ، وفيلبس ، وتوما ، وبرثولماس ، ومتى ، ويعقوب بن حلفى ، وسمعان الغيور، ويهوذا اخو يعقوب ، وان بطرس وقف وألقى فوسط التلاميذ — الذين بلغوا نحو مشرين ومائة — خطبة وانهم امتلئوا جميعا بروح القدس ، وتكلموا بألسنة غير ألسنتهم .

ثم يذكر أن بطرس شفى أعرج من عرجه ، ومات من كذب عليه ، بعد أن كشف كذبه واختلاسه ، هو وامرأته .

ذكر سفر الاعمال هذا وذكر عجائب أتى بها بولس فى زعمه فى آخر ذلك السفر ايضا .

وكذلك نجد فى انجيل لوقا انه يذكر أن المسيح ارسل سبعين رجلا ليبشروا باسمه ، وانهم عادوا يقولون له : « حتى الشياطين تخضع لنا باسمك ، فقال لهم : رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء ، وهانذا اعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب ، وكل قوة العدو ، فلا يضركم شيء ، ولكن لا تفرحوا بهذا لأن الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى ان اسماءكم كتبت فى السموات » .

مناقشة ادعاء الالهام فى سفر الاعمال :

٥٤ — ونريد أن نناقش سفر اعمال الرسل وانجيل لوقا فى هذا المقام للتعرف منه من هم هؤلاء الرسل ، لم يذكر سفر الاعمال اسماء العشرين والمائة الذين ملئوا من روح القدس ، نعم انه ذكر اسماء الحواريين الاحد عشر ، وليس منهم من ينسب اليه كتب أو رسائل ، سوى متى وبطرس ، ويوحنا ويعقوب ويهوذا .

وقد علمت بعض ما فى نسبة انجيل متى ويوحنا اليهما . واما بطرس والباقون فلهم رسائل ، ولم يكن معترفا بصحتها هى ورسائل يوحنا الى سنة ٣٦٤ حتى ان مجمع نيقية لم يعترف بصحة نسبتها الى اصحابها . وقد كان سنة ٣٢٥ .

واذا كان سفر الاعمال لم يذكر اسماء العشرين والمائة ، ولم يذكر كذلك انجيل لوقا اسماء ، فكيف تؤمن برسالة رسل لم تعرف اسماؤهم ؟ نعم كانت تذكر بعد ذلك اسماء اشخاص ، ويوصفون بانهم رسل ، ولكن لم يذكر انهم من العشرين والمائة ، ام ليسوا منهم ، ومن المؤكد ان بولس لم يكن فى العدد الذى ذكر فى الاعمال ، ولا فى العدد الذى ذكر فى انجيل لوقا .

اذن لا مقنع فيما جاء فى سفر الاعمال ، ولا فى انجيل لوقا ، لانه لم يذكر اسماء هؤلاء معينين بالاسم . ثم من هو مؤلف سفر الاعمال ؟ قالوا انه لوقا صاحب الانجيل . اذن فالمصدر هو لوقا فى الاثنين ، ولوقا قد بينا انه طبيب وقيل انه مصور ، او هو طبيب مصور . فهل هو كان من تلاميذ المسيح او كان من تلاميذ تلاميذه؟ لم يثبت شىء من ذلك ، وكل ما ثبت من صلته برجال المسيحية انه كان من اصحاب او تلاميذ بولس ، واذن فروايته عن هؤلاء وعن المسيح ليست رواية من شاهد وعاين ، وعلى ذلك يكون السند غير متصل بين لوقا والمسيح ، او تلاميذ المسيح .

الرسل غير معروفين :

٥٥ — لم نعرف اذن حقيقة هؤلاء الرسل ، ومن هم بسند صحيح ، فضلا عن ان يكون السند قطعيا ، واذا كنا لا نعرف من هم ، فكيف نؤمن لهم بمعجزات ؟ ان المصدر الذى ذكر المعجزات هو نفس المصدر الذى ذكر الرسل من غير ان يبين من هم ، وهو راو لم يعاين ولم يشاهد . وعلى ذلك يكون الكلام فى الالهام ، وانهم رسل ملهمون لم يثبت بسند يصح الاعتماد عليه ، والاطمئنان اليه ، وبناء عقيدة تشرق وتغرب على اساسه .

ولكنا لا نكاد ننتهى الى النتيجة حتى نجد من مجادلى القوم ، والناظرين منهم من يزعمون ان لوقا نفسه ، صاحب سفر الاعمال ، وصاحب الانجيل كان من الرسل الملهمين فهو لا يحتاج الى سند ، لان كل كلامه من الروح القدس الذى ملأه كما ملأ اخوانه الرسل ، ولكن اين

معجزته التى تثبت الهامه حتى نصدق كل ما جاء فى كتابيه ، ويؤمن مؤمن (يحترم الايمان) بكل ما اشتملا عليه ، لم يرد عندهم أى شىء يدل على الهام لوقا ، وانه كان من العشرين والمائة الذين القى فيهم بطرس خطبته ، وامتلئوا بروح القدس فى زعمه ، ولم يكن من السبعين الذين أرسلهم المسيح (كما ذكر فى انجيله) واخضعوا الأرواح وأخبرهم أن أسماءهم كتبت فى السماء .

ولسنا فى ذلك الا مطالبين بان يثبتوا الهام لوقا ، لنصدق باخباره عن الرسل واعمالهم ومن الهامهم ، وامتلائهم بالروح القدس ، واعجازهم. لا يوجد امامنا اى دليل يثبتون به الهام لوقا فيما كتب ، حتى كنا نصدقه فى كلامه عن الرسل الذين تجلى عليهم الروح القدس ، وامتلئوا به ، وان كنا لا نعرف اشخاصهم ، ولا شيئا عن اسمائهم واعمالهم .

بل لقد وجدنا من كتاب القوم الباحثين من يصرح بان لوقا لم يكن من الملهمين ، وان انجيله لم يكن الهاميا ، وبالاولى رسالته لم تكن بالهام ، فقد قال من المحدثين ، واطمن فى المجلد الرابع من كتابه الالهام ما ترجمته : « ان عدم كون تحرير لوقا الهاميا يظهر مما كتب فى ديباجة انجيله ونصها :

اذا كان كثيرون قد اخذوا بتاليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين ، وخداما للكلمة ، رأيت انا ايضا اذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالى اليك ايها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » .

وبمثل هذا القول من ان ما كتب لوقا ليس بالهامى قال العلماء الاقدمون من المسيحيين ، فيقول اريغوس : « ان الاشياء نعلمها من بلغها الينا » .

لوقا صاحب سفر الاعمال لم يكن ملهما :

٥٦ — لم يكن اذن لوقا ملهما ، لانه لا يوجد دليل يثبت الهامه ، ولان مقدمة انجيله كمقدمة رسالته تدل على انه لم يكن ملهما ، ولان الثقات من العلماء الاقدمين والمحدثين يقررون أنه لم يكن ملهما فيما كتب ، بل كتب ما تعلم ، ولقن ، لا ما أوحى اليه به والهم .

واذا كانت رسالة الاعمال هى المصدر المثبت لالهام الرسل وامتلائهم

بالروح القدس ، فيكون ذلك المصدر قد فقد صلاحيته للاعتماد عليه ، لأنه لم يكن متصل السند بين لوقا والتلاميذ والمسيح ، ولأن لوقا لم يكن ملهما . وهذا كله على فرض صحة نسبة ما أسند الى لوقا ، وفى تلك النصقة كلام سنثبته فى موضعه من بحثنا ان شاء الله .

ليس عندنا اذن دليل نقلى عندهم يثبت رسالة من يسمونهم رسلا ، ويثبت معهم أنهم كتبوا بالالهام ، حتى يعتبر كلامهم وحيا أوحى به ، ويجب تصديقه وقبوله ، ولا نجد من الكتب ما يؤيد هذه الدعوى ويثبتها ، بل ان راجعنا هذه الكتابات لا نجد أن كتابها يدعون لانفسهم انهم رسل ، ولا من تلاميذه العشرين والمائة ، ولا من السبعين الذين ذكرهم لوقا .

وقد رأينا بطرس فى رسالتيه يقدمها بانه رسول يسوع المسيح ، ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة من الله . ولا نجد فى عباراتهم ما يدل على انهم كتبوا ما كتبوا بالالهام ، الا رسائل بولس ، فهو الذى يذكر فى رسالته انه يتكلم عن الله ، واحيانا يقول انه يتكلم من نفسه .

واذن فلنا ان نقول ان أصحاب هذه الكتب والرسائل لا يدعون لانفسهم الرسالة والالهام الا بولس الذى كانت صلته بالمسيحية على ما علمتم ، وليس فى كتبها ما يشهد له بالرسالة والالهام ، بله الايمان الا سفر الأعمال، وقد علمت قوة الاستدلال به، والاعتماد عليه فى الاحتجاج والاثبات .

دعوى الالهام ليست محل اجماع المسيحيين :

٥٧ — وفى الحق ان دعوى الهام الرسل فى كل ما كتبوا لم تكن محل اجماع من كتاب المسيحيين فى القديم والحديث ، فطائفة من علماء انجلترا قالوا فى مؤلف كتبوه (١) ان الذين قالوا ان كل قول مندرج فى الكتب المقدسة الهامى لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة ، ثم قالوا : « ان سألنا أحد على سبيل التحقيق أى جزء تعتبرون من العهد الجديد الهاميا ، قلنا المسائل ، والاحكام ، والأخبار بالحوادث الآتية التى هى اصل الملة المسيحية — لا ينفك الالهام عنها . واما الحالات الأخرى فكان حفظ الحواريين كافيا لبيانها » .

---

(١) البريطانى كلوبيديا برتنيكا .

وترى من هـذا ان بعض العلماء لا يرون ان كل ما فى كتب العهد الجديد الهامى ، بل منه الالهامى وغير الالهامى .

ولكن هناك من يقول : انه يشك فى أصل الالهام فيها ، فهـذا عالم مسيحى يقال له ريس يقول ناقلا حديثا بعض أقوال المتقدمين : « ان الناس قد تكلموا فى كون الكتب المقدسة البابية ، وقالوا انه يوجد فى افعال وقلمى هذه الكتب واقوالهم اغلاط ، واختلافات ، مثلا اذا قوبلت الآيات ١٩ ، ٢٠ من الاصحاح العاشر من متى ، و١١ من الاصحاح الثالث عشر من انجيل مرقس اذا قوبلت هـذه الآيات بالآيات الست التى فى سفر الأعمال فى اصحاحه الثالث والعشرين يظهر ذلك الاختلاف جليا . وقيل ايضا ان الحواريين ما كان يرى بعضهم بعضا صاحب وحى ، كما يظهر هذا من مباحثهم فى محفل أورشليم ، ومن الزام بولس لبطرس ، وقيل أيضا ان المسيحيين القدماء ما كانوا يعتقدونهم منزهين من الخطا ، لانهم فى بعض الأوقات تعرضوا له » .

ولقد قطع بعض العلماء بان بعض هذه الكتب ليس من الالهام فى شىء فانجيل متى على قول القدماء من المسيحيين ، وقول جمهور المتأخرين الذين قالوا انه كتب باللسان العبرانى كما اسلفنا من القول ، قد قالوا ان اصله فقد ، وترجمته ليست بالالهام .

ويقول استادلن وغيره ان انجيل يوحنا ليس بالهام ، وجميع رسائل يوحنا ليست بالهام على راى فرقة لوجين ، وكذلك الرسالة الثانية لبطرس ، ورسالة يهوذا ، ورسالة يعقوب ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورؤياه النبوى — كل ذلك عند الاكثرين ليس بالهام ، وكان كذلك الى سنة ٣٩٣ ميلادية » .

دعوى الالهام باطلة ممن يدعيها :

٥٨ — ومهما يكن اختلافهم بالنسبة لكونها ملهمة كلها او بعضها ، وطريق الالهام ، فادعاء الالهام على فرض اتفاقهم عليه ليس له من البينات ما يثبته ، ولا من الأدلة ما يقيم ادعاءه ، ونحن نطالبهم بالدليل .

وكان يصح لنا ان نقف موقف المانع منعا مجردا ، نطالبهم بالدليل حتى يقيموه ، ولكن تتميما للبحث وتعريفا للحقائق نثبت ان دعوى الالهام

باطلة من اساسها ، ليس لعدم اقامة الدليل عليها ، بل لأن البينات قائمة ضدها ، ذلك لانها لو كانت بالهـــام من الله كما يقولون لكانت صادقة في كل ما اخبرت به ، وما وجد الباطل منفذا ينفذ منه اليها ، ولم يكن ثمـة محل لتكذيبها ، ولكانت متفقة غـير مختلفة ، ولم تكن متضاربة بأى نوع من انواع التضارب ، وذلك لوحدة من صدرت عنه ، لانها جميعا صادرة عن واحد ، وان اختلف الناطقون بها ، ولكنا وجدنا بينها اختـلافات من اوجه عدة ، ووجدنا فيها اخبارا تناقض ما علم في التاريخ وكان مشـــهورا فيه ، ولنذكر بعض هذه الأمور على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر .

التضارب بين كتب العهد الجديد :

(ا) اول ما يلقـاك من اوجه اختـلاف الاناجيل في الأمر الواحـد الذي لا يقبـل الا حقيقة واحدة . اختـلاف انجيل متى عن انجيـل لوقا في نسب المسيح ، فان من يقابل بين نسب يوسف النجـار متبنى المسيح في الأناجيل يجـد الاختلاف من ستة أوجه ذكرها الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه اظهار الحق بقال :

١ — في متى ان يوسف بن يعقوب ، وفي لوقا انه ابن هالي .

٢ — يعلم من متى ان عيسى من اولاد سليمان بن داود عليهم السلام، ومن لوقا انه من أولاد ناثان بن داود .

٣ — يعـلم من متى ان جميع آباء المسيح من داود الى جـلاء بابل سلاطين مشـــهورون ، ومن لوقا انهم ليسـوا بسلاطين ولا مشـــهورين غير داود وناثان .

٤ — يعـلم من متى ان سلتائيل بن يكنيا ، ومن لوقا ان سـلتائيل ابن نيرى .

٥ — يعـلم من متى ان اسـم ابن زربابل أبيهـود ، ومن لوقا ان اسـمه ريسا .

والعجب ان اسماء بني زربابل مكتوبة في البـاب الثالث من السفر الاول من اخبار الأيام من كتب العهد القديم . وليس فيها ابيهود ولا ريسا في كل منهما غلط .

٦ — من داود الى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلا على ما بين متى ، وواحد واربعون جيلا على ما ذكر لوقا .

هذه أوجه اختلاف ستة فى نسب المسيح عليه السلام وهو نسب يوسف النجار ، الذى كان رجل مريم كما تذكر الاناجيل ، وهذا الاختلاف الذى يعترف به المسيحيون ، ولا يجدون مناصا من الاقرار به يدل على أمرين :

احدهما : ان احد الانجيلين لم يكن بالهام بيقين ، اذا فرضنا أن احدهما صادق والآخر كاذب ، فالكاذب لا شك لم يكن بالهام ، والا كان الاله الذى أوحى به كاذبا ، وذلك لا يليق بحسب بداهة العقل ، ولما كان الصحيح منهما غير متعين فالشك يرد على الاثنين ، حتى يثبت الصحيح ، ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر ، ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد بأن ثمة الهاما ، لأن الشك ان اعترى الأصل زال الاعتقاد .

ثانيهما : ان انجيل متى لم يكن معروفا للوقا ، اى انه لم يكن متدارسه معروفا لدى العلماء فى المسيحية ، مع أن تدوين انجيل متى يسبق تدوين انجيل لوقا باكثر من عشرين سنة على ما عليه جمهورهم ، ولو كان لوقا يعرفه لراجعه ، وما وقع فى الخطأ الذى وقع فيه ، او على الاقل ما خالفه ، واذا لم يكن معروفا لدى علماء المسيحية ، وحواريها ورسلها ، فلابد انه لم يكن معروفا قط ، او بعبارة أصرح ، ربما لم يكن موجودا قط .

ولا مناص من هذا الا ان نقول ان لوقا كان يعرفه ، واطلع على حديث النسب فيه ، وخالفه على بينة منه ، لانه لم يصدقه ، وعلى ذلك لا يكون لوقا معترفا برسالة متى ، والايحاء اليه ، وان ما كتبه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والا ما خالفه مع علمه .

وخلاصة القول فى ذلك أن تلك المخالفة تنتج احدى اثنتين : أما الا يكون انجيل متى معروفا للرسول لوقا ، وذلك يقتضى الا يكون موجودا . واما أن يكون موجودا يعرفه لوقا ، ولكن لا يعترف به مصدرا صادق الرواية ، واحدى القضيتين لازمة حتما ، ولكن لا يعترف المسيحيون بكلتيهما .

(ب) ونجد فى الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى انه بعد مناقشة الفريسيين تقدمت اليه امراة ، ابنتها مريضة بالجنون تطلب شفاءها ، ونص الخبر كما جاء فى ذلك الاصحاح : « ثم خرج يسوع من هناك ، وانصرف الى نواحى صور صيداء . واذا امراة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة : ارحمنى يا سيدى يا ابن داود ، ابنتى مجنونة جدا ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين : اصرفها ، لانها تصيح وراءنا » . وتجىء هذه القصة فى الاصحاح الثامن من انجيل مرقص بالنص الآتى : « ثم قام من هناك ، ومضى الى تخوم صور وصيداء ، ودخل بيتا وهو يريد الا يعلم به احد ، فلم يقدر أن يختفى لأن امراة كان بابنتها روح نجس سمعت به ، فاتت وخرت عند قدميه ، وكانت المراة امية وفى جنسيتها فينيقية سورية » .

ففى هذا النص يبين جنس المراة بانها فينيقية سورية ، وانها امية ليست من اليهود ، وفى الاولى توصف بانها كنعانية اى ليست فينيقية ، فايهما الاحرى بالقبول ؟ لا شك انه لا يمكن ان تكون الروايتان صادقتين معا ، بل لا بد أن تكون احداهما كاذبة وليست بالهام من الله ، لان الله لا يكذب ، واذا كانت احداهما ليست صادقة بيقين ، وكاذبة بيقين ، ولم يدر ايتهما الكاذبة المفتراة ، فالشك اذن ملازم الاثنتين لا ينفصل عنهما ، حتى نتبين الصدق من الكذب ، ولا سبيل الى ذلك ، ولا يمكن ان نثبته لايهما الهاما مع هذا الشك الملازم الذى لا سبيل الى ازالته .

(ج) وقد اختلف خبر القبض على المسيح لمحاكمته فى متى عن يوحنا ، ففى متى جاء فى ذلك بالاصحاح السادس والعشرين ما نصه : وفيما هو يتكلم ، واذا يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ، ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، والذى اسلمه اعطاهم علامة قائلا : « الذى اقبله هو امسكوه فللوقت تقدم الى يسوع ؟ وقال السلام ياسيدى وقبله ، فقال يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا ، والقوا الايادى على يسوع وامسكوه » هذا ما جاء فى متى ، وجاء فى يوحنا فى هذا المقام ما نصه : « فاخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع ، وهو عالم بكل ما ياتى ، وقال لهم : من تطلبون ؟ اجابوه : يسوع الناصرى ،

قال لهم : انى انا هو ، وكان يهوذا مسلمه ايضا واقفا معهم ، فلما قال لهم انى انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض ، فسالهم ايضا من تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى ، اجاب يسوع قد قلت لكم : انى انا هو ، فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ليتم القول الذى قاله : ان الذين اعطيتنى لم أهلك احدا » .

ونرى هنا اختلافا بينا بين الروايتين ، فمتى يقول : ان يهوذا هو الذى اعلمهم بالمسيح بالعلامة التى اتفق معهم عليها ، وهى تقبيله ، ويوحنا يقول : ان المسيح هو الذى قدم نفسه وكفى يهوذا مئونة التعريف، ولا شك أن ذلك الاختلاف البين فى رواية حادثة واحدة يجعل احدى الروايتين كاذبة والثانية صادقة ، والكاذبة ليست بالهام ، فاحداهما ليست بالهام ، ولا سبيل الى معرفتها فيثبت الشك فى الروايتين .

وفى الحق أن من يراجع الاناجيل فى خبرها عن القبض على المسيح وحبسه ، ثم محاكمته وصلبه فى زعم النصارى ، ثم قيامته من قبره ، يجد الاختلاف فى اخبارها اختلافا بينا ، ولو كان بعض هذا الاختلاف فى شهادة اثنين يشهدان فى درهم ما ثبتت بشهادتهما دعوى ، ولا انتصر بها حق .

ولتراجع الاناجيل فى هذا المقام لتعرف مقدار الصحة فى خبرها ، ولتعرف مقدار ما فى دعوى الالهام لكاتبيها عند كتابتها من حق ، فلا شك ان ذلك الاختلاف الذى لا يمكن التوفيق بين متناقضه يؤدى الى ان تلك الاناجيل يأتيها الشك من كل جانب ، يأتيها من بين يديها ، ومن خلفها ، فلا يمكن أن تكون الهاما من حكيم حميد .

وان ذلك الاختلاف فيما أحاط بمسألة الصلب — فوق أنه يفقد الثقة بالاناجيل ، هو أيضا يجعل خبر الصلب عند القارىء الخالى الذهن الذى لم يكن فى ذهنه قبل القراءة ما ينفيه أو يثبته موضع الشك الذى يرجح فيه الرد على القبول ، والتكذيب على التصديق .

(د) وفى موت يهوذا الذى خان المسيح على زعمهم ، اختلفت رواية متى عن رواية لوقا فى سفر اعمال الرسل . فمتى يقول : انه خنق نفسه ومات ، كما جاء فى الاصحاح السابع والعشرين .

ولوقا يقول فى سفر الأعمال : انه خر على وجهه ، وانشق بطنه ، فانسكبت احشاؤه كلها ومات .

ولا شك ان بين الروايتين اختلافا ، لأن الموت بالخنق غير الموت بشق البطن ، ولا بد ان تكون احداهما على الاقل كاذبة . ولكنها غير معلومة ، فيتطرق الشك الى الأخرى فيردان معا ، ولا يمكن أن تكونا بالهام او لا يمكن مع ذلك الشك الايمان بان كتبهما بالهام .

(هـ) قد اشتمل بعض هذه الكتب على اخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة فى التاريخ بعرفها الخاص والعام ، ولدونتها كتب التاريخ على انها حوادث مفردة عجيبة فى الدهر . ولكن لم يرد لها ذكر فى التاريخ ، ولم يعرف الناس امرها الا من تلك الكتب .

هذا متى يقول عند صلب المسيح وقيامته : فصرخ يسوع بصوت عظيم واسلم الروح ، واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى اسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من اجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين . وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة ، وما كان ، خافوا جدا ، وقالوا : حقا كان هذا ابن الله » .

وهذه حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العام الذى لم يشر الى المسيح بكلمة ، ولو صحت ايضا لآمن الرومان واليهود ، الصخور تتشقق ، والأرض تزلزل ، والأموات ينشرون ، ويسيرون على الارض ، ويراهم الكثيرون ، ويبقى بعد ذلك مساغ لانكار ، ولكن لم ترد اخبار بايمان احد من اليهود على اثر تلك البينات الباهرات .

ولقد جزم العلامة المسيحى نورتن بكذب هذه الحكاية ، وقال فى تكذيبها : « هذه الحكاية كاذبة والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة فى اليهود بعد خراب أورشليم ، فلعل احدا كتب هذه الحكاية فى النسخة العبرانية ، وادخلها الكتاب فى المتن ، وهذا المتن فى يد المترجم فترجمها كما وجدها » .

ونقول : لعل كثيرا مما فى المتن أصله فى الحاشية ثم نقل خطأ فى المتن ، واذا كان الأمر كذلك ، فكيف يكون هذا الكتاب واشباهه مصدرا

لاعتقاد جازم ، وايمان بدين ، وكيف يزعم زاعم ان هذا الكتاب بحواشيه الدخيلة غير المعلومة من متنه الاصيل ، هو بالهام من الله العلى القدير ؟ ! ولكن فى العالم عقول تقبل ذلك .

بيد انه من الانصاف لهذه العقول ان نقول : انهم يقيمون غواشى تمنع نورها ان يكشف عن موضع الضعف فيهـــا فهى لا تقبله على نور وبينة ، وسلطان مبين .

٥٩ — هـــذه بعض المتناقضات بين هـــذه الكتب بعضها مع بعض وبعض مناقضتها للعقل والمدون فى التاريخ ، وانا نحيل القارىء فى هـــذا المقام الى كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى : فقـــد اتى باكثر من مائة اختلاف بين هذه الكتب ، وجبه بها مناظريه ، فلم يحيروا جوابا ، ولم يستطيعوا خطابا ، ولسنا نريد ان ننقلها برمتها منه ليرجع القارىء اليه ، فسيجد الغريب .

التناقض بينهـــا مبطـــل لادعاء الالهـــام وبيـــان انكارهم لبعضها ثم اعترافهم به:

واذا كانت هذه الكتب متناقضة متضاربة يلحق الكذب كلها فى جملتها واجزائها عند مناقشتها فهى اذن ليست بالهام ، ويكفى هذا بطلانا لادعاهم فى الالهـــام .

وان نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم على ما فيها ، وعلى انها فى ذاتها ليست حجة ، هى موضع شك كثير ، فانه ليس لهم ســـند متصل يصـــل هذه الكتب فى اقدم العصور التى عرفت فيها — بالكاتبين لهـــا ، فهى لم تعرف معرفة كاملة قبل مجمع نيقيـــة الذى كان فى ســـنة ٣٢٥ ، ولم يجىء ذكر لها قبـــل ذلك الا على لسان ارينيوس سنة ٢٠٠ وكليمنس سنة ٢١٦ .

بل ان مجمع نيقية لم يعترف بكثير منها ، فان ذلك المجمع لم يعترف بما يأتى :

١ — برسالة بولس الى العبرانيين .

٢ — ورسالة بطرس الثانية .

٣ ، ٤ — ورسالة يوحنا الثانية والثالثة .

٥ — ورسالة يعقوب .

٦ — ورسالة يهوذا .

٧ — ورؤيا يوحنا التي تسمى « الكتاب النبوى » ولم يحكم بصحة هذه الكتب الا فى مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤ .

انقطاع السند فى نسبتها لكاتبيها :

فقبل سنة ٣٦٤ لم يعترف بصحة هذه الرسائل السبع ، وقبل سنة ٣٢٥ لم تكن الكتب كلها معروفة او مختصة بذلك التقديس . وآخر كتاب من هذه الكتب كتب فى القرن الاول ، فبين آخر كتبهم تدوينا فى زعمهم ، ومعرفته والاعتراف به اكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين لا راوى يرويها ، وقد وقع بهم من الاحداث فى هذه المدة ما يذهب باللب ويضيع الرشد ، وينسى المرء معه كل شىء ، وان الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد . فقد اصدر احد اباطرة الروم سنة ٣٠٣ امرا بهدم الكنائس واحراق الكتب ، وعدم اجتماع المسيحيين لاداء عباداتهم ، فنفذ الولاة الامر ، فهدموا الكنائس ، وحرقوا الكتب ، وأتوا على كل ما للمسيحيين من بيوت عبادة وكتب ، هدما وتحريقا ، ومن سبق الى ظنهم انه اخفى كتابا عذبوه عذابا شديدا ، حتى يطلعه ليحرق .

ومن قبل ومن بعد انزلوا البلاء بعلمائهم ، فما تزكوا عالما منهم بالديانة الا قتلوه ، وكان الولاة يتفننون فى طرق ابادة المسيحية من الوجود ، ابادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد اليها ، ويتوارث العلم بها . وابادوا الكتب حتى لا تحفظ تلك الديانة فى الصدور او السطور .

ولا شك أن ذلك الاضطهاد الذى دام الى صدر القرن الرابع يجعل الكتب التى رويت قبل ذلك موضع شك فى نسبتها الى قائليها ، حتى يقوم دليل على صحة تلك النسبة ، ولم يقيموا اى دليل ، لان السند منقطع بينها وبين من تنسب اليهم ، والحبل بينهم وبينها غير متصل باوهى انواع الاتصال ، لأن السند المتصل الذى يطمئن معه القارىء لكتاب ، فيغلب على ظنه انه صادق النسبة أن نسب اليه ، هو ان يروى ثقة عن ثقة مثله حتى يصل السند الى من لقى المؤلف فيقول : سمعته منه ، او تلقيته عنه ،

او قراته عليه كما ترى فى احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكون كل راو من تلك السلسلة المتصلة حلقاتها عدلا ثقة ، ضابطا حافظا ، واذا كان السند غير متصل بين ذيوع هذه الكتب واشتهارها ، وبين قائليها ، فقد ذاعت بعد سنة ٣٦٤ ، ومن نسبت اليهم كتابتها كانوا فى وسط وآخر القرن الاول ، فالعقل يتشكك فى هذه النسبة ، ولا يثبت مع الشك كتابة يكون حجة لديانة .

هذه كتبهم ، اعتقدوا انها كتبت بالهام من كتابها ، ولم يقيموا اى دليل على دعوى الالهام ، وبدراستها يتبين التناقض بينها ، مما يثبت انها ليست بالهام من الله ، وبدراسة تاريخها يثبت انها منقطعة السند عمن نسبت اليهم .

موازنة قس بين احاديث الرسول وكتبهم من حيث الرواية :

٦٠ — ولقد جرؤ قس اسمه ابراهيم سعيد فى شرحه لانجيل لوقا ، فعقد موازنة بين روايته ، ورواية احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ان الذى يطالع ديباجة بشارة لوقا يستعيد الى ذاكرته ديباجة الأحاديث فى الاسلام ، غير انه اذا تشابهت الديباجتان فى بعض الأوجه ، فان اوجه الخلاف تفوق بكثير اوجه الشبه ، فمن اوجه الشبه :

(ا) ان بشارة لوقا والأحاديث كلاهما ترجمة حياة ، واقوال مؤسس لدين واسع الانتشار .

(ب) ان الذين كتبوها اخذوها من اقوال مسلمة اليهم .

الى هنا فقط تنتهى اوجه الشبه ، او تبتدىء زاوية الانفراج تتسع الى أن تختفى خطوطها مع رسوم الأبد .

(ا) فالاحاديث النبوية كتبها اناس اخذوها من اناس آخرين ، وهؤلاء الآخرون اخذوها من التابعين ، وهؤلاء اخذوها من الصحابة ، والتبر متى تنقل بين الأيدى الكثيرة امتزج بكثير من التراب ، ان لم يتحول ترابا ، ولكن لوقا اخذها من شهود عيان ممن رأوا المسيح ، وخدموا انجيله .

(ب) نقلت الأحاديث النبوية عن رواة ، وما كتبة الأخبار الا رواتها ، لكن سيرة المسيح سجلها مؤرخون محققون للامور المتيقنة عندهم .

(ج) كانت مهمة كتبة سيرة نبى الاسلام جمع الأحاديث وتكديسها ، لكى يظفروا بأكبر عدد ممكن ، وكانت مهمة لوقا التمحيص العلمى ، اذ كان هو طبيبا عمليا ، علميا دقيقا .

بيـــان ما فى كلامه من زيف :

٦١ — هذا نص ما كتبه ذلك القس فى الموازنة بين احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وانجيل لوقا ، ونحن نقره فى أن أوجه الاختـــلاف تنفرج زاويتها ، حتى لا يتلاقى المتشـــابهان بعـــدها ، وان شئت الحق الخالص من كل تمويه ، والصدق الخالى من كل تزوير لقل انه لا تشابه بينهما ، كخطين متوازيين لم يتلاقيا ، ولن يتلاقيا قط .

ولكن اذلك الاختلاف يعلى الأحاديث أم يعلى البشـارة المنســوبة للوقا ؟ هنا نختلف مع القس . فهو يزعم ان ذلك الاختلاف يعلى بشـــارة لوقا ، ويفقـــد الثقة احاديث الرسول ، وهـــو لكى يؤيد هذا الزعم يأتى بالمحاسن فيسميها مساوىء ، ويعرض لما يوجب الثقة ، فيزعمه دليـــل نقيضها ، وهو فى هذا كمن يزعم قبح الشـــمس فى نورها الرائع ، وضوئها الســـاطع ، وقبح القمر فى صفائه ، وانبلاجـــه فى ظلمة الليل البهيم ، ثم يسعين فى تقبيح المحاسن الى التشـــبيهات والأخيلة والرمـــوز ، كشأن الموهين دائما ، عندما يحاولون طمس المعقول ورد المقبول . ومعارضة ما تنتجه بدائه العقول ، والمنطق المستقيم .

يقول ان الاحاديث كتبها ناس عن ناس حتى يصلوا الى التابعين ، فالصحابة ، وبشـارة لوقا اخذها عن شهود عاينوا ، ويرى أن رواية بشـارة لوقا هى المثلى ، ورواية الاحاديث ليست المثلى . ويبـــــتدل على ذلك بان التبر متى تنقـــل بين الأيدى امتزج بالتراب أو تحـــول الى تراب ، فاى دليـــل هـــذا ؟ ومن اى أبواب الاقيســـة المنطقية ، ومن اى اشكالها ؟ ان ذلك ليس من المنطق فى شىء ، ولا يمت اليه بنسب ، بل لا نستطيع أن نقول أن ذلك قياس خطابى ، لأن الاقيســـة الخطابية ، وان كانت ظنية لا تناقض العقـــل ، ولا تكذب على البـــداهه ، ولكنا مـــع ذلك نناقش ذلك الاستدلال .

ان احاديث الرسـول رويت بسند متصل ، وذلك عيبها فى زعم هذا الكاتب ، وبشـارة لوقا لم ترو بسند متصل ، وذلك حسنها ، واذا قال لك

فاقل : اين ما تثبت به انه روى عن شهود ماينوا ؛ ومن هم هؤلاء الذين ماينوا واخبروه ؟ ولماذا لم يتولوا هم التدوين ، وهم اولى بذلك ، وكلامهم احرى بالتصديق ؟ فلا جواب عنده بلا ريب .

فايتها العقول المستقيمة ، اى الخبرين احرى بالقبول ، خبر من ذكر انه روى من فلان العقل المعروف بالصدق والتقوى ، وعينه ، وعدالته مشهورة ، وصدقه معروف . أم خبر من ذكر لك انه روى ممن عاين ولم يبين من هو ، ولم يخبر عنه ؟ فلم تعرف اهو ثقة مقبول الرواية أم هو غير ثقة كبهوذا الاسخريوطى ؟ ان اقصى ما يقال هو ان لوقا نقل عن بولس ، لانه كان رفيقا له فى بعض أسفاره ، ولكن بولس نفسه لم يكن من تلاميذ المسيح الذين ماينوا وشاهدوا بل كان فى صدر حياته حربا عليهم والبا ، اذاقهم البلاء اكؤسا ، والشر الوانا ، فهو راو يحتاج الى من يوثقه ، ان ادعى ان لوقا روى عنه ، وذلك ما لم يقله حضرة القس .

ولننتقل الى مناقشة تشبيه الذى ذكره دليلا : ان التبر اذا انتقل الى ايد تستطيع صيانته وحيلطته — تحفظه من التراب ، وتصونه من الاختلاط به وتميط عنه كل ما يخالط جوهره ، فيزداد بهذا الحفظ بريقا وصفاء ، ان احاديث الرسول نقلها ثقات صانوها وحفظوها ، ولكن يظهر أن القس يابى فى مناقشته الا ان يخالف كل معقول ، حتى يكون كل كلامه متفقا مع الباعث عليه والداعى اليه ، فيزعم ان التبر قد يتحول الى تراب اذا تناولته الايدى .

فايها الناس ، ويايها العرب والعجم ، ويايها الشرق ، ويايها الغرب ، هل علمتم ان الذهب يتحول الى تراب ، ولكن القس المرشد الرشيد يقول ذلك فصدقوه وكذبوا العقل والحس والمشاهدة .

ثم من الذى روى لنا تلك البشارة عن لوقا ؟ ان السند يجب ان يكون معروفا حتى لوقا ، قبل ان نتعرف النسبة بين لوقا والمسيح ، ان بشارة لوقا كتبت كما يزعم النصارى فى العشرة السابعة بعد المسيح من غير ان يعينوا الزمن تعيينا دقيقا ، ولكن لم يرد فى التاريخ ، ولا على السنة الرؤساء والقسيسين اى ذكر لها الى سنة ٢٠٠ ثم ذكرت الاناجيل الاربعة على لسان اثنين من العلماء فقط من سنة ٢٠٠ الى سنة ٣٢٥ ، ولم نعرف اهذه الاناجيل المدونة المسطورة الآن هى التى جاء ذكرها على لسان

عالمين من علمائهم فى فترة من التاريخ قدرها خمس وعشرون سنة وثلاثمائة ، وهى فترة طويلة .

ولكن مع كل هذا يستحسن القس ابراهيم سعيد تلك الحال ، فقد زينت له قرآها الامر الحسن الجدير بالثقة . ورأى غيرها الامر القبيح الجدير بالرد . وهل نطالب ذا رمد ان يفتح عينيه فى ضوء الشمس ، او نطالب من فقد حاسة الشم ان يدرك أريج الزهر ، وعرف الطيب ، او نطالب من أبيت منه المشاعر أن يكون صادق الحس دقيق الشعور .

٦٢ — ولننتقل الى الفرق الثانى الذى ذكره معللا لبشارته ، ومنزلا بأحاديث نبينا عليه الصلاة والسلام يقول : نقلت الاحاديث عن طريق رواة ، وما آفة الاخبار الا رواتها ، اما سيرة المسيح فقد سجلها مؤرخون محققون للأمور المتيقنة عندهم .

هذا ما ذكره بنصه تقريبا ، وهو يبين ارجحية اخبار اناجيله عن سيرة المسيح بانها رواها التاريخ ، اما عن السنة فرواية رواة ، وآفة الاخبار رواتها ، ولا نريد مناقشة تلك الكلمة العلمية التافهة « آفة الاخبار رواتها » فانها لا تصلح مقدمة لدليل علمى ، ولو أن طالبا ممن تلقوا العلم علينا قالها لعركنا اذنه ولسررنا اليه ان رواة الاخبار الذين هم آفاتها انما هم الكاذبون . اما الصادقون العادلون ، فليسوا آفاتها بل حملتها ، والا ما صحت شهادة ، ولا قبل القضاء بينات ، ولا ثبتت حقوق ، ولا أدين متهم ، ولا برىء برىء .

ثم يقول ان اناجيله سجلها مؤرخون محققون ، فكيف نسميهم ؟ أرواة رووا عن غيرهم ؟ ان كانوا كذلك ، فقد سجل على سيرته ما عده قبيحا عند غيره ، وان كانوا مؤرخين لم يتعرفوه بطريق الرواية ، بل بالنقش على الاحجار ، او فيما استنبطته بطون الآثار ، فاى أثر هذا وجدوا تلك الاناجيل منقوشة عليه ، ومدونة فيه ، واثبت التحقيق العلمى انها ترجع الى عصر المسيح ، وانه هو الذى القاها ، أو ان تلاميذه دونوها عنه ؟ .

ان اخبار التاريخ تثبت باحد امرين ، اما بالرواة يروون ، أو بالآثار ينقبون فيها ، ويتعرفونها منها ، لم تثبت الاناجيل بواحد من الامرين ، فليست ثمة رواية لها ولا رواة ، وهم يتزهونها عن ذلك ، ولا آثار تنطق

بها ، وتعلن خبرها فهى اذن يرفضها التاريخ ، ولا يمكن ان يسجلها مؤرخون محققون قط ، وان التاريخ لا يعرف لها ذكرا الا من مجمع نيقية أو بعده . فهى مستندة الى ثمانية عشر وثلاثمائة اجتمعوا فى نيقية ، وليست محققة النسبة لغيرهم بل بعضها ليس محقق النسبة عندهم ، وبين هؤلاء وبين المسيح خمس وعشرون سنة وثلاثمائة !! وبعد هؤلاء المجتمعين تناقلها الرواة عنهم ، وان أغضب ذلك حضرة القس ، وان ذلك المجمع لنا فيه كلام ، سنقوله فى موضعه .

٦٣ — ولننتقل الى مناقشة الفرق الثالث الذى ظنه رافعا مؤرخيه الى مرتبة الثقة ، يقول : كما كانت مهمة كتبة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم الجمع ، ليظفروا باكبر عدد من الاحاديث . أما مهمة لوقا ، فتدكانت التحقيق والتمحيص ، وهنا نرى القس أخذ يجد بعد الهزل ، ويقول بعد الهذر ، ولكنه اذ ابتدأ يجد قد كذب واعظم الفرية على احاديث نبينا ، وادعى على بشارة لوقا ما ليس فيها ، فاى تحقيق علمى فيها ، واى تمحيص اشتملت عليه ؟ انها لا تفترق عن غيرها من حيث اشتمالها على أمور غريبة ، واشياء عجيبة ، ولم يبين لنا رأيه فيها ، بل كان قاصا كل القصاص ، ولا يرفعها أنه كان طبيبا ، لان نسبتها اليه موضع شك كبير ، ولم يتفق الكتاب على شخصه كما بينا ، ولم يتفقوا على انه كان طبيبا ، بل منهم من قال انه كان مصورا ، وعلى ذلك تكون دعواه التمحيص فى بشارة لوقا لا تؤيدها ما دون فيها ، ولا تؤيدها نسبتها الى لوقا .

ولننتقل بعد ذلك الى رد افترائه ، وكذبه على احاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، فان المطلع على أخبار رواتها العدول ، وما كتب فى صحاحهم يتبين له انهم ما كان همهم الجمع ، بل كان همهم التنقيب والبحث فانهم ما كانوا يروون كل ما يتلقون ، بل يختارون الصادق مما يتلقون ، وان الذى يرفضون كان أضعاف ما يقبلون وينقلون ، لانهم كانوا يتحرون الصدق ليتميز الخبيث من الطيب ، وان الصحابة كانوا يتهيبون من يكثر من الرواية خشية أن يخبر عن الرسول بغير ما رأى وشاهد ، فكيف يقول ذلك الرجل على غير علم ، أو محرفا الكلم عن مواضعه : « ان رواة الاحاديث كان همهم الجمع » ، كلا انهم كانوا ينقدون ما يروون ، ينقدون السند أولا ، فلا يقبلون الا من الرواة الذين اشتهر صدقهم وضبطهم وفهمهم

لما يحملون ويروون ، وينقدون متن الحديث : فيعرضونه على الكتاب وما اشتهر من السنة واستفاضت به الاخبار ، وما علم من هذا الدين بالضرورة فان لم يخالفها بعد ان روى بسند متصل مكون من عدول كان مقبولا ، والا كان مردودا ، ونريد أن نهمس فى اذن حضرة القس الرشيد بان من اسباب ردهم لبعض الاحاديث ورفض نسبتها الى الرسول عليه الصلاة والسلام — عدم موافقتها للعقل ، فهل له أن يطبق ذلك النقد على اناجيله ورسائله ؟ انا ننصح له أن يفعل ، لانا نريد له الهدى ، لا الضلال ، والرشد لا الغى ، وهى نية نحتسبها عند الله .

نظرة فى الوحى فى الاسلام والوحى فى المسيحية :

٦٤ — نريد أن نختم مناقشتنا لذلك القسيس بمناقشة كلمة ذكرها: وهى التفرقة بين الوحى فى الاسلام والوحى فى المسيحية. فيقول عن الوحى فى الاسلام : « ان الوحى فى الاسلام هو التجرد عن كل شىء انسانى ، وتلاوة ما يسمونه اللوح المحفوظ ، ولكن الوحى فى المسيحية يجمع بين العنصر البشرى والعنصر الالهى ، اى الالهيات الالهية تتجسد فى لباس لغوى بشرى ، لتكون مفهومة لدى الناس الذين تبلغ اليهم ، فالكلمة المعلنة المكتوبة فى الانجيل هى رمز لكلمة الله ، الوحى المعلن لنا حق الله .

من اجل هذا يعتقد المسيحيون ان الوحى بالروح القدس لا يحرم على الموحى اليهم استخدام الوسائل البشرية الاجتهادية الممكنة لديهم ولا يرفع عن الكاتب مسئولية الاجتهاد ، والتحقيق والتدقيق ، هذا بخلاف الاعلانات المحتوى عليها كتاب الوحى التى لا تتدخل فيها مواهب الكاتب الطبيعية ، بل هى من الله أولا وآخرا ، كالنبوات المتفرقة فى كل أجزاء الكتاب المقدس ، وسفر الرؤيا » .

معنى الوحى :

هـذه كلمته ، ونريد قبل ان نتعرف من تلك الكلمة معنى الوحى فى كتبهم ان نسارع الى بيان وحى الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الاسلام فنقول : ان وحى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قسمان : قسم يوحى به على أنه كلام الله تعالت كلماته ، ولهذا يكون المعنى والتعبير لله جلت قدرته ، وذلك كما فى القرآن الكريم الذى نزل به الروح الأمين .

القسم الثانى ، الامور الشرعية التى كان يوحى الله بها الى النبى صلى الله عليه وسلم ليبينها للناس ، فالمعنى فيها يوحى من الله تعالى والعبارة فيها للنبى صلى الله عليه وسلم .

واذن فكلامه من الوحى فى الاسلام لم يكن صحيحا فى عمومه ، وكان عليه ان يتحرى قبل ان يكتب ، ولكنه لم يفعل .

ولننتقل الى الوحى بالكتب عندهم ، وهذا ما نريد ان ناخذ العلم به عنه ، وعساه يهدينا الى ما نعرف به محض الحق المبين .

هو يقول ان كلمات الانجيل ليست هى كلمات الروح القدس التى القاها رسلهم ، سواء فى ذلك كل كتبهم ، فالعبارة فيها للكاتب ، وليست الروح القدس الذى يلهم رسلهم بما يكتبون فيما يزعمون ، ثم تنقسم كتبهم بعد ذلك الى قسمين : قسم هو وحى لا تدخل فيه المواهب الطبيعية بالتصرف فيه باى نوع من انواع التصرف، وهو ما يسمى بالنبوات عندهم . والقسم الثانى تتصرف فيه مواهب الكاتب ، وفى هذا القسم لا يرفع من الكاتب ما يوجبه عليه التحقيق والتدقيق والاجتهاد .

ونظرة فاحصة الى هذا القول ترينا ان الالهام قد اخذ يضؤل امره ، وتتواضع دعواه ، خصوصا بالنسبة للاناجيل ، لانها ليست بكتب نبوة كالرؤيا ، ولم يتخللها كلام الله ، كما يفعل بولس فى رسائله ، اذ كان يزعم احيانا انه يتكلم عن الله ، واحيانا يقول انه يتكلم من عنده ، فالاناجيل ليست فيها اذن تلك النبوات ، وعلى ذلك يكون للمواهب الطبيعية البشرية دخل فى كتابتها ، ويتحملون تبعة الاجتهاد فيها والتدقيق والتمحيص ، ومن يتحمل تبعة عمل ينسب اليه. وعلى ذلك فيتوارد الخطأ على اجتهادهم وتدقيقهم وتمحيصهم ، فيكون من اخبارهم ماصادف التحقيق فيه الصواب، ومنها عرض له الخطأ ، وكيف تكون بعد ذلك بالهام او وحى ؟ وكيف تكون مقدسة لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؟ واذن فقد انوا على دعوى الالهام بالنقض فلا الهام فى الاناجيل اذن .

هذه كلمتنا فى كتبهم نحرينا فيها ان نكتبها كما كتبها المسيحيون ، ونوجه من النقد ما وجهوا ، وذلك لكى ننصف القوم .

ولقد القينا عليها نظرة فاحصة لنوائم بين اخبارها المختلفة ، ونجمع

بين الاقوال المتضاربة ، ونشير الى حكم العقل المستقيم عليها، أهى صالحة لان تكون مصدر دين يتدين به الوف الالوف من البشر واهل العلم ، ام غير صالحة ؟ .

ان كتاب كل دين هو الاصل والدعامة والاساس ، فاذا كان غير صحيح السند ، او غير مقبول لدى العقول كان ثبوت الدين فيه نظر ، بل انه انهار ، وفقد اصله ، ولم يعد شيئا فى الاديان مذكورا .

ولننتقل بعد ذلك الى عقيدة المسيحيين ، وبعض شرائعهم كما جاءت بها تلك الكتب التى علمت امرها .

النصرانية كما هى عند النصـــارى وفى كتبهم

العقيـــــدة :

٦٥ ـــ جاء فى كتاب «موسنة سليمان» لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصرانى أن « عقيدة النصارى التى لا تختلف بالنسبة لها الكنائس ، وهى أصل الدستور الذى بينه المجمع النيقاوى هى الايمان بالله واحد أب واحد ، ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد ، يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر ، الذى به كان كل شىء والذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تانس، وصلب عنا على عهد بيلاطس ، وتألم وقبر ، وقام من الأموات فى اليـــوم الثالث على ما فى الكتب . وصعد الى السماء وجلس على يمين الرب ، وسيأتى بمجد ، ليدين الأحياء والأموات ، ولا فناء لملكه ، والايمان بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب ، الذى هو مع الابن يسجد له ، ويمجـــد ، الناطق بالأنبيـــــاء » .

هذا هو جوهر العقيدة ولبها الذى لا اختلاف فيه ، وفى هذا الكلام أبهام يحتاج الى فضل بيان ، وأنا منشغلون فى توضيحه بما كتبوه هم ، حتى لا نتزيد عليهم بقول ، ولانفرض عليهم فهمنا ، ولكى تكون صادقين الحكاية لكل أقوالهم من غير اى تحريف ، والذى يستفاد من هذا ان اساس العقيدة يقوم على ثلاثة عناصر :

العنصر الاول : التثليث والايمان بثلاثة اقانيم .

والعنصر الثانى : صلب المسيح فداء عن الخليقة وقيامه من قبره ، ورفعـــــه .

والعنصر الثالث : انه يدين الأحياء والأموات .

وللتكلم عن كل واحد من هذه العناصر .

عقيـــدة التثليث :

٦٦ ـ قال الدكتور بوست فى تاريخ الكتاب المقدس : « طبيعة الله عبارة عن ثلاثة اقانيم متســـــاوية : الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فالى الآب ينتمى الخلق بواسطة الابن ، والى الابن الفـــداء ، والى الروح القدس التطهير » .

ويفهم من هذا ان الاقانيم الثلاثة عناصر متلازمة لذات الخالق .

التـــوراة والتثليث :

وقد فسر هذا المعنى القس بوطر فى رسالة صغيرة ، سماها الأصول والفروع ، واليك ما جاء فيها : « بعد ما خلق الله العالم ، وتوج خليقته بالانسان لبث حينا من الدهر لا يطن له ســـــوى ما يختص بوحدانيته ، كما يتبين ذلك من التوراة ، على انه لا يزال المدقق يرى بين ســـــطورها اشـارات وراء الوحدانية ، لانك اذا قرأت فيها بامعان تجد هذه العبارات :

«كلمة الله ، او حكمة الله ، او روح القدس» ولم يعلم من نزلت عليهم التوراة ماتكنه هذه الكلمات من المعانى ، لانه لم يكن قد اتى الوقت المعين الذى قصد الله فيه ايضاحها على وجه الكمال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة فى ضوء الانجيل يقف على المعنى المراد ، اذ يجدها تشير الى اقانيم فى اللاهوت . « ثم لما جاء المسيح الى العالم أرانا بتعاليمه واعماله المدونة فى الانجيل ان له نسبة سرية ازلية الى الله ، تفوق الادراك ، ونراه يسمى فى أسفار اليهود : « كلمة الله » وهى ذات العبارة المعلنة فى التوراة، ثم لما صعد الى السماء ارسل روحا، ليسكن بين المؤمنين، وقد تبين أن لهذا الروح ايضا نسبة ازلية الى الله فائقة ، كما للابن ، ويسمى الروح القدس، وهو ذات العبارة المعلنة فى التوراة كما ذكرنا ، ومما تقدم نعلم بجـلاء ان المسمى بكلمة الله والمسمى بروح الله فى نصـــوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران فى الانجيل ، فما لمحت اليه التوراة صرح به الانجيل كل التصريح ، وان وحدة الجوهر لاينافضها تعدد الأقانيم ، وكل من انار الله ذهنه وفتح قلبه فهم الكتاب المقدس لا يقدر أن يفسر الكلمة بمجرد امر من الله أو قول مفرد ، ولا يفسر الروح بالقوة التاثيرية ، بل لابد له ان يعلم أن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوين فى الكمالات الالهية ، ومتمازين

في الاسم والعمل ، والكلمة والروح القدس اثنان منهم ، ويدعى الاقنوم الاول الاب ويظهر من هذه النسبة أنه مصدر كل الاشياء ومرجعها ، وان نسبته للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية ، ويمثل للافهام محبته الفائقة ، وحكمته الرائعة ، ويدعى الاقنوم الثاني الكلمة ، لانه يعلن مشيئته بعبارة وافية ، وانه وسيط المخابرة بين الله والناس ، ويدعى ايضا الابن ، لانه يمثل العقل نسبة المحبة ، والوحدة بينه وبين ابيه ، وطاعته الكاملة لمشيئته ، والتمييز بين نسبته هو الى ابيه ، ونسبة كل الاشياء اليه ، ويدعى الاقنوم الثالث الروح القدس ، الدلالة على النسبة بينه وبين الاب والابن ، وعلى عمله في تنوير ارواح البشر ، وحثهم على طاعته » .

الابن لا يعني به الولادة البشرية :

وبناء على ما تقدم يظهر جليا أن عبارة الابن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ الى ولادة بشرية ، ولكنها تصف سرية فائقة بين اقنوم وآخر في اللاهوت الواحد ، واذا اراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة انسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة في الذات ، والامانة للمشورة الالهية ، وأما من حيث الولادة البشرية فالله منزه عنها ، لاجل هذه الايضاحات علم خدام الدين المسيحي واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الالهية أن في اللاهوت ثلاثة اقانيم ، حسب نص الكلمة الازلية ، ولكل منهم عمل خاص في البشر ا . هـ . بنصه تقريبا .

ونجد كاتب هذا الكلام يحاول ثلاث محاولات :

أولاها : اثبات أن التوراة وجد فيها اصل التثليث ، لوحت به ولم تصرح ، واشارت اليه ، ولم توضح .

وثانيها : ان في اللاهوت ثلاثة اقانيم ، وهي في شعبها متغايرة وان كانت في جوهرها غير متغايرة .

وثالثها : ان العلاقة بين الاب والابن ليست ولادة بشرية ، بل هي علاقة المحبة والاتحاد في الجوهر .

ولقد كان بيان ذلك المعنى أوضح من هذا البيان في قول القس ابراهيم سعيد في تفسير بشارة لوقا ، فقد جاء فيه في تفسير معنى كلمة ابن العلي

التى جاءت فى انجيل لوقا ما نصه : « يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد » « بابن العلى » أو « ابن الله » علم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله والا لقيل ولد الله ، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعا انهم أبناء الله ، لان نسبة المسيح له هى غير نسبة المؤمنين عامة الله ، ولم يقصد بها تفرقة فى المقام من حيث الكبر والصغر ولا الزمنية ولا فى الجوهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التى بين المسيح والله ، وهى محبة متبادلة ، وما المحبة التى بين الآب والابن الطبيعيين سوى اثر من آثارها ، وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها ، ويراد بها اظهار المسيح لنا انه الشخص الوحيد الذى حاز رضا الله ، وأطاع وصاياه ، فقبل الموت موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه : « هـــذا ابنى الحبيب الذى به سررت ، له اسمعوا » وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الارض لانه تمم ارادة الله فى الفداء ، ويراد بها اظهـــار التشابه والتماثل فى الذات ، وفى الصفات وفى الجوهر ، كما يكون بين الآب والابن الطبيعيين ، فقيل عن المسيح انه بهاء مجد الله ، ورســم جوهره ، وقال هو عن نفسه : من رآنى فقد رأى الآب ، انا والآب واحد ، ويراد بها دوام شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شىء الذى منه وبه له كل الاشياء ، وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة يقصر دون ادراكها العقل» .

الثالوث اشخاص متغايرة ، وان كان وجودها متلازما :-

٦٧ — وفى هذا التفسير ، والتفســـير الذى سبقه يبدو بجـلاء ان شخصية الابن غير الآب ، وكذلك روح القـدس ، ولكن هل يدخـل فى الاقنوم الثانى جسده وروحه ؟ جاء فى كتاب خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر : « كنيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت ايمانهـــا من كيرلس وديسقوروس . ومعها الكنائس : الحبشـــية ، والارمنية والسريانيـة والارثوذكسية تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الاقانيم . اقنوم الآب، واقنوم الابن ، واقنوم الروح القدس ، وان الاقنوم الثانى اى اقنوم الابن تجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة ، بريئـة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشـــيئة واحـــدة » .

وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية بان للاقنوم الثانى طبيعتين ومشيئتين ، ومن هذا نرى ان الكنائس كلها تعتقد التثليث ، وهذا هو موضع اتفاق . ولكن موضع الخلاف بينها هو العنصر الالهى فى المسيح ، اهو الجسد الذى تكون من الروح القدس ومن مريم العذراء الذى باختلاطه بالعنصر الالهى صار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة أم ان الاقنوم الثانى له طبيعتان ومشيئتان ؟.

٦٨ — ومن هذا كله يفهم ان المسيحيين على اختلافهم يعتقدون ان فى اللاهوت ثلاثة يعبدون ، وعباراتهم تفيد بمقتضاها أنهم متغايرون وان اتحدوا فى الجوهر والقدم ، والصفات ، والتشابه بينهم كامل ، ولكن كتابهم يحاولون ان يجعلوهم جميعا اقانيم لشىء واحد ، وبعبارة صريحة يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية ، ولكن عند هذه المحاولة تستغلق فكرة التثليث ، وتصير بعيدة عن التصور ، كما هى فى ذاتها مستحيلة التصديق ، وان كتابهم انفسهم يعتقدون انها بعيدة التصور عند هذه المحاولة ، لان من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث .

فنرى صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث ، يقول : « لقد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو ان نفهمه فهما أكثر جلاء فى المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما فى السموات وما فى الارض ، واما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه كفاية » أى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها الا يوم تتجلى كل الاشياء لها يوم القيامة ، وذلك حق ، فانهم لا يعلمون حقيقتها الا يوم يحاسبهم الله عليها .

لماذا يحاولون الجمع بين الوحدانية والتثليث :

ولماذا شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث ، او على الاقل بجلهد بعضهم فى بيان انه لا منافاة بينهما ؟ لعل الذى يدفعهم الى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتابا مقدسا عندهم ، وهى تصرح بالتوحيد ، وتدعو اليه ، وتحث عليه ، وتنهى عن الشرك بكل شعبه . وكل أحواله ، بل تدعو الى البراءة من المشركين اينما كانوا ، وحيثما ثقفوا .

انهم يجتهدون اولا فى ان يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الاشارة الى التثليث ، كعبارة « كلمة الله » او عبارة « روح القدس » .

وثانيا : يحاولون ان يرجعوا التثليث إلى الوحدانية ، لتلتقى التوراة مع الانجيل فيقربوا التوراة اليهم بتحميل عباراتها ما لا تحتمل ، ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد ، وان كان هو ايضا لا يحتمل ذلك ، ولعل ذلك تتميم للفلسفة الرومانية التى كانت تحاول الجمع بين مسيحية المسيح عليه السلام ، ووثنية الرومان ، وتوراة اليهود بما تحمل من وحدانية ظاهرة لا شبهة فيها ، الا التجسيد ، أو ما يوهمه فى بعض عباراتها .

٦٩ — ولقد يجتهد كتاب المسيحية فى اثبات ان عقيدة التثليث والوهية المسيح قد وردت بها كتبهم المقدسة ، ويسندونها الى آياتها ، سواء اكانت من كتب العهد القديم ، ام من كتب العهد الجديد ، فيقول صاحب كتاب الاصول والفروع : « اما الايات الالهية التى تثبت لاهوت المسيح فهى كثيرة جدا ، ولضيق المقام نكتفى باقتباس شىء يسير ، فمن اقواله تعالى بلسان اشعياء النبى : « ها العذراء تحبل ، وتلد ابنا ، وتدعو اسمه عمانوئيل (اى الله معنا) » وقوله : « كانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه : ويدعى اسمه عجيبا ، مشيرا الها قديرا ، ابا ابديا رئيس السلام » : اشعيا ٧ : ١٤ و ٩ : ٦ — .

وعند عماده وتجليه على الجبل فهدله الله من السماء بصوت مسموع قائلا : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » متى ٣ : ١٨ و ١٧ ا ص ٥ .

ويشهد له يوحنا الرسول قائلا : فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله .. كل شىء به كان . وبغيره لم يكن شىء ، والكلمة صار جسدا ، وحل بيننا ، ورأينا مجده مجدا ، كما للوحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا . يوحنا ١ : ١ و ٣ و ٤ .

وقال المسيح نفسه : انا والآب واحد ، يوحنا ١٠ : ٣٠ ، وقال له احد تلاميذه : « ربى والهى » يوحنا ٢٠ : ٢٨ وقبل منه السجود . ولم يوبخه على دعوته الها ؛ ولما سأله رئيس الكهنة ، وقال له : استحلفك بالله الحى ان تقول لنا : هل انت المسيح ابن الله ؟ أجابه المسيح على الحلف : « انا هو » قال

متى ٢٦ : ٦٣ بمرقس ١٤ : ٦٢ ، وحينما ركب بحر الجليل أظهر طبيعتى لاهوته وناسوته الكليتين، وذلك بينما كان نائما هاجت الرياح، واضطربت الأمواج ، فقام من النوم وأسكتها . فصار هدوء عظيم ، متى ٨ : ٢٣ — ٢٧ فبنومه أظهر ناسوته ، وبتسكينه الأمواج والرياح أظهر لاهوته » .

ويقول صاحب ذلك الكتاب فى أقنوم روح القدس : « ومن حيث اقنومية الروح القدس فظاهر من كلمة الله ، لأن اشعياء يقول : « ولكنهم تمردوا واحزنوا روح قدسه ، فتحول لهم عدوا ، وهو حاربهم » ، اشعياء ٦٣ : ١٠ .

ويقول الرسول بولس : لا تحزنوا روح الله القدس ، ومن المعلوم انه ان كان للروح قوة ، أو صفة ، او شىء من الأشياء فغير العاقلة لا يمكن أن يحزن ، أو يفرح أبدا : فلابد أن يكون اقنوما .

ثم نقرأ فى سفر الأعمال أن الروح قال للرسول : « انزلوا الى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه » .

وهكذا يسترسل فى امثال هذا الاستدلال الى ان يقول : « وقيل عن اعمال الله انها اعمال الروح هو الذى خلق العالم ، ويجدد النفوس ، والمولود منا مولود من الله ، ويحيى اجسادنا الميتة ، وهو على كل شىء قدير » .

وفضلا عما ذكر نجد فى الكتاب أن الحقوق والصفات الالهية تنسب على سواء الى كل من الآب والابن والروح القدس .

ولكل منهم تقدم العبادة وهم متساوون ومتحدون ، كما نرى فى دستورية المعمودية : « عمدوا باسم الآب والابن وروح القدس » . متى ١٨ : ١٩ ، « والبركة الرسولية نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة وبركة الروح القدس مع جميعكم » .

٧ — هذه هى استدلالاتهم من كتبهم لاثبات عقيدة التثليث ، والابراء عليها ، واثبات سندها من تلك الكتب ، قد أطلنا فى نقلها عنهم ، واقتطعناها من عباراتهم بنصها ، ولم نتصرف فيها بأى نوع من انواع التصرف فى البيان خشية التزيد عليهم، وخشية أن يؤدى التصرف فى التعبير الى التغيير فى الفكرة ، ونرى أنهم لم يعتمدوا فى اثبات تلك العقيدة على

اى دليل عقلى ، بل كل اعتمادهم على ما عندهم من نقل يحملونه من أثقال المعانى ما تفوه به العبارات ، ولا تحتمله ابعد الاشارات ، وانهم اذا حاولوا أن يربطوا تسمية التثليث بالعقل حاولوا جهد الطاقة ان يجعلوا العقل يستسيغها فى تصوره ، ويحسون أن العقل لا يكاد يستسيغ ذلك التصور ، وقد نقلنا لك من عباراتهم ما يفيد ذلك ، فارجع اليه .

واذا كانت محاولاتهم تصور التضحية قد أجهدتهم ، وكلفتهم ما لا يطيقون ، فكيف يستطيعون أن يجعلوا من بدائه العقل ما يحمله على تصديق ما يدعون والاقتناع بما يقولون ، لذلك لم يحاولوا أن يتجهوا الى العقل لاثبات قضيتهم من بدهياته ، فان ذلك ليس فى قدرة احد ، اذ ليس فى قدرة أحد من البشر جمع النقيضين فى قرن ، والتوفيق بين الأضداد ، وقضيتهم والبدهيات العقلية لنقيضان لا يجتمعان .

ونرى أن اعتمادهم على النقل لا يغنى من الحق شيئا ، لأن شروط الانتاج فى استدلالهم غير مستوفاة ، اذ ترى أن تلك العبارات التى عثروا عليها فى كتبهم لا تفيد على وجه القطع ما يريدون ، بل قد تفيد بابعد أنواع الاحتمالات ، او باحتمال قريب ، ومن المعلوم فى قواعد الاستدلال أن الاحتمال اذا دخل الاستدلال ابطله ، وكل ادلتهم ينفذ الاحتمال اليها من كل جانب . هذا وان الاستدلال بكتبهم يفيد من صحتها وهى ذاتها يعروها النقد العلمى فى سندها ، وفى متنها من كل ناحية ، فهى فى ذاتها فى حاجة الى دفاع طويل لاثباتها ، وقد بينا ذلك كله فى موضعه من بحثنا .

صلب المسيح فداء عن الخليقة :

٧١ — ولنترك الآن الحديث فى عقيدة التثليث ، ولكن يجب قبل تركها مؤقتا أن نشير الى أن التثليث لم يرد دفعة واحدة على المسيحية ، بل تورد عليها شيئا شيئا ، الى ان اعلن نهائيا عند غالبيتهم فى نهاية القرن الرابع الميلادى ، وسنبين ذلك كله فضل بيان فى تاريخ المجامع المسيحية ، وأسباب انعقادها ، وقراراتها ، ومداها فى موضعه من هذا البحث ، ولنتكلم الآن فى العنصر الثانى من عناصر العقيدة المسيحية ، وهو صلب المسيح فداء عن الخليقة ، وقد أشرنا اليه اجمالا من قبل .

يقولون فى هذا : أن الله من صفاته المحبة ، حتى لقد جاء فى الكتب

المقدسة عندهم : « الله محبة » ومحبة الله ظهرت فى تدبيره طريق الخلاص للعالم ، لان العالم من عهد سقوط آدم فى الخطيئة ، وهبوطه هو وبنيه الى الدنيا ، مبتعد من الله بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته ونبض نعمته رأى أن يقربه اليه بعد هذا الابتعاد ، فارسل لهذه الغاية ابنه الوحيد الى العالم ، ليخلص العالم ، وقد جاء فى انجيل لوقا : « وان ابن الانسان قد جاء لكى يطلب ، ويخلص ما قد هلك » فبمحبته ورحمته قد صنع طريقا للخلاص ، لهذا كان المسيح هو الذى يكفر عن خطايا العالم ، وهو الوسيط الذى وفق بين محبة الله تعالى ، وبين عدله ورحمته ، اذ أن مقتضى العدل ان الناس كانوا يستمرون فى الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف ابوهم ، ولكن باقتران العدل بالرحمة ، وبتوسط الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد ، وقد كان التكفير الذى قام به المسيح هو الصلب ؛ لهذا صلب ، ورضى الله عن صلبه ، وهو ابنه ، ودفن بعد الصلب ، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره ، ويقولون انه كان قد انبا بذلك قبل صلبه .

جاء فى انجيل متى فى الفقرة التى بعد بيان الصلب : « اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس قائلين : يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى : انى بعد ثلاثة أيام اقوم ، فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ، ويسرقوه ، ويقولوا للشعب انه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى ، فقال لهم بيلاطس : عندكم حراس ، اذهبوا ، واضبطوه كما تعلمون ، فمضوا وضبطوا القبر بعد أن ظهوره كان بين تلاميذه .

وقد قام من القبر بعد ثلاثة أيام كما ذكرت اناجيلهم ، ولكنها اختلفت فى تفصيل القيام ، فمتى ذكر انه ظهر فى الجليل ، ولوقا ذكر انه ظهر فى اورشليم ، ويوحنا ذكر انه ظهر فى اليهودية والجليل معا ، ومرقس بين ان ظهوره بين تلاميذه .

وقد ذكر القس ابراهيم سعيد توفيقا بين هذا الاختلاف فقال : « اجمع البشيرون الاربعة على تقرير هذه الحقيقة . ليس المسيح فى القبر ، لانه قام كما قال ، لكن كلا منهم كتب عن القيامة وظهور المسيح للتلاميذ من وجهة نظره الخاصة ، متى كتب عن ظهور المسيح فى الجليل ، لانه كتبه

من المسيح الملك ، ولوقا كتب عن ظهوره فى اورشليم ، لانه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم مبتدئا من أورشليم ، ويوحنا كتب عن ظهوره فى اليهودية والجليل لانه كتب عن المسيح ابن الله الأبدى صخر الدهر ، ومرقس كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ فى فترات منقطعة ، ليشحذ عزائمهم للقيام بالخدمة التى تنتظرهم ، لانه كتب عن المسيح الذى جاء ليخدم البشرية ، ويرفعها الى مستوى الكمال . كل هذا لكى يوقع البشيرون الأربعة نغمة مشجية متنوعة العناصر لانشودة التيابة المجيدة فلئن تنوعت رواياتهم الا انها لا تتناقض » .

وهذا أشبه بالتعللات التى لا تناقش ، ولا تقوى أمام النظر المنطقى المستقيم ، ولكنها تقبل فى الخطابيات ، فهى كالزهرة ترى وتشم ، ولكن لا تعرك ، وذلك لان هذا التوفيق يقوم على قضيتين :

احداهما : ان كل انجيل كتب لغرض معين لا يشمل فى عمومه ماكتب له الانجيل الآخر .

وثانيهما : ان كلا ذكر المكان الذى يتفق مع غرضه ، واذن فلا اختلاف فى الخبر .

وهذا الكلام فيه نظر فى مقدمته ونتيجته ، وذلك لانه لو كان متى كتب يخبر عن المسيح الملك ، ولوقا عن المسيح المخلص ، وهكذا لكان كل انجيل مغايرا للاناجيل الأخرى تمام المغايرة ، مباينا له تمام المباينة ، لانه يكتب فى موضوع يخالف ما يكتب فيه الآخر ، وان كان الشخص واحدا ، كان يكتب كتاب عن شخص بارز فى السياسة والقانون . فكاتب يكتب عنه سياسيا ، وآخر يكتب قانونيا فالموضوع يختلف ، وان كان الشخص متحدا ، ولكنا لا نجد فى الاناجيل فى مجموعها ذلك التغاير ، وعلى فرض تسليم تلك القضية لا نستطيع أن نسلم القضية الثانية ، وهى ان الجليل يناسب المسيح الملك ، واورشليم تناسب المسيح المخلص ، وهكذا . فلماذا اختصت هذه بالملك وتلك بالخلاص ؟ ان ذلك التخصيص تحكم لا يعتمد على منطق ، وعلى فرض صحة المقدمتين ، فان النتيجة لا تبنى عليهما ، لان النتيجة اختلاف ذكر الأمكنة فى حادثة معينة والشهادة بها ، فاحد الشهود يقول : انه رآه فى الجليل ، وآخر يشهد بوجوده بين التلاميذ فى فترات منقطعة ، وثالث يشهد بوجوده فى أورشليم ، واذا اختلف الشهود

فى مكان حادثة معينة كان اختلافهم سببا للظنة فى الشهادة وانهاك الشهود فيها ، ولئن قيل أن المسيح ظهر فى الأمكنة التى ذكرت ، بيد ان كلا ذكر ما رأى ، ولم يكن رآه فيها جميعا كان الكلام مستقيما ، ولكن يكون معناه ان كل انجيل لم يذكر حال المسيح كاملة ، ويحتمل أن يكون الجميع لم يذكروها كاملة على هذا الأساس ، ويكونوا قد نسوا حظا مما ذكروا به .

المسيح يدين ويحاسب :

٧٢ — لم يمكث المسيح بعد قيامته هذه التى يعتقدها المسيحيون الا اربعين يوما ، ثم ارتفع بعدها الى السماء وجلس بجوار الرب فى زعمهم ، وسيأتى ليدين الناس يوم القيامة ، يحاسب كل انسان على ما فعل وقال : ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وله بهذا الملك الابدى ، فلا فناء لملكه ، فهم يقولون : ان الله قد أقام يوما سيدين فيه سكان هذه الأرض بيسوع المسيح ، لأن الآب فى زعمهم لا يدين احدا ، بل قد اعطى ذلك للابن ، فاعطاه سلطان أن يدين الانسان ، لأنه ابن الانسان ايضا ، ولا بد أن يظهر الناس جميعا امام كرسى المسيح ، لينال كل واحد جزاء ما كان قد صنع ، خيرا أو شرا ، هذه عقيدتهم .

فقد جاء فى انجيل يوحنا : « الحق اقول لكم ، انه تاتى ساعة ، وهى الآن ، حين يسمع الأموات صوت ابن الله ، والسامعون يحيون ، لانه كما ان الآب له حياة فى ذاته ، كذلك اعطى الابن أن تكون له حياة فى ذاته ، واعطاه سلطانا ان يدين ايضا ، لانه ابن الانسان ، لا تعجبوا من هذا لانه تاتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة ، انا لا اقدر أن افعل من نفسى شيئا ، كما اسمع أدين ، ودينونتى عادلة لانى لا اطلب مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى ارسلنى » . راجع الاصحاح الخامس .

وجاء فى رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس : « لا بد اننا جميعا نظهر أمام كرسى المسيح ، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع ، خيرا كان ام شرا » (راجع الاصحاح الخامس من هذه الرسالة) .

وجاء فى رسالة بولس الى أهل تسالونيكى : « ان الذين يضايقونكم

يجازيهم ضيقا ، واياكم الذين تتضايقون — راحة معنا ، عند استعلان الرب يسوع مع ملائكة قوته ، فى نار لهيب معطيا نقمته للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك ابدى من وجه الرب ، ومن مجد قوته . متى جاء ليتمجد فى قديسيه ، ويتعجب منه فى جميع المؤمنين » .

فهذه النصوص جميعها تبين بجلاء أن الذى سيحاسب الناس ، ويجازيهم بما فعلوا ، الخير بمثله والشر كذلك . انما هو المسيح فى نظرهم .

تقديس الصليب :

مقام الصليب فى المسيحية :

٧٣ — لا يرتفع تقديس الصليب الى مرتبة العقائد السابقة ، لان تلك العقائد أساس المسيحية . اما الصليب فليس له ذلك الحظ . وان كان شعارهم ، وموضع تقديس الاكثرين . ولذا كان حمله علامة على اتباع المسيح .

جاء فى انجيل لوقا : « وقال للجميع ان أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى » .

وحمل الصليب كما يقول كتابهم ، اشعار بانكار النفس ، والاقتداء اثر المسيح فى هذا الانكار ، والسير وراءه مخلصهم ، وفاديهم .

جاء فى شرح بشارة لوقا للقس ابراهيم سعيد : « ان آثار قدمى المعلم تعين طريق خطوات التلاميذ لأنه وان كان المسيح قد صلب عنا بدال فى صلبه : « قد أكمل » لكنا قد أصبحنا بحكم صلبه عنا تحت التزام شرعى لان تكون شركاء المسيح المتألم ، ان شركتنا الشرعية مع المسيح المصلوب ينبغى ان ترافقها وتدعمها شركة اختيارية فعلية معه ، ان صلب المسيح معناه مات عنا ، ولكن صليب كل مؤمن معناه : « موت النفس عن الانانية وحب الذات » وخلاصة هذه الذات هى النفس الامارة بالسوء ، هى تلك الارادة المتمردة التى ينبغى ان نخضعها ، ونستأسرها لطاعة المسيح ، فقول كل واحد ليس ما أريد انا بل ما تريد انت يا رب ، انه من أوجب واجبات كل مسيحى ان يحمل صليبه مختارا طائعا لان التعبير بحمل صليبه

مستمار من العادة التى قضت بها الانظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب ان يحمله كل يوم ، وهذه العبارة انفرد لوقا بذكرها ، فهو صليب يتجدد كل يوم ، كما تتجددت الآمال والآلام فى الحياة اليومية العملية ، فلابد اذن لحمل الصليب من خطوة تسبقه ، وخطوة تعقبه ، أما الخطوة السابقة له فهى انكار النفس ، بمعنى ان يقول تلميذ المسيح لنفسه الأمارة بالسوء ، لا ، لأن حمل الصليب هو حمل العار مضافا الى الم الموت ، وهذا عمل يستلزم انكار النفس ، لأن الرومان لم ينفروا من الصليب فقط ، بل فزعوا من ظله . كذلك كان شعور اليهود بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة ، لأنه مكتوب فى ناموسهم : « ملعون كل من علق خشبة » ، والخطوة اللاحقة لحمل الصليب بل الخطوات هى اقتفاء آثار المسيح كقوله : « ويتبعنى » ، اذن ليس حمل صليبنا غاية لكنه وسيلة لهذه الغاية ، وهى اتباع المسيح حيث « يمضى » أ . هـ .

فحمل الصليب اذن عندهم ليس غاية ، وليس مقصودا لذاته ، ولكنه مقصود لغاية اخرى اسمى عندهم ، وهى اقتفاء خطوات المسيح فى انكار الذات ، والرضا بالفداء فى زعمهم واتباع تعاليمه .

عباداتهم :

٧٤ — عند النصارى عبادتان : هما الصلاة ، والصوم ، أما الصوم فانهم يقولون ان شرعه عليهم اختيارى لا اجبارى ، وميقاته قد تتخالف فيه الفرق ، فنتركه الى الكلام فى الفرق والكنائس ان كان للقول بقية ، ولنتكلم الآن فى صلاتهم .

والصلاة عندهم ركن من اركان الدين ، وهى فى زعمهم تقربهم الى الله عن طريق المسيح .

ولقد جاء فى كتاب الأصول والفروع : « ان الدين قلب مقترن بوجود الله الخالق والحافظ والفادى ، فتكون الصلاة ترجمان ذلك القلب ، يعبر بها عما يخالجه من الاشواق والعواطف ، فبالنظر لاقتناعه بقداسته تكون الصلاة كلمات التعظيم والتسبيح له ، وبالنسبة لاقتناعه بجوده واحسانه تكون الصلاة عبارات الشكر والحمد ، وبالنسبة لوقوعنا فى الخطيئة تكون الصلاة كلمات التذلل والتواضع والاستغفار ، وبالنسبة للاحتياج اليه تعالى تكون الصلاة طلبا ودعاء » .

والصلاة عندهم لها شرطان اساسيان لا توجد بدونهما ، هما منها بمنزلة الدعامة :

الشرط الاول : ان تقدم باسم المسيح ، فقد جاء في الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا : « الحق الحق اقول لكم ان كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم ، الى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي ، اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا » .

ويعللون ذلك بان الانسان بسبب خطاياه أبعد من رضا الله ، ولكن بدم المسيح زال هذا البعد ، وأصبح قريبا اليه .

فقد جاء في رسالة بولس الى اهل افسس في الاصحاح الثاني منها : « لكن الآن في المسيح يسوع انتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح لانه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدا ، ونقض حائط السياج المتوسط » .

ويقول صاحب كتاب الاصول والفروع : « للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك ، وهو ان الاسم يمثل دائما المسمى . فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثل وحدته معنا ، بحيث تكون طلباتنا طلباته . وصلاحنا صلاحه ، وحياتنا حياته ، وبالجملة كأنه يحيا فينا ولأجلنا » .

الشرط الثاني : ان يسبق الصلاة الايمان الكامل بما عندهم ، فقد جاء في الاصحاح الحادي عشر من انجيل مرقس ما نصه : « لذلك اقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه ، فيكون لكم » .

وجاء في رسالة يعقوب : « وليكن الطلب بايمان غير مرتاب البتة ، لان المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه ، فلا يظن ذلك الانسان انه ينال شيئا من الرب » .

وليست للصلاة عندهم عبارات خاصة معلومة يجب ان يتلوها ، بل ترك لهم ان يتلوا العبارات التي يختارونها بشرط الا تخرج عن قاعدة الصلاة التي علمهم اياها المسيح لكي يصلوا على منوالها ، وهي المسماة بالصلاة الربانية ، وهي التي جاءت في صدر الاصحاح الحادي عشر من انجيل يوحنا ، ففيه عن المسيح : « واذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه : يارب علمنا ان نصلي ، كما علم يوحنا ايضا تلاميذه »

لهم : متى صليتم ، فقولوا أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، ليات ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا ، لاننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب الينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، ولكن نجنا من الشر . ولديهم امثلة كثيرة للصلوات يختارون منها ما يسهل عليهم : واشهر الاسفار المشتملة على نماذج للادعية والصلوات سفر المزامير .

ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع : « انه خزانة ذهبية لصلوات داود النبى وغيره من الأنبياء صلوا بها فى أحوالهم الخاصة ، مسوقين من الروح القدس ، وكثيرا ما يعرض علينا ذات احوالهم ، فنقتبس من اقوالهم ما يطابق حالنا واحتياجنا للاستعانة على التعبير عما بنا من ملمات الأمور ، كما اذا كنا فى حال الحزن والاسى على خطايانا نقتبس فى صلاتنا من مزمار — ٥١ — لأنه يشتمل على أشد العبارات تاثيرا بصدد التوبة والاعتراف ، والاستغفار من الله ، وكما اذا كنا فى حال الشعور برحمة الله علينا ونعمته نقتبس من مزمار — ١٠٣ — للتعبير عن شكر قلوبنا ، وشعورها بالمحبة والنعمة » انتهى بتصرف .

وليس عليهم عدد معين من الصلوات كل يوم ، كما انه ليس لها مواقيت معلومة ، بل كل ذلك قد وكل الى نشاط المصلين ، ورغبتهم فى العبادة ولكن لأن اليهود كانوا يعبدون الله فى هياكلهم فى صباح كل يوم ومسائه استنبطوا انه تلزم الصلاة مرتين ، احداهما فى الصباح ، والأخرى فى المساء .

ويقولون فى حكمة ذلك فى الصباح : « نطلب بركة الرب علينا سحابة اليوم ، وان يهدينا الى عمل ما فيه رضاؤه ، وان يحفظنا من السوء ، وفى المساء نشكره على احسانه علينا كما اننا نعترف بما فرط منا فى اليوم من الزلات ، ونطلب منه المغفرة ودوام نعمته علينا وفوق ذلك لا نفتا نذكر فضله ونشعر بجميله دائما » .

واذا لم يكن للصلاة عدد محدود عندهم ، فالمستحسن الاكثار ، ويخالفون اليهود فى زعمهم ان الاكثار من الصلاة يجعل الله يمل .

جاء فى انجيل لوقا فى صدر الاصحاح الثامن عشر ما نصه : « قال لهم مثلا فى انه ينبغى أن يصلى كل حين ، ولا يمل قائلا : كان فى مدينة قاض

لا يخاف الله ولا يهاب انسانا ، وكان فى تلك المدينة ارملة ، وكانت تاتى قائلة انصفنى من خصمى وكان لا يشاء الى زمان ، ولكن بعد ذلك قال فى نفسه : وان كنت لا اخاف الله ولا اهاب انسانا ، فانى لاجل أن هذه الارملة تزعجنى انصفها لئلا تاتى دائما فتقمعنى . وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضى الظلم ، افلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم ، اقول لكم انه ينصفهم » .

يقول القس ابراهيم سعيد فى شرح الجبل فى انجيل لوقا : « ينبغى ان يصلى كل حين ولا يمل » من هنا نرى ان صلاة المثابرة واللجاجة ليست من الامور الممكنة فقط ، ولكنها من الامور الواجبة ، فهى فرض عين لا فرض كفاية ، وهذا عن خلاف ما علم به التلمود ، محظور على الانسان أن يصلى اكثر من ثلاث مرات فى النهار ، لأن الله يمل الصلاة كل ساعة ، ولقد أوصى المسيح بالصلاة من غير ملل لعلمه أن صلاة الروح تعب على الجسد ، سيما اذا تاخرت الاجابة ، فالروح نشيط والجسد ضعيف » .

وجاء فى آخر رسالة بولس الى اهل تسالونيكى : « صلوا بلا انقطاع ».

ويبين معنى ذلك صاحب رسالة الاصول والفروع فيقول : « معنى هذا أن نستحضر فى أذهاننا روح الصلاة على الدوام ، وكلما خطر على البال ذكر الله ومحبته نرفع قلوبنا اليه ، سواء اكان بالقول او بالتوجهات القلبية بدون كلام ، والله يعلم ما فى القلوب .

من شعائر المسيحية :

٧٥ ـ للمسيحية شعائر يجب القيام بها ، لا يصح التخلى عنها ، ويقولون فيها انها فرائض مقدسة وضعها المسيح ، وهى اعمال جليلة تشير الى بركات روحية غير منظورة عندهم ، ومن الشعائر الواجب اعتقادها والعمل بها التعميد والعشاء الربانى .

التعميد والعشاء الربانى :

وقد جاء فى انجيل متى عن التعميد : « تقدم يسوع وكلمهم قائلا دفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس ، وعلموهم جميع ما أوصيكم به » .

وجاء بالنسبة للعشاء الربانى فى رسالة بولس لاهل كورنثوس ما نصه : « ان الرب يسوع فى الليلة التى اسلم فيها نفسه أخذ خبزا ، وشكر ، فكسر وقال : خذوا وكلوا ، هذا هو جسدى المكسور لأجلكم ، اصنعوا هذا لذكرى » .

كذلك ذكر الكاس أيضا بعد ما تعشوا قائلا : « هذه الكاس هى العهد الجديد بدمى ، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى ، فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يجىء » .

بهذه النصوص ثبت التعميد ، والعشاء الربانى ، والتعميد يقول فيه صاحب كتاب الأصول والفروع : فريضة مقدسة يشار فيها الغسل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس الى تطهير النفس من ادران الخطيئة بدم يسوع المسيح ، وهى ختم عهد النعمة كما كان الختان فى الشريعة الموسوية ، والمعمودية تدل على اعترافهم العلنى بايمانهم وطاعتهم للآب والابن والروح القدس كالههم ومعبودهم الوحيد ، ولا يجوز أن يعمدوا الا اذا اعترفوا بايمانهم جهارا امام كنيسة الله » ويقول فى العشاء الربانى: « وهو فريضة رسمها المسيح فى الليلة التى اسلم فيها الجسد ، ويستعمل فى هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر ، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من الخبز ، وقليلا من الخمر على المثال الذى رسمه المسيح تذكارا لموته ، فالخبز يشير الى جسده المكسور ، والخمر الى دمه المسفوك ، فالمؤمنون الذين يشتركون فى هذا العشاء يقبلون المسيح بالايمان كالخبز الذى نزل من السماء وكل من يأكل منه لا يجوع ، ولكنهم لا يقبلونه طعاما جسديا بل طعاما روحيا لحياة روحية لأجل النمو فى النعمة والايمان » ويقول ايضا : « ويشير العشاء الربانى الى مجىء المسيح الثانى ، كما يشير الى موته فيكون تذكارا للماضى والمستقبل » .

من تنظيم الأسرة :

٧٦ — فى الاناجيل ورسائل من يعتقدون انهم الرسل فى المسيحية ذكر للزواج والطلاق ، ففيها بيان لبعض شريعة الأسرة مختصرة ، وخلاصة ما جاء فى كتبهم المعتبرة ان الزواج قد سن للانسان وشرع له ، بل ان الزواج شرعه الله للانسان وهو فى جنة عدن ، فخلق لآدم من ضلعه حواء،

لانه كما فى سفر التكوين : « ليس جيدا ان يكون آدم وحده ، فاصنع له معينا نظيره » .

على أن المسيح فى انجيل متى قد أجاز العزوبة فى حال عدم القدرة التناسلية ، وذلك بدهى .

وجاء فى رسالة بولس لاهل كورنثوس انه تجوز العزوبة اذا استطاع الرجل او المرأة ان يضبط نفسه ، ويتوقى الزنى ، فقد جاء فى الاصحاح السابع من هذه الرسالة : « ولكنى اقول لغير المتزوجين ، وللارامل : انه حسن لهم اذا لبثوا كما انا ، ولكن اذا لم يضبطوا انفسهم فيتزوجوا ، لان التزوج أصلح من الحرق » .

وشريعة الزواج عندهم لا تحل للرجل ان يتزوج باكثر من واحدة ولم يوجد نص فى ذلك ، ولا يطلق ، وقد فهموا تحريم الطلاق من انجيل متى ، فى الاصحاح التاسع عشر منه : « قال له تلاميذه : ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق ان يتزوج ؟ فقال : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام ، بل الذى أعطى لهم ، ولا يفترق الزوجان الا بالموت ، وبعد موت احدهما يحل للحى أن يتزوج غيره » .

وهذا نص ما جاء فى رسالة بولس لاهل رومية : « ان الناموس يسود على الانسان ما دام حيا ، فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى ، ولكن ان مات الرجل ، فقد تحررت من ناموس الرجل ، فاذا ما دام الرجل تدعى زانية ان صارت لرجل آخر وقبل موت احدهما لا يحل لهما الطلاق » .

وهذا نص ما جاء فى متى فى الاصحاح التاسع عشر منه : « جاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ فاجاب وقال لهم : اما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وانثى ؟ وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وامه ، ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا ، اذ ليس بعد اثنين ، بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان . قالوا : فلماذا اوصى موسى ان يعطى كتاب طلاق ، فتطلق ؟ قال لهم : ان موسى من اجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هذا ، واقول لكم ان من طلق امرأته الا بسبب الزنى ، يتزوج باخرى يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى .

الطلاق اذن لا يجوز ولا يقع ، ولكن استثنيت حالان يجوز فيهما الافتراق :

الحال الاولى : حال زنى احد الزوجين ، فللآخر ان يطلب التفريق ، ويجاب فى هذه الحال ان ثبت الزنى .

الثانى : اذا كان احد الزوجين غير مسيحى فيصبح التفريق عند مهاجرهما وعدم وجود الالفة بينهما ، ولذا جاء فى رسالة بولس الى اهل كورنثوس : والمراة التى لها رجل غير مؤمن ، وهو يرتضى ان يسكن معها فلا تتركه ، لان الرجل غير المؤمن مقدس فى المراة ، والمراة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل ، والا فاولادكم نجسون ، وأما الآن فهم مقدسون ، ولكن ان فارق غير المؤمن فليفارق » .

ولقد أمرت المسيحية فى وصايا رسلهم بأن يحب الرجال نساءهم. فقد جاء فى احدى رسائل بولس : « ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح ايضا الكنيسة ، واسلم نفسه لأجلها » وفيها ايضا : واما انتم ايها الافراد فليحب كل واحد امراته ، هكذا كنفسه ، وأما المراة فلتحب رجلها.

شرائع التوراة والمسيحية :

منزلة شرائع التوراة فى المسيحية :

٧٧ — ولقد كان المفهوم من ان المسيحية تعتبر التوراة واسفار النبيين السابقين كتبا مقدسة تسميها كتب العهد القديم ، ان تأخذ بكل الشرائع التى نصت عليها التوراة الا ما خالفه المسيح بنص قد أثر عنه ، ويظهر ان المسيحيين استمروا على ذلك نحوا من اثنتين وعشرين سنة من بعد المسيح ، وهم فى هذا كانوا يسيرون على المنهاج الذى سنه والطريق الذى بينه . ولكن التلاميذ اجتمعوا بعد مضى اثنتين وعشرين سنة من تركه لهم ، وخطب يعقوب فيهم ، مقترحا عليهم أن يحصروا المحرم على الامم فى اربعة ، وهى : الزنى ، واكل المخنوق والدم ، وما ذبح للاوثان ، وكان ذلك لانهم وجدوا ان الختان يشق على بعض من يدعونهم الى النصرانية فيفرون منها بسببه .

وهذا نص ما جاء فى الاصحاح الخامس عشر من سفر الاعمال بعد

بيان خلاف التلاميذ بشأن الختان ، واجتماعهم لأجل الفصل فى شأنه حينئذ رأى الرسل والمشايخ أن يختاروا رجلين منهم ، فيرسلوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا ، وهما يهوذا الملقب برسابا ، وسيلا ، رجلين متقدمين فى الاخوة ، وكتبوا بايديهم هكذا : الرسل والمشايخ يهدون سلاما الى الاخوة الذين هم من الأمم فى انطاكية وسورية وكيليكية ، اذ قد سمعنا أن اناسا خارجين من عندنا ازعجوكم باقوال مقلبين انفسكم ، وقائلين ان تختنوا وتحفظوا الناموس ، من الذين نحن لم نامرهم . وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ، ونرسلهما اليكم مع حبيبنا برنابا ، وبولس ، رجلين قد بذلا انفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ، فقد ارسلنا يهوذا وسيلا ، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها ، لانه قد راى الروح القدس، ونحن — الا نضع عليكم ثقلا اكثر ، غير هذه الاشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للاصنام ، وعن الدم ، والمخنوق ، والزنى التى ان حفظتم انفسكم منها ، فنعما تفعلون ، كونوا معافين » .

فى هذا الخطاب يتبين ان المشايخ والتلاميذ يحللون للناس كل ما حرمه الناموس ، اى التوراة وكتب النبيين السابقين ، ولا يجعلون محرما عليهم الا اربعة امور ، والامتناع منها هو الامر الواجب فقط . وبذلك حل لهم كل شىء حرمته التوراة ، حلل لهم الخمر والخنزير ، وكل ما كانت التوراة وشرائع النبيين قد حرمته . وباى شىء أعطى هؤلاء القدرة على التحليل والتحريم ؟ قد قالوا أن ذلك بالهام من روح القدس وتجليه .

وقد ذكر صاحب سفر الأعمال عن لسان بطرس ، انه قال فى افتتاح ذلك الاجتماع الذى اصدر ذلك القرار ما نصه : « ايها الرجال الاخوة انتم تعلمون انه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا انه بفمى يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون . والله العارف للقلوب شهد لهم معطيا لهم روح القدس ، كما لنا ايضا ، ولم يميز بيننا وبينهم بشىء ، اذ طهر بالايمان قلوبهم ، فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله ولكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص ، كما اولئك ايضا» .

فمن هذا النص يستفاد أن الذى سوغ لهؤلاء أن ينصرفوا جهرا عما كانوا عليه ، وعما تركهم المسيح عليه ، هو انهم ينزل عليهم الروح القدس، كما كان ينزل على النبيين والصديقين ، وذلك فى اعتقاد كتاب المسيحية ، وقد بينا حقيقة ذلك فى موضعه من كلامنا عن الكتب .

تحليـــل لحم الخنزير مع تحريمه فى التوراة :

ولقد احلوا فيما احلوا من محرمات التـــوراة لحم الخنزير وكان المعروف انه حرام فى النصرانية التى تاخذ بكتب العهـــد القديم ، وعلى راسها التوراة .

ويروى ابن البطريق فى هذا المقام ان اليهود لما دخلوا فى النصرانية بسبب اضطهاد قسطنطين لهم بعد تنصره تشكك النصارى فى ايمانهم ، فاشار بطريرك القسطنطينية على قسطنطين ان يخبرهم بحلهم على اكل لحم الخنزير وقال له : « ان الخنزير فى التوراة حرام ، واليهود لا ياكلونه، فتامر ان تذبح الخنازير ، وتطبخ لحومها ويطعمون منها هـــذه الطائفة ، فمن لم ياكل علمت انه مقيم على اليهودية » عندئذ آمن قسطنطين بتحريم الخنزير ، اذ نصت على التحريم التوراة المقدسة فى نظر النصارى ، كما هى مقدسة فى نظر اليهود ، وقال : « ان الخنزير فى التوراة محرم فكيف يجوز لنا ان ناكل لحمه ، ونطعمه للناس » ولكن البطريرك ما زال به حتى حمله على الاعتقاد بانه حلال ، فقد قال له : « ان سيدنا المسيح قد ابطل سائر ما فى التوراة ، وجاء بتوراة جديدة هى الانجيل ، وقال فى انجيـــله المقدس ان كل ما يدخل الفم ليس ينجس الانسان ، انما ينجس الانسان كل ما يخرجه من فيه » يعنى السفه والكفر ، وغير ذلك مما يجرى مجراه . ويقص قصة من بولس رســولهم بأن بطرس راى رؤيا تفيد التحليل ، وبذلك يحللون الخنزير .

المجـــامع المسيحيـــة

تاريخهـــا ـــ واســـبابها ـــ وقراراتهـــا

٧٨ ـــ قد شرحنا فيما اسلفنا من القول العقائد المسيحية ، كمـــا هي في كتبهم ولم نتجه الى الآن لدراستها دراسة نقدية لاننا نجـــدهم يجتهدون في تصويرها ويشعرون بعظم المشقة في ذلك ، حتى اذا يئسوا قالوا انها فوق العقل، وان العقل لايستطيع تصويرها تصويرا كاملا ، وانها ستتجلى يوم القيامة ، ولذلك نجد من الظلم لانفسنا ان نناقشها ، لان العقل لا يستسيغها باعترافهم فكيف نناقشها ؟ وهم يلقنون الصبية بأن يجتهدوا في تصورها وتصديقها ، لا في البرهنة لها واثباتهـــا ، ولذلك نترك الآن مناقشتها بالعقل ، ونحيل القارىء الكريم على ما كتبا الذين ناقشوها من فطاحل العلماء ، ونخص بالاشارة كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ، وكتاب الفارق فيما بين المخلوق والخالق ، والقول الصحيح لابن تيمية ، بل الله قراهم ، فان هؤلاء لم يتركوا مقالا لقائل .

ويهمنا الآن في بحثنا التاريخي ان نبين الادوار التي مرت عليها هـــذه العقيدة ، فانه من المقرر في تاريخ المسيحية بالبداهة ان التثليث بالشكل الذي يعتقده جماهير المسيحيين ، او الكثرة الغالبة منهم ، لم يعلن للناس دفعة واحدة ، بل في ازمان متفاوتة مختلفة ، وكان باعلان المجامع التي كانت تنعقد من الاساقفة ، وفيها يقرر المجمع رايا معينا ، ولا يهمنا مما كانت تقرره تلك المجامع الا ما يتعلق بالعقيدة وان كنا سنعرض احيانا لما كان يجيء في ثنايا قراراتها من بعض النظم .

كيف وجدت فكرة جمع المجامع :

والمجامع في المسيحية هي كما يقول علماؤهم جماعات شـــورية في المسيحية ، قد رسم رسلهم نظامها في حياتهم . حيث عقـــدوا المجمع باورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة ، وقرر ذلك المجمع، كما علمت قريبا ، عدم التمسك بمسالة الختان ، بل زاد فقرر عدم التمسك بشرائع التوراة ، وما وليها من سائر اسفار العهد القديم المقدس عندهم

فيما يتعلق بالتحريم ، الا تحريم الزنى ، وأكل المخنوق ، وأكل الدم وأكل ذبائح الأوثان ، فقد قالوا أن التلاميذ والمشايخ بهذا المجمع الذى بينه سفر الاعمال فى اصحاحه الخامس عشر قد سنوا للمسيحيين سنة جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشريعة .

المجامع العامة والمجامع الخاصة :

والمجامع عندهم قسمان : مجامع عامة او على حد تعبيرهم مجامع مسكونية ، أى تجمع رجال الكنائس المسيحية فى كل انحاء المعمورة ، والمجامع المكانية وهى التى تعقدها كنائس مذهب او امة فى دوائرها الخاصة من اساقفتها وقساوستها ، اما لاقرار عقيدة ، أو لرفض عقائد أخرى .

ويقسم المجامع صاحب كتاب سوسنة سليمان الى ثلاثة اقسام فيقول : « وهذه المجامع تنقسم بالنظر الى عدد اربابها ودرجاتهم وشوكتهم الى ثلاثة اقسام وهى : مجامع عامة ، ويقال لها مسكونية ، ومجامع ملية، أى خاصة بطائفة دون غيرها ، ومجامع اقليمية ، أى خاصة باقليم مخصوص . لكن بمقاصد كلامنا لا تحتاج الا الى ذكر المجامع التى تعتبر عامة ، سواء صادق عليها الجميع او انكرها بعضهم على بعض ، لما فى ذلك من معرفة النتائج التى تولدت عنها » .

هذا كلام صاحب ذلك الكتاب المسيحى ، واذا كان هو لا يعنى فى تاريخ ديانته الا بالمجامع العامة ، فنحن كذلك لا نعنى الا بها ، وقد أحصى المجامع العامة من القرون الأولى للمسيحية حتى سنة ١٨٦٩ فكانت عدتها عشرين مجمعا ، وقد ذكرها جميعا بالاجمال ، وذكر قراراتها بالاشارة وسنحذو حذوه فى بعضها ، وسنترك الاجمال الى بعض التفصيل فى بعضها الآخر ، وخصوصا فى المجامع التى كانت فى القرون الأولى للمسيحية لأنها هى التى حددت للاخلاق حدود العقيدة المسيحية فى نظر مقريها ، وهى التى رسمت المسوح والتقاليد الكنسية القائمة فى الكنائس ، أو بعضها بالكثير الى الآن ، وهى التى فلحت الأرض لتبذر بذور هذه المسيحية التى سادت افكار المسيحيين فى الأجيال من بعد .

ونبدأ باعظم هذه المجامع ، وأبعدها أثرا ، وأكبرها شأنا ، وأولها وجودا واعظمها ذكرا وهو مجمع نيقية .

١ ـ مجمع نيقية سنة ٣٢٥

سبب انعقاده العلم الاختلاف بينهم فى شخص المسيح :

٧٩ ـ اشتد الاختلاف بين الطوائف المسيحية الاولى ، وتباعدت مسافات الخلف تباعدا شديدا ، لا يمكن ان يكون معه وفاق ، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح ، اهو رسول من عند الله فقط ، من غير ان تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه ، أم له بالله صلة خاصة اكبر من رسول ، فهو من الله بمنزلة الابن ، لانه خلق من غير اب ، ولكن ذلك لا يمنع انه مخلوق لله ، لانه هو كلمته ، ومن قائل انه ابن الله ، له صفة القدم ، كما لله تلك الصفة ، وهكذا تباينت نحلهم ، واختلفت ، وكل يزعم ان نحلته هى المسيحية الصحيحة التى جاء بها المسيح عليه السلام، ودعا اليها تلاميذه من بعده ، ويظهر أن ذلك الاختلاف ، وتلك النحل المتباينة المتضاربة المتنازعة ، وقد ظهرت بعد ان دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الرومان ، واليونان ، والمصريين ، فتكون فى المسيحية مزيج غير تام التكوين ، غير تام الاتحاد والامتزاج ، وكل قد بقى عنده عن عقائده الأولى ما اثر فى تفكيره فى دينه الجديد ، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم من غير ان يشعر او يريد .

ومن دخل فى ذلك الدين فلاسفة لهم آراء فلسفية أرادوا ان يفهموا ما اعتنقوه جديدا على ضوئها ، وعلى مقتضى منطقها وتفكيرها .

ولقد كانت تلك الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات الرومانية، لانهم شغلوا بدفع الأذى ، ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث ، وكانوا يستترون بدينهم ولا يظهرونه ، ويخلون عقائدهم ، ولا يعلنونها ، حتى اذا رزقوا الامان ، ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان ظهرت الخلافات الكامنة ، واذا هم لم يكونوا متفقين الا فى التعلق باسم المسيح ، والاستمساك بالانتساب اليه ، من غير ان يتفقوا على شىء فى حقيقته ، ولذا لما منحهم قسطنطين غطله ، واعتزم الدخول فى النصرانية ، ووجد هذا الاختلاف الشديد ، امر بعقد مجمع نيقية .

الاختلاف الخاص الذى انعقد المجمع بعده :

٨٠ — هذا هو السبب فى عقد مجمع نيقية بشكل عام ، لكن له سببا خاصا يتعلق بنوع من هذه الخلافات ، وهـو ما يسمونه فى تاريخهم بدعة اريوس ، كان هذا الرجل فى مصر داعية قوى الدعاية ، جريئا فيها ، واسع الحيلة ، بالغ الأدب ، قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من الوهية المسيح وتدعو اليه ، فقام هو محاربا ذلك ، مقررا بوحدانية المعبود ، منكرا ما جاء فى الأناجيل مما يوهم تلك الالوهية .

كلام اريوس :

ولقد قال فى بيان مقالته ابن البطريق : « كان يقول ان الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع ، ولقد كان الآب اذ لم يكن الابن » .

ولم يكن بدعا فى القول بهذه الفكرة بين المسيحيين ، بل انها كانت معروفة مذكورة مشهورة من قبله ، كما يقول المسيحيون أنفسهم .

ولقد جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ما نصه : « الذنب ليس على اريوس بل على فئات اخرى سبقته فى ايجاد هذه البدع ، فاخذ هو عنها ، ولكن تاثير تلك الفئات لم يكن شديدا كما كان تاثير اريوس الذى جعل الكثيرين ينكرون سر الالوهية ، حتى انتشر هذا التعليم وعم » .

انتشار راى اريوس وطرق محاربته :

ولقد كان لراى اريوس فى اعتبار المسيح مخلوقا له مشايعون كثيرون ، فقد كانت الكنيسة فى انسيوط على هذا الراى ، وعلى رأسها ميليتوس ، وكان انصاره فى الاسكندرية نفسها كثيرين من حيث العدد ، أغنياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون ، كما كان لهذا الراى مشايعون فى فلسطين وبتدونية والقسطنطينية .

وقد اراد بطريرك الاسكندرية ان يقضى على هذه الفكرة ، فلم يعمد الى المناقشة والجدل ، حتى لا يتسع الخرق على الراتع ، وحتى لا يلحن بالحجة عليه اريوس ، ولكنه عمد الى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة .

ويبنى ذلك على أنه راى المسيح يتبرأ من اريوس ويلعنه ، نفى من الكنيسة مرتين لهذا الراى ، وبحجة تلك الرؤى المنامية ، ومن امثلتهم قول

البطريرك بطرس الذى امر بنفيه : « أن السيد المسيح لعن اريوس هذا فاحذروه ، فانى رايت المسيح فى النوم مشقوق الثوب ، فقلت له يا سيدى من شق ثوبك ؟ فقال لى : اريوس ، فاحذروا أن تدخلوه معكم » .

ولم يجد النفى واعلان الرؤى والأحلام فى القضاء على رأى أريوس وجمع الناس حول قوة الكنيسة ، حتى اذا ولى امر الكنيسة البطريرك اسكندر اخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر ، فكتب الى أريوس وزعماء هذا الراى يدعوهم الى رأى كنيسة الاسكندرية ، ولكن محاولته لم تجد ايضا ، فعقد مجمعا فى كنيسته بالاسكندرية وحكم على اريوس بالحرمان منها فلم يخضع لهذا ولم يخنع، وغادر الاسكندرية الى فلسطين.

وقد كان مذهب عدم الوهية المسيح ذائعا منتشرا ، وكان اسقف مقدونية على مذهب اريوس ايضا ، ويحظ على اساسه ، وفى الحق اننا نجد أن اسقف مقدونية واسقف فلسطين ، وكنيسة اسبوط ، كل اولئك على راى اريوس ، وكنيسة الاسكندرية وحدها هى التى تحاربه ، فالخلاف محصور اذن بين اريوس ، ومعه اسبوط وفلسطين ، ومقدونية وبين بطريرك الاسكندرية .

تدخل قسطنطين وجمع مجمع نيقيا :

٨١ — وقد تدخل قسطنطين امبراطور الرومان فى الامر ، فارسل كتابا الى اريوس والاسكندر يدعوهما الى الوفاق ، ثم جمع بينهما ، ولكنهما لم يتفقا ، فجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ .

ويقول ابن البطريق المسيحى فى وصف المجتمعين وعددهم ما نصه : « بعث الملك قسطنطين الى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والاساقفة ، فاجتمع فى مدينة نيقية ثمانية واربعون والفان من الاساقفة . وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان ، فمنهم من كان يقول أن المسيح وامه الهان من دون الله ، وهم البربرانية ، ويسمون الاريميين ، ومنهم من كان يقول ان المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها ، وهى مقالة سابليوس وشيعته ، ومنهم من كان يقول : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وانما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب ، لان الكلمة دخلت فى اذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهى مقالة البيان واشياعه » .

ومنهم من كان يقول ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وان ابتداء الابن من مريم ، وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى صحبته النعمة الالهية ، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله ، ويقولون : الله جوهر قديم واحد ، واقنوم واحد ، ويسمونه بثلاثة اسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك انطاكية واشياعه ، وهم البوليقانيون .

ومنهم من كان يقول انهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما ، وهى مقالة مرقيون اللعين واصحابه ، وزعموا ان مرقيون رئيس الحواريين ، وانكروا بطرس ، ومنهم من كان يقول بالوهية المسيح وهى مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا » أ . هـ . المراد منه .

موقف قسطنطين من المتناظرين :

اجتمع اولئك المختلفون ، وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من مقاليها ، فعجب اشد العجب مما رأى وسمع ، فامرهم ان يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من ، واخلى دارا للمناظرة ، ولكنه جنح اخيرا الى رأى بولس ، وعقد مجلسا خاصا للاساقفة الذين يمثلون هذا الراى وكانت عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة .

انحيازه لرأى مؤلهى المسيح مع انهم ليسوا الكثرة :

ويقول فى ذلك ابن البطريق : « وضع الملك الثلاثمائة والثمانية عشر اسقفا مجلسا خاصا عظيما ، وجلس فى وسطهم واخذ خاتمه ، وسيفه ، وقضيبه . فدفعه اليهم وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتى ، لتصنعوا ما ينبغى لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين ، وصلاح المؤمنين ، فباركوا الملك ، وتلقوه سيفه ، وقالوا له : اظهر دين النصرانية ، وذب عنه ، ووضعوا له اربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به ، ومنها ما يصلح للاساقفة ان يعملوا به » .

العقيدة التى فرضها المجمع :

وضع هذا المجمع المحدود من الاساقفة قرارات فى العقيدة والشرائع ، ليقيدوا بها المسيحيين ، ولا يهمنا الا بيان العقيدة التى قررها المجمع وفرضها على المسيحيين .

وقد ذكرها صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية ، فقال عنها ما نصه : « ان الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وانه لم يوجد قبل ان يولد ، وانه وجد من لا شيء . او من يقول ان الابن وجد من مادة او جوهر غير الله الآب ، وكل من يؤمن انه خلق ، او من يقول انه قابل للتغيير ، ويعتريه ظل دوران » .

قراراته تؤيد برهبة السلطان :

٨٢ — اذن قرر المجمع الوهية المسيح ، وانه من جوهر الله ، وانه قديم بقدمه ، وانه لا يعتريه تغيير ولا تحول ، وفرضت تلك العقيدة على المسيحيين قاطبة مؤيدة بسلطان قسطنطين ، لاعنة كل من يقول غير ذلك والذين فرضوا هذا القول ٣١٨ اسقفا ، ويخالفهم فى ذلك نحو سبعمائة والف اسقف ، وان لم يكونوا متفقين فيما بينهم على نحلة واحدة ، فهل ذلك المجمع لم يخل من نقد ؟ ان باب النقد فيه متسع .

النقد الموجه الى المجمع :

(١) واول ما يلاحظه الناقد ان الذين دعوا اليه ، وجابوا الأمصار ووصلوا الى نيقية بدعوة من قسطنطين ، ويتفاهم البطارقة فيما بينهم بلغوا ثمانية واربعين والفين من الاساقفة ، ولكنا نجد العدد ينزل الى ثمانية عشر وثلاثمائة اسقف ، فما هى آراء الباقين ؟ ولماذا اهملت كل هذا الاهمال ؟ أكانوا جميعا مختلفين فى النحل والآراء ، حتى ان نحلة لم يصل عددها الى ٣١٨ ، فلما تعذر الأخذ بالكثرة المطلقة التى يزيد عددها على النصف ، ولو واحدا ، اتجهوا الى الأخذ بالكثرة النسبية ، وهو اعتناق الراى الذى يأخذ به اكبر عدد فى الاصوات وان لم يصل النصف او يقاربه ؟ ان المروى غير ذلك ، لان ابن البطريق يقول : ان قسطنطين هو الذى اختار ان يعقد اولئك الاساقفة الذين يبلغون ٣١٨ مجلسا خاصا بهم، وحضر هو المجلس، واعطاهم شارة الملك والسلطان لانهم افلجوا على اخوانهم فى زعم ابن البطريق المسيحى التثليثى ، ولان الرواة يقولون أن اريوس لما اجتمع بهم والقى بدعوته ونحلته اليهم انضم الى آرائه اكثر من سبعمائة اسقف ، وذلك العدد هو اكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة ، فلو كانت النصرة بالكثرة النسبية ، لكان الواجب اذن ان يكون الغلب لاريوس الذى

احتج بما تحت أيديهم من أناجيل ، فلما عارضوه بنصوص اخرى تدل على الوهية المسيح قرر تحريفها .

الرغبة والرهبة من السلطان لهما دخل فى القرارات :

ويظهر ان عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل فى تكوين رأى الذين رأوا الوهية المسيح ، فلقد يروى ان أولئك الـ ٣١٨ لم يكونوا مجمعين على القول بالوهية المسيح ، ولكن تحت سلطان الاغراء بالسلطة الذى قام به قسطنطين بدفعه اليهم شارة ملكه ليتحكموا فى المملكة اجمعوا. فقد دفعهم حب السلطان الى أن يوافقوا هوى قسطنطين الذى ظهر فى عقده مجلسا خاصا بهم دون الباقين ، لاعتقاده امكان اغرائهم . فامضى أولئك ذلك القرار تحت سلطان الترهيب او الترغيب ، أو هما معا . وبذلك قرروا الوهية المسيح ، وقسروا الناس عليه بقوة السيف ، ورهبةالحكام.

المجمع فرض لنفسه سلطانا كهنوتيا على الناس :

(ب) ان المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين ، وقرر ان تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب المسيحية راسا ، بل لا بد من تلقيها من أفواه العلماء ورجال الكهنوت ، وان اقوالهم فى ذاتها حجة ، سواء اخالفت النصوص ام وافقت ، وسواء اكانت الصواب ، أم جانبت الحق ، وان ذلك كان له ما بعده فى المسيحية ، وهو مخالف كل المخالفة لما جاء فى تعاليم المسيح المنصوص عليها ، حتى كتبهم التى يقرءونها ويعترفون بها ، فقد جاء فى الاصحاح العشرين من انجيل متى ما نصه : « رؤساء الأمم يسودونهم ، والعظماء يسلطون عليهم ، فلا يكن فيكم هذا » ولكن العلماء تسلطوا على اخوانهم المسيحيين لما اعطاهم قسطنطين خاتمه وسيفه وقضيبه ، وبذلك خالفوا المسيح عليه السلام ليطيعوا قسطنطين .

امره بتحريق ما يخالفه :

(جـ)ان المجمع امر بتحريق الكتب التى تخالف رأيه ، وتتبعها فى كل مكان ، وحث الناس على تحريم قراءتها ، فهو بهذا يمنع ان يصل الى الناس علم بأى امر من الامور التى تخالف رأيه ، وهو بهذا يحاول التحكم فى القلوب ، والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ما وافق رأيه ، ومنعها

منعا باتا جازما من ان تقرا غيره ، ويسد عليها منافذ النور للاهتداء الى ما يخالفه ، ولعل المجمع مخطىء فى ذلك التحريم ، وآثم فى ذلك التحريف ، بل ان المجامع العامة من بعد قد خطأته ، فاعادت الى حظيرة التقديس كتبا حرمها ، وأخرجت من البلى كتبا حرمها ، قد حرم كتبا من العهد القديم ، ولم يعترف بها فاعترفت بها المجامع المسيحية من بعده ، وحرم من كتب النصارى المعتبرة الآن : رسالة بولس الى العبرانيين ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا ، ولكن المجامع من بعد اقرتها ، واجمعت عليها .

اذن لم يكن المجمع مصيبا من كل الوجوه ، وان اخطأ فى معرفة الصحيح من الكتب ، فآراؤه الاخرى اكثر عرضة للخطأ واكثر استهدافا للنقد ، لعل اشدها صلة بالباطل ، واقربها به رحما ، وادناه اليه هو ما يتعلق بالعقيدة .

قسطنطين يتدخل لملك التدخل وهو لم ينتصر :

(د) بقى أمر لشير اليه اشارة خفيفة ، وهو مقام قسطنطين فى المسيحية عند انعقاد ذلك المجمع ، اكان مسيحيا عالما بالمسيحية فى ذلك الابان ، حتى يساغ له أن يحكم لبعض المجتمعين ، وان لم يكونوا الكثرة على اى اعتبار كانت الكثرة ، اكثرة مطلقة ام كثرة نسبية ؟ .

يقول المؤرخ ابوسيبوس الذى تقدس كلامه الكنيسة ، وتسميه سلطان المؤرخين : « ان قسطنطين عمد حين كان أسير الفراش ، وان الذى عمده هو ذلك المؤرخ نفسه ، وقد كان له صديقا » .

والتعميد اعلان دخول المسيحية ، اذن فقسطنطين ما كان مسيحيا فى ابان انعقاد ذلك المجمع ، وما كان من حقه أن يحكم بفلج هؤلاء ، ويسوغ لنا أن نقول انه كان له فى هذا ارب خاص ، وهو تقريبها من وثنيته ، او على الأقل عندما رجح رأى فريق على فريق كان يرجح ما هو اقرب الى وثنيته ، وادنى الى ما يعرفه من عقيدة ، فلم تكن الحجة القوية فى جانب ترجيحه على هذا الاعتبار ، او كان متهما فى ترجيحه بناء على الاعتبار الأول ، وسواء اكان هذا ام ذاك ، فهو قد رجح ما هو اقرب الى الوثنية لوثنيته .

تلقى المسيحيين لقرارات المجمع :

٨٣ — ولكن هل أمات ذلك الرأى الوحدانية التى كان يجاهر بها اريوس ، وهل قضى ذلك المجمع القضاء المبرم عليها ؟ انه لو فرض ابعد الفروض من الحق ، وكانت كثرة المجمع العظم على غير رأى اريوس ما انتصروا عليه ولا قضوا على ما يدعو اليه لأن الآراء لا تنتصر بكثرة العدد بل بقوة الدليل وقوة تصور العقيدة ، وقوة الاقناع بها ، وسهولة دخولها الى العقل ، واستساغته لها ، ولذلك لم يقض المجمع على فكرة الوحدانية ، بل ربما كانت المحاولة للقضاء عليها سببا فى شدة الاستمساك بها ، والمبالغة فى المحافظة عليها مما يراد بها .

ولذلك اخذ البطارقة الذين لعنوا لاعتناقها يعملون الحيلة للاحتفاظ بها وحياطتها ، واتخذوا الخديعة سبيلا لذلك . فتقربوا من قسطنطين واظهروا له الاقلاع عما كانوا عليه ليعودوا الى ما كان لهم من مناصب ، ويستطيعوا مناصرة فكرتهم . وليبلوا ثقة قسطنطين . ومن طريق هذه الثقة ينفذون الى نفسه . ويلقنونه هو بالتوحيد . ليستطيع ان يخدمه بسلطانه وقوته . كما خدم الوهية المسيح ، او على الاقل ليقف موقف الحياد ويترك الآراء تسير فى مجراها الطبيعى . ولنقص عليك محاولة من محاولات الموحدين .

مجمع صور يرفض بالاجماع قرار مجمع نيقية :

يذكر ابن البطريق ان اوسابيوس اسقف نيقومدية كان موحدا من مناصرى اريوس فى المجمع العام قبل ان تبعده عنه كثرته . ولعن من أجل هذا واراد ان يتقرب من قسطنطين « فاظهر انه وافق على قرار الثمانية عشر والثلاثمائة فازال عنه اللعنة قسطنطين . وجعله بطريرك القسطنطينية ، فما ان ولى هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية فى الخفاء فلما اجتمع المجمع الاقليمى فى صور حضره هو وبطريرك الاسكندرية الذى كان يمثل فكرة الوهية المسيح ويدعو اليها ، وينفرد من بين البطاركة فى المبالغة فى الدعوة اليها ، والحث عليها ، ولعن كل من يقاومها .

وانتهز اوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع واثار مقالة اريوس ، ورأيه فى المسيح وانكار الوهيته . وكان فى ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المستمسكين به ، اذ لم يحتاطوا بابعادهم ، كما فعلوا فى المجمع العام

بنيقية . واشتد النقاش بين رئيس كنيسة الاسكندرية ، وبين المجتمعين ، ولم يكتفوا بالنقاش القولى بل امتدت الايدى الى بطريرك الاسكندرية وعمدت الى رأسه لاخراج الوثنية منها ، فضربوه حتى ادموه ، وكادوا ان يقتلوه ، ولم يخلصه من ايديهم الا ابن اخت الملك الذى كان حاضرا ذلك الاجتماع ، ولكن لما بلغ ذلك قسطنطين كرمه .

ما يستنبط من هذا :

وما سقنا ذلك القصص لرضانا عن تاييد الرأى بالعصا وجمع اليد ، ولكن سقناه ليتبين منه القارىء مقدار حماسة الموحدين من اهل المسيحية الاولى لعقيدة التوحيد ، وانهم فى تلك الحماسة لا يابهون لشىء ، ولا يهمهم اغضاب ذوى السلطان او ارضاؤهم ، وسقناه لتعلم ان الموحدين كما يظهر من رواية الكتب المسيحية ، وكما يستنبط كانوا الكثرة الغالبة فى المسيحيين ، فى مجمع نيقية كانوا الكثرة ، وفى مجمع صور الخاص كانوا الجميع ما عدا رئيس كنيسة الاسكندرية . واذا كانوا الكثرة فى المؤتمرات خاصة وعامة ، فلا بد ان يكونوا الكثرة فى جمهور المسيحيين .

وانى يكون فكرة الوهية المسيح هى العارضة والاصل هو التوحيد كما يستنبط القارىء من المصادر المسيحية نفسها . وسقناه لتعلم ان قسطنطين كان يشجع دائما المخالفين للتوحيد . وان كان لا يظهر السخط على غيرهم احيانا . وسقناه لتعلم ان مجمع صور كان يخالف كل المجامع الثمانية عشر والثلاثمائة . واخيرا سقناه لتعلم ان موطن الدعاية للالوهية المسيح كانت كنيسة الاسكندرية وحدها ، فهى التى حاربت اريوس ، وهى التى لعنته مرتين ، ورئيسها هو الذى يخالف فى صور ، وينال عقاب المخالفة جزاء وفاقا .

فهل لنا ان نقول ان التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الاسكندرية كان يطعن على السنة بطاركتها . وانهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بازائهم اكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح عليه السلام ؟ ان ذلك هو مفتاح التاريخ الصحيح لمن اراد ان يعرف كيف حالت المسيحية من توحيد الى تاليه المسيح ، فليستبن به .

نشاط الموحدين :

٨٤ — ولم يئن الموحدون عن اعلان الاستمساك بعقيدتهم ، وتخطئة

الذين اعلنوا الوهية المسيح ، ومعهم فى ذلك الكثرة العظمى من المسيحيين، كما يدل على ذلك ما سننقله من تاريخ ابن البطريق ، فلقد حاولوا ان يجذبوا قسطنطين ابن قسطنطين الى رايهم بعد أن مات ابوه ، فاجتمعوا به . وحسنوا رأى الموحدين له ، وبينوا له انه صميم المسيحية ، ولان الاساقفة الذين ناقضوه خالفوا وجه الحق ، ولم يكونوا آخذين بتعاليم السيد المسيح التى بشر بها بين الانام ، ولكنه لم يعمل على نصرتهم ، ولم يعاونهم فى دعايتهم ، مع ان اكثر المسيحيين فى ذلك العصر كانوا موحدين.

يقـــول ابن البطريق : « فى ذلك العصر غلبت مقالة اريوس على القسطنطينية ، وانطاكية وبابل ، والاسكندرية » . واسيوط قد علمت ان كنيستها كانت موحدة .

ويقول فى بيان حال الاسكندرية ومصر بعد الاجيال السابق « فاما أهل مصر والاسكندرية فكان اكثرهم اريوسيين ، فغلبوا على كنائس مصر والاســـكندرية واخذوها ، ووثبوا على اثناسيوس بطريرك الاســـكندرية ليقتلوه ، فهرب منهم واختفى » .

وقد كان على كثير من الكنائس رؤساء موحدون يستمسكون بالتوحيد ويحثون على الاستمساك به ، وكلما ولى اسقف غير موحد ثاروا به ، وهموا بقتله ، وهذا ابن البطريق ينص عليها ان بطريق بيت المقدس لم يكن موحدا فثور عليه الموحـــدون ، ويهمون بقتله فيهرب منهم ، فيقول فى ذلك « وثب أهل بيت المقدس ، من كان منهم اريوسيا على كورلس اسقف بيت المقدس ليقتلوه ، فهرب منهم ، فصيروا اراطيوس اسقفا على بيت المقدس ، وكان اريوســيا » .

وهكذا نجد مغالبة قوية بين التوحيد والوهية المسيح ، الاولى تغالب بالكثرة وقوة الايمان ، ومـــعة الحيلة ، والثانية بقـــوة السلطان ، وبقليا الوثنية والذين كانوا متاثرين بها ، ووجدوا مواءمة بينها وبين ما يألفون ، فابتغوها لقربها مما الفوا وعرفوا ، ولكنه التقاليد من نفوسهم . ولكن قـــوة السلطان طمست نور المذهب الاول . اذ انها احتاطت فجعلت كل الاساقفة ممن لم يكونوا موحدين . واحتاطت اشد الاحتياط فى ذلك ، واخذ اولئك يسيطرون على قلوب العامة بالرؤى والاحلام والهامات يزعمونها ، حتى اختفى المذهب الحق فى لجة التاريخ ، ولم يبد على السطح الا الوهية المســـيح .

٢ — المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١

سبب انعقاده :

٨٥ — تقرر فى مجمع نيقية ان المسيح اله ، وانه ابن الآب وانه جوهر قديم من جوهر الآب ، ولم يتعرض للروح القدس أهو اله ام روح مخلوق ، وليس باله . ولم يكن مجمع نيقية قد أصدر قرارا فى هذا الامر ، لذلك ظهرت افكار بين المسيحيين لا تعترف له بالوهيته ، ويظهر ان الاسكندرية التى كانت مهدا للافلاطونية الحديثة التى تقول بالثليث وان المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه ، قوة المكون الاول ، والعقل (الابن) والنفس العامة (الروح القدس) — تريد ان تفرض ذلك فرضه على المسيحيين ، كما كانت العامل القوى فى اعلان الوهية المسيح .

عدد المجمع والطعن فى كونه عاما :

اخذ يجاهر رجل اسمه مقدونيوس بان الروح القدس ليس باله ، ولكنه مخلوق مصنوع ، وشاعت مقالته بين الناس ، ولم يجدوا فيها نكرا ولا امرا لا يقره العقل او تأباه المسيحية . فاجتمع الى الملك ذوو الامر من وزرائه وقواده ، وبلغوه أن العلة قد فسدوا ، فهم ما زالوا متأثرين بوحدانية اريوس ، واعتنقوا مذهب مقدونيوس فى أن الروح القدس ليس باله قديم ، بل هو مخلوق مصنوع ، وحرضوه على أن يجمع جمعا من الاساقفة يثبتون عقيدة المجمع النيقوى ويدحضون قول مقدنيوس . فاجتمع فى القسطنطينية خمسون ومائة اسقف وكان المتقدم فيها بطريرك الاسكندرية ، ويظهر ان ذلك العدد لم يكن ممثلا لكل الكنائس . ولكل الاقاليم ، ولذلك كان اعتباره مجمعا عاما من الامور التى ثارت حولها الاقوال .

فيقول فى ذلك صاحب كتاب سوسنة سليمان : « قال الرهبان البندكتيون ان المجمع الذى لم يكن اربابه الا مائة وخمسين اسقفا لا ينظم فى سلك الجامع المسكونية الا بعد أن تقره جميع الكنائس » .

بطريرك الاسكندرية هو الذى يقرر الوهية روح القدس :

اجتمع هذا المجمع فى القسطنطينية ، وتذاكر المجتمعون فيمن هو أولى بالرياسة فقر رايهم على ان تكون الرياسة لاسقف القسطنطينية ، وبذلك نحى عنها رئيس كنيسة الاسكندرية . وكان لذلك اثره فى نفوس تابعى تلك الكنيسة كما جاء فى كتاب تاريخ الامة القبطية . ولكن مع ابعاد ممثل كنيسة الاسكندرية عن مكان الرياسة ، وموضع الزعامة الذى كان لسلفه فى مجمع نيقية كان هو المتقدم فى المناقشة ، وتقرير الراى الذى اجمع عليه المؤتمر بعد ذلك ، وهذا ما نقله ابن البطريق عنه بنصه : (قال ثيموثاوس بطريق الاسكندرية : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئا غير حياته . فاذا قلنا ان روح القدس مخلوق ، فقد قلنا ان حياته مخلوقة واذا قلنا ان حياته مخلوقة ، فقد زعمنا انه غير حى ، واذا زعمنا انه غير حى فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه اللعن) .

قرار المجمع يوافق راى بطريرك الاسكندرية :

واتفقوا على لعن مقدونيوس ، فلعنوه هو واشياعه ، ولعنوا البطاركة الذين يكونون بعده ، ويقولون بمقالته ، اذن كان للاسكندرية فضل الصدارة فى القول ، والقيادة فى الراى العام ، وان لم تكن لها الرياسة .

نظرة فاحصة :

ونريد أن نستطرد استطرادة صغيرة عاجلة ، وهى ان ننظر فى تلك السلسلة الفكرية التى ساقتها فى شكل دليل شرطى تكررت مقدماته وكثرت تاليانه ، وان نظرة سريعة فاحصة الى الاساس الذى تلبت عليه السلسلة ترينا انه جعل روح القدس هى روح الله ، وهذا لا يسلمه له مخالفه . ولا يستطيع هو أن يقيم عليه دليلا .

ان روح القدس خلقه الله ، واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد أن يلقى عليه وحيا من خلقه او امرا كونيا ، فهى ليست روح الله المتعلقة

بذاته ، وليس عنده من دليل على ما قال ، ولكن هكذا ساق السلسلة ، وهكذا اقتنع سامعوه . وبذلك تم له الثالوث الذى يتشابه تماما مع فلسفة الاسكندرية ، وقد أملتها بطريرك الاسكندرية ، وزادوا بذلك على مجمع نيقية هذا الاقنوم الثالث .

ويقول ابن البطريق فى بيان قرارهم : « زادوا فى الامانة التى وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر آباء الذين اجتمعوا فى نيقية الايمان بروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له ، ومعبد وقيلوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة اقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاثة خواص ، وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحدية ، كيان واحد فى ثلاثة اقانيم . اله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة » .

اذن تقرر التثليث ، وتمت اقانيمه ، ولكن ما زال للمؤتمرات العامة والمجامع العامة موضع ، فان طبيعة المسيح الانسانية والالوهية ، كيف تجتمعان ؟ هذا موضع الخلاف . ولهذا تجتمع المؤتمرات .

٣ — مجمع افسس الاول سنة ٤٣١

سبب انعقاده :

٨٦ — اول اختلاف بينهم بعد تقرير الثالوث ان بطريرك القسطنطينية نسطور رأى أن هناك اقنومًا وطبيعة ، فاقنوم الالوهية من الآب ، وتنسب اليه ، وطبيعة الانسان وقد ولدت من مريم . فمريم ام الانسان ، وليست ام اله .

ويقول فى المسيح الذى ظهر بين الناس وخاطبهم ، كما نقله عنه ابن البطريق : « ان هذا الانسان الذى يقول انه المسيح . بالمحبة متحد مع الآب ، ويقال انه الله وابن الله ليس بالحقيقة ، ولكن بالموهبة » .

ويظهر من هذا أن المسيح الذى ظهر بين الناس لم يكن الها بحال من الاحوال ، ولكنه مبارك بما وهبه الله من آيات وتقديس .

ولذا جاء فى تاريخ الامة القبطية عن نحلته ما نصه :

النسطوريون ينكرون الوهية المسيح :

« اما هرطقة نسطور هذه فلم تكن كغيرها نشأت عن اختلاف فى عقائد وضعها الآباء والاحبار ، بل هى جوهرية تختص باعظم موضوعات الايمان والاركان فى الدين المسيحى ، ذلك ان نسطور ذهب الى ان ربنا يسوع المسيح لم يكن الها فى حد ذاته ، بل هو انسان مملوء من البركة والنعمة ، أو هو ملهم من الله ، فلم يرتكب خطيئة ، وما اتى امرا ادا » .

على هذا التخريج يكون نسطور لا يعتقد بالوهية المسيح . وان كان يعتقد انه فوق الناس ، وليس مثلهم ، ولقد جهر بهذا الرأى ، ونادى به ، وهو رئيس لكنيسة القسطنطينية ، ولها مكانتها ، ولكن خالفه غيره من الاساقفة ، فكان اسقف روما يعلنه برأيه المخالف له ، مع ما عند نسطور فيما رآه من بيانات ، وادلة .

ولقد بلغت مقالة نسطور بطريرك الاسكندرية ، وجرت المراسلات بين اسقف الاسكندرية واساقفة انطاكية وروما وبيت المقدس ، فاتفقوا على عقد مجمع افسس للنظر فى هذا الرأى ، واعلان صاحبه بالتبرؤ منه ،

ولعله ان اصر على رايه ، ودعوه ليسمع حكمهم فى رايه . ويظهر أنه عرفه قبل أن يجتمع المجمع . وانهم مصرون على ما اعلنوه ، كما انه مصر على رأيه ، فلم يجد كبير فائدة فى حضور المجمع ، فلم يحضر لا هو ولا بطريرك انطاكية .

وانعقد المجمع وعدده نحو مائتين من الأساقفة ، وقرروا ما نصه كما جاء فى تاريخ ابن البطريق :

« ان مريم العذراء والدة الله ، وان المسيح اله حق وانسان معروف بطبيعتين ، متوحد فى الاقنوم » ولقد لعنوا نسطور .

قرار المجمع والاحتجاج عليه :

فلما بلغ ذلك القرار يوحنا بطريرك انطاكية غضب ، واحتج على المجمع ، فاختلف المجتمعون على رأيين ، واصر المشرقيون على الرأى الذى أعلنه المجلس اولا ، وكتبوا صحيفة فيها « ان مريم القديسة العذراء ولدت الهنا وربنا يسوع المسيح الذى مع ابيه فى الطبيعة ، ومع الناس فى الناسوت والطبيعة » واقروا بطبيعتين ، ووجه واحد واقنوم واحد ، خالفهم بطريرك الاسكندرية اولا ، ولكن يقول ابن البطريق انه وافق بعد ذلك وكتب اليهم : « ان امانتى التى فى صحيفتكم » .

انتشار النسطورية فى الشرق :

ولكن لم يخضع نسطور لذلك القرار . فنفى الى مصر . ولم يثنه مذهبه بذلك النفى ، ولقد وجد أرضا صالحة لها فى الشرق ، فلقد نهضت النسطورية فى نصيبين ، ويقول ابن البطريق : « تكاثرت النسطورية فى المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة » .

٤ — مجمع خليكدونية سنة ٤٥١

كنيسة الاسكندرية تعلن أن المسيح اله قد اتحد فيه اللاهوت والناسوت وصارا طبيعة واحدة :

٨٧ — ولم يحسم ذلك المجمع الخلاف فى مسألة اجتماع العنصر الانسانى والعنصر الالهى فى المسيح ، فلم يقض على نحلة نسطورس قضاء مبرما ، وان كان قد نفاه وآذاه ، بل نمت نحلته بعد ذلك فى المشرق ، وذاعت فى البلاد التى ذكرها ابن البطريق ، ولم يتم الخلاف فى ذلك عند نسطور واتباعه ، بل أن كنيسة الاسكندرية قد خرجت هى الاخرى برأى جديد عرضته على الملأ من الاساقفة وجمعوا له جمعا قرروه فيه ، وذلك الرأى أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت ، وانعقد لاجل هذا مجمع المجمع الثانى الذى تسميه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص، وفى هذا المجمع اعلن ذلك الرأى .

فلما عارضه بطريرك القسطنطينية واعلن انسحابه من المجلس ، وعدم احترامه ، أمرهم رئيس المجلس باعلان حرمانه ، وحدث خارج المجلس صخب شديد ، وضجة كاد أن يقتل فيها رئيس كنيسة القسطنطينية وقد اشتد الاختلاف بعد ذلك حول هذا المجمع ، اهو صحيح محترم السلطان ، أم هو مجمع غير عام لا تلتزم بآرائه الكنائس كلها ؟ واشتد الاختلاف فى قرارات الحرمان التى أصدرها ، أهى محترمة واجبة التنفيذ ، أم هى باطلة ، لانها صادرة عن غير سلطة ؟ حتى جاءت ملكة على الرومان تخالف ذلك الرأى ، وتميل لغيره . فلتنفيذ رأيها فى هذا الخلاف الشديد حول مجمع افسس الثانى وقراراته — أمرت ، هى وزوجها ، بعقد مؤتمر عام ، فاجتمع فى مدينة خليكدونية عشرون وخمسمائة اسقف ، وكان الاجتماع تحت اشراف زوج الملكة ، واجتمع فى شهر اكتوبر سنة ٤٥١ .

طلب انسحاب بطريرك الاسكندرية ورفض الطلب :

وتقول مؤلفة تاريخ كتاب الأمة القبطية : « وكان اول اقتراح طلبه مندوبو رومية انسحاب ديسقورس بطريرك الاسكندرية من المجلس ،

فسأل الرئيس عن الباعث لهذا الانسحاب وعن الاسباب التى ملجىء المجمع الى اخراج هذا البطريرك من قاعته ؟ لكان اعتراض هؤلاء ان ديسقورس شكل مجمعا دون ان يستأذن الكرسى الرسولى ، ويقصدون بالكرسى الرسولى بابا القسطنطينية .. فلم يصادق مندوبو الحكومة على هذا الراى السقيم ، وقرر المجمع بقاء ديسقورس ، ولكن على غير كرسى الرياسة ، كما كان فى المجمع السابق لانها اصبحت فى يد رجال الامبراطورة ، وقد حدث ضجيج وصخب ومنازعات فى اثناء الاجتماع مما جعل مندوبى الحكومة يصيحون فيهم قائلين بلسان احدهم : « انه لا يجدر بالاساقفة وائمة الدين أن يأتوا مثل هذه الاعمال الشائنة من صياح ، وصراخ ، وسب ، وتذف ، وضرب ولكم . بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة للشعب فى الهدوء وتسيير الأمور على محور الحكمة والسداد ، ولذلك نرجوكم ان تستعملوا البرهان بدل المهاترة ، والدليل عوضا عن القول الهزاء ، واميلوا آذانكم الى سماع ما سيملى عليكم » .

الشغب فى المجمع :

وسارت المناقشة بعد ذلك فى جو عنيف متعصب وانتهى المجمع الى ان قرر ، أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة ، وان الالوهية طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحده . التقتا فى المسيح .

قرار المجمع ان المسيح له طبيعتان :

وقد قال ابن البطريق فى بيان قرار المجمع : « قالوا ان مريم العذراء ولدت الهنا ، ربنا يسوع المسيح الذى هو مع ابيه فى الطبيعة الالهية ، ومع الناس فى الطبيعة الانسانية ، وشهدوا أن المسيح له طبيعتان ، واقنوم واحد ، ووجه واحد ، ولعنوا نسطوريس ، ولعنوا ديسقورس ، ومن يقول بمقالته ، ونفوه ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بافسس وقد نفى ديسقورس الى فلسطين » .

الانشقاق ومداه :

٨٨ — هذا نرى انشقاقا بين المسيحية المثلثة ، واختلافا يكون بعيد المدى فى الاجيال المقبلة ، وهو اساس اختلاف الكنائس الى يومنا الحاضر

لهذا المجمع يرى ان المسيح له طبيعتان احداهما انسانية يشارك فيها الناس والأخرى لاهوتية ، والمتنوم الابن مكون من الطبيعتين ، وهو بذلك يخالف النسطوريين ، لانهم يقولون : ان المتنوم الابن لم يكن من العنصرين ، بل من العنصر الانسانى وحده ، ويخالف قرار المجمع الثانى الذى يقول ان المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتى من الروح القدس ، ومن مريم العذراء مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة ، وقد بدت آثار ذلك المجمع سريعة واضحة .

فان المصريين عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا ، واجمعوا امرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع .

عدم اعتراف المصريين بقرار المجمع :

وتقول مؤلفة كتاب تاريخ الأمة القبطية : « ولما طرق مسامع المصريين ما لحق ببطريركهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا ، واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذى اصدر هذا الحكم ، واعلنوا رضاهم ببقاء بطريركهم رئيسا عليهم ، ولو انه محروم مشجوب ، وان ايمانه ومعتقده هو عين ايمانهم ومعتقدهم ، ولو خالفه فيهما جميع اباطرة القسطنطينية ، وبطاركة رومية ، ولقد اعتبر المصريون أن الحكم الذى صدر ضد بطريركهم ماس بحريتهم الوطنية ، مجحف بحقوقهم السياسية ، ولو انه حكم دينى صرف » .

ولقد اشتد النزاع بسبب هذا بين المصريين والرومان فثار المصريون وغضبوا عندما راوا بطريركا يعين على غير مذهبهم ، وعلى غير رغبتهم ، واستمروا على غضبهم ، فصاروا ينتفضون الحين بعد الحين ، كلما لاحت لهم الفرصة ، وديسقورس لم يمنعه النفى من ان يدعو المسيحيين الى اعتقاده فى منفاه .

ويقول ابن البطريق : « لما نفى سار إلى فلسطين ، وبيت المقدس فافسد دين كل من بفلسطين وبيت المقدس ، حتى قالوا بمقالته » .

المصريون يرفضون تعيين بطريرك على غير مذهبهم :

٨٩ — ولقد كان الاختلاف يشتد كلما عين الرومان بطريركا ، فان المصريين يرفضونه محتجين بانه على غير مذهبهم ومن غير جماعتهم ، ويجب أن يكون بطريركهم بعد هذا الاخلاف من المذهب الذى ارتضوه دينا ، وباختيارهم ، فكان بعض الأباطرة يأخذهم بالعنف ، واولئك هم الاكثرون ، وبعضهم يأخذهم بحسن السياسة ولطف الكياسة ، فيترك لهم الحرية فى اختيار بطريركهم ، والاطمئنان الى مذهبهم ، وكانت الأيام والسنون هكذا تسير أحيانا على نهج من الموادة والرفق ، وأحيانا كثيرة على شطط وعنف .

يعقوب البرادعى ونسبة المذهب المصرى اليه :

وفى هذه الاثناء يتغلغل فى ربوع الدولة الرومانية الدعاة الى المذهب المصرى والدعاة الى المذهب الرومانى او مذهب رومية مقر الأباطرة او المذهب الملكى كما سماه العرب من بعد .

ولقد ظهر للمذهب المصرى داعية قوى الشكيمة قوى العارضة ، بليغ الأثر ، اسمه يعقوب البرادعى ، قد اخذ يجول فى وسط القرن السادس الميلادى فى البلاد الرومانية الى مصر ، يدعو الناس الى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية ، ويبث ذلك المذهب فى نفوسهم ، ويدخله فى قلوبهم ، وسلك فى سبيل ذلك المخاطرة والجراة ، لا يابه لقوة مهما تكن ، ولا لذى خطر مهما يكن شانه .

وتقول صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية : « قيل انه رسم ٨٩٠ اسقفا ، والوفا من الكهنة والقسوس ، ومن ذلك الحين اطلقت كلمة يعقوبيين على جميع الذين يذهبون الى أن للمسيح طبيعة واحدة اشتقاقا من اسم يعقوب البرادعى زعيم هذا الحزب .

ولكن من الخلط الكبير ، والخبط الذى يدل على الجهل اطلاق لفظ يعقوبيين على الكنيسة القبطية المصرية ، لأن مذهبها نشأ قبله ، وهو تبعه ، اذ لا علاقة لها بيعقوب ، أما اذا سميت الكنيسة الرومانية بالكنيسة الملكية فانت مصيب غير مخطىء ، لأن هذا الاسم صار علما للكنيسة

المذكورة من بعد الفتح الاسلامى ، وهو اسم عربى الأصل مشتق من كلمة ملك ، ومعناها الذين ينحازون الى الملك ، أو الامبراطور الرومانى مذهبا وسياسة » .

انفصال الكنيسة المصرية نهائيا :

٩٠ — ولقد كان قرار مجمع خليكدونية هو السبب فى انقسام الكنائس ، أو بعبارة أدق هو السبب فى انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية ، ولقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية فى مصر عقيدة الكنيسة المصرية فقال : « كنيستنا المستقيمة الرأى التى تسلمت ايمانها من كيرلس ، وديسقورس ومعها الكنائس الحبشية والارمنية ، والسريانية الأرثوذكية تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الاقانيم ، اقنوم الاب ، واقنوم الابن ، واقنوم الروح القدس ، وأن الاقنوم الثانى اى اقنوم الابن تجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء . فصير هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة من الاختلاط ، والامتزاج والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة » .

هذه هى قرارات تلك الكنيسة ، وهى تخالف ما تقرر فى مجمع خليكدونية كما علمنا .

المجـــامع الباقيـــة

المجامع السابقة تقرر المسيحية الحاضرة :

٩١ ــ عنينا ببيان المجامع الأربعة السابقـــة ببعض التفصيل ، ولم نمن على القرطاس فيها ببعض الاطناب ، لأنها المجامع التى قررت بنا العقيدة المسيحية الحاضرة .

فاولها قرر الوهيـــة المسيح ، وثانيها قرر الوهية الروح القدس ، وثالثهـــا قرر أن المسيح اجتمـــع فيه الانسان والاله ، لا الانســان فقط ، وأن مريم ولدت الاثنين ، ورابعها قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين ، لا طبيعة واحدة متحدة ، والمجامع الثلاثة الأولى اتفقوا على انها مجامع عامة تلزم باحكامها المسيحيين اجمعين ، اما المجمع الرابع فهو ليس مجمعا عاما فى نظر المصريين ، والكنائس التى تنهج نهج كنيستهم .

والمجامع الآتية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد اجمع عليه المسيحيون قاطبة بانه مجمع عام مسكونى كما يعبرون ، فكل هذه المجامع لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعـــد انشقاقها على كنيسة رومـــة ، أو انشقاق كنيسة روما عليهـــا .

وانا نشير الى هذه المجامع اشارة ، ولا نعرج عليها بتفصيل لذلك ، ولان قراراتهـــا كانت فى فروع جزئيـــة لا تتصل بلب التثليث الا فى بعض المجامع ، وبقدر يسير ، لا يمس الجوهر ، ولا يتغلغل فى صميمه ، وقـــد تعرض لهذا بقليل من التفصيل .

ولقد كان المجمع الخامس بالقسطنطينية سنة ٥٥٣ ، ويسمى المجمع القسطنطينى الثانى .

المجمع القسطنطينى الثانى وسبب انعقاده :

ويذكر ابن البطريق ان ذلك المجمع انعقد بسبب أن بعض الاساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح ، وسار فيها الى اقصى مداها . حتى لقد قال انه ليس هناك قيامة ، وبسبب ان بعض الاساقفة قـــد زعموا أن شخص المسيح لم يكن حقيقة ، بل كان خيالا ، فاجتمع لذلك هذا المجمع ، وكانت عدة الحاضرين فيه أربعين ومائة ، فتبرروا حرمان هؤلاء الأســـاقفة ، ولعنهم

وطردهم من زمرة المسيحيين ، ولم يكتفوا فى اجتماعهم باصدار قرارهم فى هذه الأمور ، بل ثبتوا قرارات المجامع السابقة ، ومنها قرار مجمع خلقيدونية ، وبذلك ثبتوا عقيدة كون المسيح ذا طبيعتين ، واكتوا انكار الطبيعة الواحدة التى اعتنقتها كنيسة مصر ، ومن والاها من المسيحيين .

المارونية :

٩٢ — وقد ظهر رجل اسمه يوحنا مارون فى القرن السابع الميلادى سنة ٦٦٧ كان يقول ان المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد ، ولكن يظهر أن هذه المقالة لم ترق فى نظر البطارقة لذلك ، فاوعزوا الى الامبراطور أن يجمع جمعا عاما فى زعمهم ، ليقر بان المسيح ذو طبيعتين ، وذو مشيئتين ، بعد أن استوثقوا من ان الامبراطور ، واسمه يوغاتوس على رأيهم ، بمكاتبات تبادلوها معه .

فقد جاء فى احد كتبه : « نحن نقر ، ونؤمن بطبيعتين ، ومشيئتين ، وفعلين لسيدنا المسيح ، واقنوم واحد ، ونلعن من خالف هذا » .

مجمع القسطنطينية الثالث :

اجتمع كذلك المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ م وقد كان من عمله لعن وطرد كل من يقول بالمشيئة الواحدة ، كما لعن وحرم وكفر من قال بالطبيعة الواحدة ، وكان مؤلفا من نحو تسعة وثمانين ومائتى اسقف . وبعد أن قرروا لعن وطرد من يخالفهم كشأنهم دائما .

قالوا : « اننا نؤمن بان الواحد من الثالوث الابن الوحيد الذى هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الآب الاله فى أقنوم واحد ، ووجه واحد ، يعرف تماما بناسوته ، تماما بلاهوته فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين فى أقنوم واحد ، وشهدوا كما شهد المجمع الخلقيدونى ان الاله الابن فى آخر الأزمان اتخذ من العذراء السيدة مريم القديسة جسدا انسانيا بنفس ناطقة عاقلة ، وذلك برحمة الله نحو البشر ، ولم يلحقه فى ذلك اختلاط ولا فساد ، ولا فرقة ولا فصل ، ولكن هو واحد يعمل ما يشبه الانسان أن يعمله فى طبيعته ، وما يشبه الاله أن يعمله فى طبيعته ، الذى هو الابن الوحيد ، الكلمة الأزلية المتجسدة التى صارت

لحقه لحما كما يقول الانجيل المقدس من غير أن تنتقل من مجدها الازلى وليست بمتغيرة ، ولكنهما بفعلين ، ومشيئتين وطبيعتين اله وانسان ، وبهما يكمل قول الحق ، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها، فتصلان بمشيئتين غير متضادتين » .

هذا بعض قرار ذلك المجمع كما جاء فى تاريخ ابن البطريق ، وقد اطلنا فى النقل ، ليكون كلام القوم مبينا لفكرهم كما يريدون ، فنقلناه خشية أن نحرف كلامهم من معناه ، أو نحيد به من مرماه .

ولقد كان من آثار هذا القرار ان خرج من جماعة كنيسة روما والقسطنطينية طائفة الملرونيين ، كما خرج من قبل الاقباط وكنيستهم ، ومعهم الاحباش والارمن والسريان .

مجمع تحريم اتخاذ الصور :

٩٣ — وقد جاء مجمع غير ملم باقرار الجميع انعقد بامر قسطنطين الخامس سنة ٧٥٤ وفيه جمهور من الاساقفة ، وفدوا اليه من جهات مختلفة وقد قرر تحريم اتخاذ الصور (١) والتماثيل فى العبادة ، وحرم طلب الشفاعة من العذراء ، ولأجل هذا انعقد المجمع السابع بامر الملكة ايرينى بمدينة نيقية ، ويسمى المجمع النيقاوى الثانى سنة ٧٨٧ وكان اعضاؤه

---

(١) يقرر الاستاذ المرحوم امين الخولى فى رسالته « صلة الاسلام باصلاح المسيحية » ان فكرة تحريم اتخاذ الصور والتماثيل فى اماكن العبادة اسلامية ، وان اشد من ظهر بمعاداتها ليون الثالث مكسر الاصنام الذى اغلق الكنيسة واتخذ العنف سبيلا لتنفيذ رأيه له صلة وثيقة بالمسلمين وينقل عن صاحب كتاب الطرق النيقية قوله : « ان ليون فعل ذلك لاسباب سياسية اذ رغب فى التقرب الى المسلمين بذلك . او فعل ذلك تقليدا لحركة من هذا النوع قام بها فى ذلك العصر المسلمون فى ديارهم » ، ويقول الأستاذ امين الخولى : « والحركة الاسلامية التى سمعت خبرها فى تحطيم التماثيل هى التى قام بها الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ هـ — ٧٢٠ م (وكانت حركة ليون المسيحية سنة ٧٢٦) اذ كتب يزيد الى حنظلة ابن صفوان ، والى مصر ان يكسر الاصنام والتماثيل ، فكسرت كلها ، وبحيت من ديار مصر وغيرها فى ايامه » .

٣٧٧ اجتمعوا واصدروا القرار بتقديس صور المسيح والقديسين ، لا بعبادتها ، وجاء فى هذا القرار : « اننا نحكم بأن توضع الصور ليس فى الكنائس والأبنية المقدسة ، والملابس الكهنوتية فقط ، بل فى البيوت ، وعلى الجدران فى الطرقات ، لأننا ان اطلقنا مشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسل ، وسائر القديسين فى صورهم شعرنا بالميل الشديد الى التفكير فيهم ، والتكريم لهم ، فيجب ان تؤدى التحية والاكرام لهذه الصور ، لا العبادة التى لا تليق الا بالطبيعة الالهية » . هذا هو المجمع السابع قد وافق عليه عدد كبير من الكنائس فاعتبرته عاما ، وخالفته اخرى ، فلم تعتبره كذلك .

انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية وسببه :

٩٤ — ولننتقل بعد ذلك إلى المجمع الثامن ، وهو اساس انفصال الكنائس الشرقية التى ترأسها كنيسة القسطنطينية عن الكنائس الغربية التى ترأسها كنيسة روما .

وقد علمت أن المجامع الماضية التى انفصلت بسببها فرق مسيحية كان اساس الخلاف فيها طبيعة المسيح ، ولم يتعرض احد للروح القدس ، ومن اى شىء انبثق ، حتى اثار بطريرك القسطنطينية كيف كان انبثاقه ، فحكم بأن انبثاق الروح القدس كان من الآب وحده ، فعارضه فى ذلك بطريرك رومة قائلا : « ان انبثاق الروح القدس كان من الآب والابن معا ، ولم يكن من احدهما ، وكل فريق عاضد رأيه بجمع قد جمعه ، وكلاهما قد اعتبر هو ومشايعوه مجمعه عاما ملزما للآخر ، ومجمع الآخر خطأ غير ملزم ، وكل لعن الآخر وطرده ، واعتبره محروما مطرودا من حظيرة المسيحية ، كشأنهم عند كل اختلاف .

اعلن بطريرك القسطنطينية رأيه ، وهو أن الروح القدس انبثق من الآب فقط ، وفوق ذلك قد تولى هذا البطريرك كرسيه من غير ارادة رئيس الكنيسة بروما ، وبعد أن دس اسلافه ما ابعده عن كرسيه ، فاجتمع فى القسطنطينية مجمع بعد عزل البطريرك الذى تاوا روما سنة ٨٦٩ ، وأصدر قرارا يتضمن البت فى ثلاثة أمور :

اولها : كون انبثاق الروح القدس من الآب والابن .

ثانيهـــا : أن كل من يريد المحاكمة فى أمر يتعلق بالمسيحية وعقائدها يرفع دعوى الى الكنيسة بروما .

ثالثها : أن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التى يقـــوم بها رئيس كنيســة روما .

وتلك القرارات كانت مع قرار آخر يعتبر عنـــدهم سنة متبعـــة ، وهو لعن ذلك البطريرك المعزول واســمه فوسيوس ، وحرمانه هو واتباعه .

استطاع فوسيوس هذا أن يعود الى منصبه ، فلما عاد اليه كان أول ما صنعه أن عقـــد مجمعا آخر فى القسطنطينية سنة ٨٧٩ ، ويســمى هذا المجمع الشرقى اليوناني ، كما يســمى الاول الغربى اللاتينى ، وقد قرر فيه رفض كل ما قرره المجمـــع الاول ، وقرر أن انبثاق الروح القدس من الاب فقط ، وقد صار كل مجمع يعتبر عاما عند مشايعيه ، كما يعتبرون الآخر خاصا ، بل باطلا غير ملزم ، وكل يكفر الآخر أو بدعته و « **كل حزب بما لديهم فرحـــون** » .

٩٥ — كان هذان المجمعان هما السبب فى انقســـام الكنيســة الى شرقية يونانية ، وغربية لاتينية ، ورئيس هذه الكنيســة الغربية هو البابا ، وهو مستقل بسياستها وله السلطان على كل الطوائف المنقـــادة الى تعاليمها .

الكنيســة الغربية ام الكنائس :

وتسمى الكنيسة البطرسية لكون مشايعيها يعتقدون ان مؤسسها الأول هو بطرس الرســـول فى زعمهم ، ويزعمون أنه كبير الحـــواريين ورئيسهم ، ويقولون انه رأس هذه الكنيســة ، والبابوات خلفاؤه من بعده . وتسمى الغربية لكون سلطانها فى بلاد الغرب ، ويقول صاحب كتـــاب سوسنة سليمان : « وهى تدعى انها أم الكنائس ، ومعلمتهن ، وربما حق لها ذلك لجهة التناسـر التى تبنى عليها أســـول التعاليم التقليدية ، ونظامات المجامع ، وترتيبها ، وهى ايضا التى تأمر بها . وتمتد شوكتها على الخصوص فى بلاد ايطاليا وبلجيكا ، وفرنسا ، واسبانيا ، والبرتغال ، وشعوبها منتشرة فى اقطار الأرض .

وأما الكنيسة اليونانية ، ويقال لها ايضا كنيسة الروم الارثوذكسية أو الكنيسة الشرقية ، فاكثر مشايعيها في الشرق وسلطانها فيه ، وهي تشترك مع الكنيسة الكاثوليكية في كثير من التقاليد المسيحية ، ولكنها تخالفها في انبثاق الروح القدس . فتقول انه من الاب فقط ، كما بينا ، ولا تعترف الا بالمجامع السابقة على المجمع الذي أوجد الانفصال ، كما لا تعترف لبابا روما بالسيادة أو الرياسة .

ولكن لمرور الزمن ، وما احيط به من تقديس بين مشايعيه ، وعقد الملوك ، ولكثرة معتنقي مذهبه ، تساهل الكنيسة الشرقية فتعترف له بالتقدم لا بالسلطان ، ويليه في الرتبة بطريرك القسطنطينية ، والمشايعون لها في بلاد روسيا واليونان والصرب ، وكثير من جزر البحر الأبيض وغير هؤلاء .

المجامع اللاحقة كلها غير مسكونية الا في نظر الكنيسة الغربية :

٩٦ — قد انفصلت الكنيسة الشرقية عن الغربية كما علمت ، والمجامع الآتية كلها مجامع غير عامة في نظر الكنيسة الشرقية ، لان الأساقفة الذين كانوا يجيبون الدعوة فيها من أتباع الكنيسة الغربية فقط ، ولذلك لا تعتبر تلك المجامع عامة الا في نظر الغربية .

فالمجمع التاسع انعقد في روما سنة ١١٢٣ ، واعظم قراراته قضاؤه الحكم بأن تعيين الأساقفة ، ليس من شأن الحكام ، بل من عمل البابا وحده .

محاولة تقريب بين الكنيستين :

والمجمع العاشر انعقد في روما أيضا سنة ١١٣٩ ، وكان أعضاؤه ١٠٠٠ عضو ، وقد حاول هذا المجمع ازالة الفرقة بين الكنيستين ، فلم ينجح .

والمجمع الحادي عشر الذي انعقد في روما سنة ١١٧٩ كان لوضع نظام التأديب الكنسي ، وفيه تقرر انتخاب البابوات بثلثي عدد الكرادلة .

وكان في هذا العصر قد شاع القول باستحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني الى جسد المسيح ودمه ، ولكن لم يقرر ذلك المبدأ .

حتى جاء المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٥ وفيه تقرر ذلك المبدأ نهائيا ومبدأ آخر سيكون له خطر مع سابقه ، وهو مبدأ أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء .

وتتوالى بعد ذلك المجامع الكاثوليكية لأغراض عامة أو اقليمية ، وفي بعضها تتجدد محاولة توحيد الكنيستين المتصلتين ، وفي بعضها يتقرر التنقيب عن القلوب ، ومحاربة الخارجين عن التعاليم المسيحية .

وأهم هذه المجامع وأعظمها أثرا ، وأقواها عملا المجمع التاسع عشر الذي انعقد في ترينتو والذي دام انعقاده من سنة ١٥٤٢ إلى سنة ١٥٦٣ ، وفيه الرد على البروتستانتية .

وختام هذه المجامع هو المجمع المتمم العشرين المنعقد في رومة سنة ١٨٦٩ وقد أنهوا فيه العصمة البابوية .

وقد قال في ذلك صليب سوسنة سليمان : « وقد نشأ في ذلك انقسام في الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوربا والشرق ، والذين خالفوا هذه العقيدة من أهالي أوربا سموا أنفسهم الكاثوليكيين القدماء ، ونهاية ذلك لم تزل مجهولة » .

الفـــرق المســـيحية

٩٧ ــ من البيـان الذى سـتناه فى المجامع ، وما انعقدت بسببه من خلافات يظهر لنا أن المسيحية قد أتى عليها حين من الزمن كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها ، والغالب على كل نحـلة سواه من نحلهـا . وانك لترى ذلك واضحا فيما بيتـاه من أن أريوس عندما ظهر مقاوما فكرة ألوهية المسيح ، ومنازعا كنيسة الاسكندرية فى ذلك المبدأ الذى كانت تبثه فى النفوس وهو الوهية المسيح وتنادى به على رؤوس الأشهاد ، بينما كان اتباعه فى مصر وفلسطين والقسطنطينية ، (وهذه مواطن المسيحية فى ذلك الابان) اكثر عددا واقوى مكانة ، فكثير منهم أساقفة ورؤساء كنائس ، وكل ذلك مع أن قسطنطين الامبراطور الحاكم بأمره الذى لا معقب لحكمه كان يشايع فكرة الوهية المسيح وينـاصرها ، ويحميها ويؤيدها ، كما بينا عند الكلام فى مجمع نيقية اذ حمى القائلين أن المسيح فيه الوهية بحمايته ، ووضعهم تحت ظله ، وأمدهم بالجاه والسلطان .

واذا كان قد أتى حين كان فيـه التوحيد هو السـائد ، فيصح لنـا أن نقسم عصور المسيحية الى قسمين :

عصر التوحيد : ونجعل نهايته الزمن الذى انعقد فيه مجمع نيقية . او ما ولى ذلك الزمن بقليل . اذ غالب التوحيد فكرة الوهية المسيح ردحا غير قصير من الزمن بعد مجمع نيقية .

والعصر الثانى : عصر تاليه المسيح ، وذلك العصر يبتدىء بعد مجمع نيقية ، وبعـد أن استطاع أباطرة الرومان أن يطمسوا نور التوحيـد فى وسط المسيحيين ، ويمنعوا الموحدين من نشر دعاياتهم .

واذن فمن الحق علينا أن نراعى هـذا التقسيم عند الكلام فى الفرق القديمة عند المسيحية ، فنقسم تلك الفرق الى قسمين :

فرق ظهرت فى عصر التوحيد ، وربما كان وجود بعضها قبـل مجمع نيقية ارهاصا لعهد التثليث .

وفرق ظهرت فى عصر تاليه المسيح وعصر التثليث .

ونقصد بالفرق القديمة الفرق التى ظهرت قبل عصر النهضة فى أوربا أى قبل القرن الثالث عشر الميلادى ، ونقصد بالفرق الحديثة الفرق التى ظهرت بعد عصر النهضة ، وهى التى ظهرت فى عهد الاصلاح الدينى ، وما والاه .

الفرق التى ظهرت فى عصر التوحيد :

٩٨ — والفرق التى ظهرت فى عهد التوحيد كثيرة ، وبعضها كان متمسكا بالتوحيد ، ومعه الكثرة الغالبة من المسيحيين كما استنبطنا من السياق التاريخى وكما يستفاد من ثنايا التاريخ ، وبعضها كان قد انحرف عن التوحيد ، حتى كان وجوده تمهيدا للتثليث أو سيرا ببعض الخطوات فى سبيله .

واظهر الموحدين اريوس واتباعه ، وقد كانوا كثيرين . فقد شرحنا انه قد كان يأخذ بمذهبه بطريرك القسطنطينية وغيره من البطاركة ، وكان رأيه منتشرا فى مصر والشام ومقدونية ، وهى مواطن المسيحية كما علمت .

فرقة اريوس :

يقول ابن حزم فى بيان فرقة اريوس : « والنصارى فرق ، منهم اصحاب اريوس ، وكان قسيسا بالاسكندرية ، ومن قوله التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وانه كلمة الله تعالى التى بها خلق السماوات والأرض ، وكان فى زمن قسطنطين الأول بانى القسطنطينية ، وأول من تنصر من ملوك الروم ، وكان على مذهب اريوس .

وهذا الكلام يحتاج جزؤه الاخير الى نظر ، فهو يزعم أن قسطنطين كان على مذهب اريوس ، وقد بينا عند الكلام فى مجمع نيقية ، انه هو الذى تدخل بنفوذه وسلطانه ، فعزل انصار لاهوت المسيح ، واعتبر المجمع مكونا منهم دون سواهم ، وقد كان المجتمعون أول الأمر أكثر من ألفين ، فرفض رأى الكثرة ، وعقد مجمعا مؤلفا من ثمانية عشر وثلاثمائة ، بينما يذكر الثقات من المؤرخين انه قد صرح بنصرة لاريوس من المجتمعين أكثر من سبعمائة .

نعم لن الاريوسيين قد حاولوا بعد ذلك جذبه الى رأيهم ، وضمه الى مذهبهم ليستفيدوا منه قوة وسلطانا ، فمال اليهم اخيرا ، او اظهر الميل ، وان كان لم يعمل على نصرة مذهبهم ، ولم يعقد مجمعا ليقرر رأيهم، كما فعل بالنسبة لغيره ، واقصى ما عمله انه رد المحرومين الى حظيرة المسيحية ، واعاد المنفيين من منافيهم ، ومكنهم من الاستمتاع بنعمة الحرية. ولعل ذلك كان كيلة منه وسياسة ، اذ رآهم كثرة المسيحيين الغالبة . وأقوالهم هى الشائعة الرائجة ، فاظهر الميل اليهم حتى لا ينقضوا عليه.

اصحاب بولس الشمشاطى :

٩٩ — ومن الموحدين الذين ظهروا اصحاب بولس الشمشاطى ، ويقول فيه ابن حزم : « كان بطريركا بانطاكية ، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح ، وان عيسى عبد الله ورسوله كأحد الانبياء عليهم السلام ، خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر ، وانه انسان لا الهية فيه . وكان يقول : لا ادرى ما الكلمة ، ولا روح القدس .

ومن هذا يتبين أن مذهب بولس هذا كان توحيدا خالصا ، وان عيسى ليس الا رسولا من رب العالمين . وانه كان اذا عرض له البحث فى كلمة الله ، وروح القدس امسك عن ذلك ، ولم يخض فيه ، وتوقف واعتصم بذلك .

ويقول ابن البطريق فى بيان مذهب بولس هذا : « ان المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا فى جوهره ، وان ابتداء الابن من مريم ، وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى ، صحبته النعمة الالهية ، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله ، ويقولون ان الله جوهر واحد ، واقنوم واحد ، ويسمونه بثلاثة اسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك انطاكية ، وهم البوليقانيون » .

هذا ما قاله ابن البطريق فى معتقد بولس الشمشاطى ، وهو لايختلف فى جوهره عن كلام ابن حزم الاندلسى فيه ، وان اختلفت العبارات ، فالاصطفاء لتخليص الجوهر الانسى هو ما عبر عنه ابن حزم بالرسالة ،

والنعمة الالهية التي حلت فيـــه هي الوحي واختياره ليكون رســـول الله الى الناس يهديهم ، والنبوة التي جاءت في عبارة ابن البطريق حكاية لقول بولس هذا كناية عن المحبة ، ولعل بولس لم يجرها على لسانه ، أو لم تجيء في بيانه ، ولكن ابن البطريق المسيحي المثلث تكلم عن الموحـــدين بمنطقه وتعبيره ، وان كان المراد غير موافق للمثلثين .

دخول الوثنية على التوحيد :

١٠٠ — وكان بجوار الموحدين الذين كانت أقوالهم السائدة المنتشرة في ربوع المسيحيين ، وجدت آراء كثيرين ممن دخلوا في المسيحيين ونيهم بقايا الوثنية ، ولا تزال رؤوسهم مملوءة بما درســوه ، ففهموا المسيحية على ضوء ما عرفوه اولا . واهتضموا المسيحية متمثلة في نفوسهم بمـــا استكن في تلك النفوس من آراء ومعتقدات سابقة ، وان ذلك ليشبه من بعض الوجوه تلك النحل المختلفة التي ظهرت في المسلمين في ابان الفرقة التي تلت مقتل الخليفة الثالث والرابع . وما ادخل من آراء ونحل في عصر يزيد ومن وليه .

ولكن الاسلام بنور القرآن الكريم وحفظه ، وهـدى النبي صلى الله عليه وسلم ، وما استحفظه عليه المسلمون من كتاب وسنة ، وما كلأ الله به هذا الدين المتين — قد نفى عنه الدخل ، وذهب الزبد جفاء ، وبقي الدين ، كما بعث نبيه عليه الصلاة والسلام صافيا من غير رنق ولا تكدر .

أما في المسيحية فلأن الكتب قد عراها ما بينـــاه في الكلام عليهـــا ، واختلط فيها الغث والسمين والطيب بالخبيث ، وضلت العقول ، فلـــم تستطع أن تميز بين الصحيح وغير الصحيح ، وتاهب الكوكب الســـاري الذي يضيء وســط الدجنة الحالكة ، وهو كتاب مبين لا يأتيه الباطـــل ، ولا يتطرق اليه الريب ، يكون فيصل التفرقة بين المسيحية الحقـــــة ، والأساطير الباطلة التي افسدتها .

اتبـــاع مرقيون :

دخلت تلك الأوهام على المسيحيين الموحدين وبرزت بينهم ، كما تبرز رؤوس الشياطين وسط أرض قـــد كسيت بالسندس الأخضر من النوع

وجاءت على نحل مختلفة ، وأهواء متباينة ، ونزعات متضاربة ، وبأسماء كثيرة .

فمنهم من كان يقول أن هناك آلهة ثلاثة : صالح ، وطالح ، وعدل بينهم ، وهم أتباع مرقيون ، ولعل هذه النحلة من آثار المجوس ، لأنهم هم الذين يقولون بالله الخير والله الشر .

ولقد قال ابن البطريق فى هذه النحلة وأصحابها : « وزعموا ان مرقيون هو رئيس الحواريين ، وانكروا بطرس » فالمنتحلون لهذه النحلة يزعمون أن مرقيون داعيتها والمنادى بها حوارى من حوارى عيسى عليه السلام ، بل كبير الحواريين وشيخهم ، والمقدم فيهم ورئيسهم .

البربرانية :

ومنهم فرقة تسمى البربرانية كانت تقول ان المسيح وامه الهان ، ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالت كلماته فى قوله تعالى مبينا ما يكون بينه سبحانه وتعالى وعيسى عليه السلام من قول يوم القيامة ، قال تعالت كلماته : « **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شىء شهيد ، ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم** » ولعل فريقا منهم كان موجودا عند نزول القرآن الكريم .

نحل اخر :

ويقول ابن البطريق فى بيان بعض فرق كانت موجودة قبل مجمع نيقية : ومنهم من كان يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية ، وهى مقالة بابليدوس وشيعته ، ومنهم من كان يقول : لم تحبل مريم تسعة اشهر ، وانما مر فى بطنها ، كما يمر الماء فى الميزاب لان الكلمة دخلت فى اذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعته وهى مقالة اليان واشياعه .

ضياع التوحيد بسبب تحريف الكتب :

١٠١ — هذه هى بعض المقالات والأهواء والنحل التى جاءت فى عصر التوحيد ونقده صفاءه ، وكانت نكتا سوداء فى وسط المسيحية الحق النضرة ولقد كان من الممكن أن تزول تلك الأمور العارضة ، ويبقى الأصل سليما نقيا ، لم يتاشبه شىء من المفاسد ، ولكن شرط ذلك أن يكون ثمة كتاب محفوظ لا يعتريه الشك من اى جانب ، ولا يتطرق اليه الظن والاحتمال ، ليكون ميزانا للحق والباطل ، وليكون مقياسا تقاس به الآراء ، وليكون مرجعا يرجع اليه المختلفون .

ولكن الاضطهادات التى نزلت بالمسيحيين ، ومصادرة الكتب وتحريقها بامر الرومان ، والايدى العابثة المفسدة ، كل هذا جعل مصادر المسيحية يعتريها الشك والريب ، ومن وراء ذلك نفذت الاهواء والاساطير الى القلوب ، واخذت تنال من المسيحية وصميمها من غير ان يعقب ذلك بنص قاطع معتمد ، وكتاب ثابت السند .

فكل نحلة تدعى لا تجد ردا لها من نص ، وهى تروج لدى العامة لا بقوة الدليل او النص ، بل بقوة الداعى ومقدار لحنه بالحجة الباطلة والصحيحة ، ومقدار نشاطه وبيانه وسعة حيلته ودهائه ، ودربته على جذب الجماهير .

ولقد كان جمهور المسيحيين يقدس المسيح ابلغ تقديس ، فكانت مهارة الدعاة وقوتهم البيانية متجهة الى هذه الناحية ، يزيدون فى تقديس المسيح ليزيدون كلامهم قبولا لدى العامة ، ثم انتقلوا من التقديس المعقول الى الغلو المرذول ، فغالوا حتى مدوه الها .

وهكذا اخذت العقيدة تفسد ، وكان العامة بين حبلين قويين ، وكل حبل فى يد عصبة من اولى القوة ، فحبل التوحيد ، ومعه العقل ، ومعه الأصل ومعه السيادة للتوحيد ، وحبل آخر قد أخذ يجتذب العامة اليه بقوة ، وعمل على اخذهم بعاملين : عامل الاستهواء جاء من الناحية التى يحبونها ، وأرضى شهوتهم فيها ، وهى ناحية تقديس المسيح عليه السلام ، واخذ يلقى تعاليمه فى النفوس ، وقد وضعها فى ذلك اللون الشهى ، وذلك الطعم المستساغ .

العامل الثاني : عامل السلطان والجاه بتقريب من يقول مقالة تاليه المسيح وادنائه من ذوى السلطان ، وتمكينه من الرقاب ، وتقريبه من لا يقول هذه المقالة ، واضطهاده ، وابعاده عن حظيرة المسيحية ، ولعنه وطرده وتصويره للناس بصورة من لا يقدس المسيح ، ولا يرجو له وقارا واجلالا .

كان العامة بين هذين العاملين مع لدد الكتب المسيحية القاطعة في الاستدلال والتي تقف المغالين عند حد الاعتدال . وقد كانت نغمة التوحيد هي الراجحة ، حتى بعد مجمع نيقية ، ولكن جاءوا بعد ذلك ، واخفتوا صوت المنادين بالتوحيد وحيل بينهم وبين ما يدعون اليه . ولم يمكنهم من أن تصل دعوتهم الى العامة فصار العامة بعد ذلك لا يسمعون الا جانبا واحدا ، وخاضعين لعامل واحد ، وهو الخروج من نطاق التوحيد ، فتم للحكام والقسيسين ما ارادوا واختفى دين المسيح عليه السلام . وقام دين البطارقة والقسيسين .

الفرق القديمة فى عهـد التثليث

١٠٣ — بعد مجمع نيقية أبعد التوحيد رسميا عن الديانة المسيحية، وان كان اتباعه أكثر عددا ، وأعز نفرا ، ولم تستطع الحكومة الرومانية ان تقضى على التوحيد بذلك المجمع ، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرياسة فى الكنائس ، ولا تجعل صوتهم يصل الى الشعب بالنفى والتشريد ، وكل ذرائع الأذى والاضطهاد ، حتى حيل بين العامة وبين سماع صوت التوحيد ، ونعل الزمن فعله ، وتغلبت الظلمة على النور ، واخفى ظلام الليل نور النهار الساطع . وعندئذ كانت الفرق التى تظهر بعد ذلك فى ظل الوهية المسيح فى الجملة ان استثنينا مقدنيوس وفرقته .

فرقة مقدونيوس :

واول فرقة ظهرت فى ذلك العصر فرقة مقدونيوس هذا ، فقد أنكرت أن يكون روح القدس الها ، وقاومت ما ترمى اليه الكنيسة العامة من فرض تلك الالوهية ، ودعوة الناس اليها ، وحثهم على اعتناقها ، ولعل مقدونيوس هذا كان من الموحدين الذين لا يزالون يعتنقون التوحيد ، ويتابعون فى ذلك اريوس وسائر الموحدين . وأن كانت الغلبة لغيرهم ، فحاله أن يبدأ الأساقفة بتاليه المسيح ويثنون بتاليه الروح القدس ، فجاهر بالنكار الثانى ، لانه لم يعد فى قوس الصبر منزع .

يقول ابن البطريق : « وفى عشر سنين من ملكه (قسطنطين ابن قسطنطين الثانى) صير مقدونيوس بطريركا على القسطنطينية ، وكان يقول : ان روح القدس مخلوق ، واقام عشر سنين وملت » .

لكن مقالته لم تمت بموته ، بل كان له اتباع واشياع وخصوصا من بين الموحدين الذين لم يزولوا من المملكة الرومانية ، وان اصبحوا فى الجملة لا سلطان لهم .

لاجل ذلك انعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ، وقد ذكرنا بعضا من قراراته ، وكان المقرر والمناظر والمجادل فى هذا المقام بطريرك الاسكندرية مهد الافلاطونية الحديثة ، كما نوهنا آنفا ، ويسمى المقدونيين الابوقياريين فقد جاء فى كتاب سوسمنة سليمان فى بيان المجمع القسطنطينى:

« المجمع القسطنطيني المنعقد سنة ٣٨١ بأمر ثيودوس الملك ضد الابولناريين ، وهم المقدونيون المنكرون للاهوت الروح القدس » .

ويعتقد الكنسيون إن انكار الوهية الروح القدس وليد من مذهب الموحدين ، فيقول صاحب تاريخ الكنيسة ، وقد انبعث من جوف هذه الارطقة (رأى أريوس) أرطقة أخرى لم تكن اقل منافضة للثالوث الاقدس فكانت تنكر الوهية الروح القدس ، وكان منشئها مقدونيوس ، وهو نصف أريوسي قد اختلس كرسي القسطنطينية واحتجب مدة سنين عديدة تحت رداء المذهب الاريوسي ، ولم تكن له شهرة خصوصية في بهوة الاسجاسي التي أحدثها الاريوسيون » . وهذا زعم له نصيب من الواقع ، لان الذين ينكرون الوهية المسيح ، ويعتقدون التوحيد الصحيح لا يقرون بالوهية الروح القدس .

ولكن يجب ان يلاحظ انه في الوقت الذي انكر فيه مقدونيوس لم تكن عقيدة التثليث قد أعلنت في مجمع عام ، وقد يكون موضع حديث البطاركة وتعاليم بعضهم كون الروح القدس الها ، فتصدى مقدونيوس لانكار ذلك ، وتلقى الناس كلامه بالقبول ، ولذا لم ينعقد المجمع للرد عليه الا بعد أن مات بعدة سنين .

النسطوريون :

١٠٣ — هذه النحلة تنسب الى نسطور ، وقد كان بطريرك القسطنطينية ومكث في هذا المنصب اربع سنين وشهرين ، وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد الها ، بل ولدت فقط الانسان ، وهو بذلك يرى ان الاقنوم الثاني ، وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين ، بل كان يرى إن مريم ولدت الانسان فقط ، ثم اتحد ذلك الانسان بعد ولادته بالاقنوم الثاني ، وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلهما شيئا واحدا ، او ذلك الاتحاد ليس اتحادا حقيقيا ، بل اتحادا مجازيا . لان الاله منحه المحبة ، ووهبه النعمة ، فصار بمنزلة الابن ، وهذا التخريج لا شك يؤدي الى ان المسيح الذي خاطبهم وكلمهم ، وحوكم وعوقب في زعمهم ، لم يكن فيه عنصر الهي قط ، فلم يكن المصلوب ابن الاله .

وقد نقلنا فيما مضى عند الكلام على المجمع الثالث أن صاحبة كتاب

تاريخ الامة القبطية تقرر ان كلام نسطور معناه ، او يلزم منه حتما ، انكار الوهية المسيح .

ولما قال نسطور ذلك القول كاتبه كيرلس بطريرك الاسكندرية ، ويوحنا بطريرك انطاكية فى ذلك الابان ، ليعدل عن رايه ، فلم يصغ اليهما ، ولم يجب طلبهما ، فانعقد مجمع افسس سنة ٤٣١ ، وقرر لعنه وطرده ، واثبات ان مريم العذراء قد ولدت الاتسان والاله .

وقد بينا ذلك القرار ببعض التفصيل عند الكلام على ذلك المجمع .

ولقد ابعد ذلك نسطور عن منصبه وثنى ، فصار الى مصر واقام فى اخميم الى ان مات .

ويقول ابن البطريق : « كانت بقالة نسطور قد اندثرت ، فاحياها من بعده بزمان يوصوا مطران نصيبين فى عهد قباذ بن فيروز ملك فارس ، وثبتها فى الشرق ، وخاصة اهل فارس ، ولذلك تكاثرت النسطورية فى الشرق ، « فى العراق والموصل والجزيرة » . ولا يزال الى الآن فى الاماكن التى يذكرها ابن البطريق نسطوريون ينتحلون هذه النحلة ويأخذون بهذا المذهب .

ويقول صاحب سوسنة سليمان : « ان النسطوريين فى هذا العصر يسمون الكلدان يسكنون خاصة فيما بين النهرين ، والبلاد المجاورة لهما ، ولهم تعاليم كثيرة مختصة بهم ، غير انهم يمتازون عن باقى المذاهب باعتقادهم ان نسطوريوس حرمه مجمع افسس ظلما . اضف الى ذلك اعتقادهم بانه لم يكن فى المسيح طبيعتان بل اقنومان ايضا ، وكان يحسب هذا المعتقد فى الزمن القديم ضلالا مبينا ، واما فى هذا الزمان فيحسبه العلماء ، حتى الكاثوليك الرومانيون ، غلطا لفظيا لا معنويا ، لان هؤلاء الكلدانيين يعتقدون ان فى المسيح اقنومين ، كما ان فيه طبيعتين ، ويقولون ايضا بان هذين الاقنومين ، وهاتين الطبيعتين قد التصقتا حتى صار منهما رؤية واحدة » .

وهذا الكلام يدل على امرين : احدهما ان الكنيسة الرومانية التى كانت تشدد فى القرون الخالية فى طرد كل من يخالف معتقدها ، وتعده كافرا لا يلج الايمان قلبه قد تساهلت فى هذه الاعصر ، فوسعت صدرها للمخالفين لها ، وتاولت لهم ، لتعظمهم فى خطيرتها بعد سابق الحرمان والطرد واللعن والتكفير .

ثانيهما : أن النسطوريين قد انحرفوا عن مبادىء نسطور ، لأن نسطور كما قررت صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية ، وكما قرر ابن البطريق لا يرى أن الاقنوم الثانى مازج المسيح قط ، بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة لا بالحقيقة ، واستنبطنا كما استنبط غيرنا أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الالهى خلوا تاما ، وهو يصرح بأن مريم ولدت الانسان فقط ، بينما غيره يقرر أنها ولدت الاله والانسان ، وهذا اختلاف جوهرى فى الحقيقة والمعنى لا فى الشكل واللفظ ، واذا كان النسطوريون فى هذا الزمان قد قالوا بامتزاج اللاهوت فى الناسوت كما يقول غيرهم ، فقد انحرفوا عن مقالة نسطور .

والنسطوريون يقيمون كما ذكرنا فى بلادهم بلاد العراق والموصل ، ومنهم طائفة تقيم فى الهند ، وأخرى تقيم فى بلاد العجم ، وهم جميعا يلتزمون بتقاليد وطقوس دينية مما يلتزم به عند غيرهم من الكنسيين ، وليس عندهم من تقليد الا أن اساقفتهم يلتزمون التبتل ، والامتناع عن الزواج ، وذلك منذ سنة ١٨٣٠ م وهذا كما جاء فى كتاب سوسنة سليمان.

اليعقوبيون :

١٠٤ — هم اتباع يعقوب البراذعى ، وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الاله بعنصر الانسان وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت ، ونسبة ذلك المذهب الى يعقوب البراذعى لأنه من أنشط الدعاة اليه ، لا لأنه مبتدعه ومنشئه ، فان ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا ، فان أول من أعلنه بطريرك الاسكندرية فى منتصف القرن الخامس الميلادى .

وبسبب ذلك الاعلان انعقد مجمع خليكدونية ، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة ، وبسبب ذلك القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية . أما يعقوب فقد وجد فى القرن السادس الميلادى ، ويقرر صاحب سوسنة سليمان فى اطلاق اسم اليعقوبيين على أصحاب هذا الرأى « يطلق عليهم اسم يعقوبيين نسبة الى يعقوب البراذعى الذى اعاد هذه الشيعة ، ورتبها فى القرن السادس للتاريخ المسيحى ، بعد أن كانت تتلاشى » .

وقد فصلنا الكلام فى هذه النقطة والأدوار التى مرت عليها عند الكلام فى مجمع افسس الثانى الذى تسميه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص.

في مجمع خليكدونية فلا نعيد ما ذكرناه ، حتى لا نقع في التكرار الممل .

والذين يقولون ان المسيح ذو طبيعة واحدة ، ينقسمون الى آسيويين وافريقيين ، ولكل قسم رياسة دينية خاصة به .

فرئيس الآسيويين هو بطريرك السريان ، ومن هؤلاء الآسيويين من اقترنوا برياسة الكنيسة الكاثوليكية ، فقبلهم وان استمروا على رأيهم .

ورئيس الافريقيين هو بطريرك القبط المقيم بالقاهرة ، ويتبعه في هذه الرياسة سكان الحبشة المسيحيون ، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية ، وهو يعين لهم اساقفتهم بسوسهم .

ومن الذين يعتقدون ان المسيح ذو طبيعة واحدة — ويتحدون مع الكنيسة القبطية في ذلك الاعتقاد ، ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس ، ولهم بطاركة يراسونهم ، ولا يندمجون في كنيسة للقبط ، ولا كنيسة السريان بآسيا — الارمن .

المارونية :

١٠٥ — هم اتباع يوحنا مارون ، وقد اشتهر يوحنا هذا برأيه سنة ٦٦٧ ، ودعا اليه وشايعه بعض القسيسين فيه ، ومعهم بعض من مسيحيي آسيا ، وهو ان المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو ارادة او مشيئة واحدة ، ومن اجل هذه النحلة الجديدة لجتمع المجمع العام السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ من بعد الميلاد ، وقرر حرمان مارون ، ولعنه وتكفيره وكل من يذهب مذهبه ، وينتحل نحلته ، وقد اشرنا الى ذلك المجمع ، ونقلنا لكم قراره في المذهب ، فلا نعيد نقله .

ويظهر ان المنتحلين لهذا الرأي لم يكونوا ذوي شوكة وقوة حتى يكونوا بمنجاة من الاذى والاضطهاد ، فقد نزلت بهم اضطهادات شديدة لم يكن لهم من يدفعها عنهم الا الفرار ، فلم يجدوا لهم ملجأ يعتصمون به الا بعض البلاد في جبل لبنان ، فاعتصموا بها ، وقد استمروا على اعتصامهم وبعدهم ، حتى ادنتهم اليها الكنيسة الرومانية وقربتهم منها ، واعملت الحيلة والسياسة ، حتى يعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والاتحاد معها على ان يبقوا على رأيهم ، ولقد كان اتحادهم مع الكنيسة الرومانية سنة ١١٨٢ بعد الميلاد ، وما زالت هذه الطائفة متوطنة بجبل لبنان ، ولها بطريرك خاص ، ولو كانت تقر بالرياسة لبطريرك روما .

الكنيسة الشرقيـة والكنيسة الغربيـة

أساس انقسام الكنيسة الى شرقية وغربية :

١٠٦ — كان فيما ذكرناه أعظم الانقسامات القديمة شأنا ، وأبعدها أثرا ، ان استثنينا الكنيسة القبطية ، انقسام الكنيسة الى يونانية ولاتينية وما يتبع ذلك الانقسام من انشقاق فى المسيحية كلها ، وما تفرع عن الأولى من فروع وفرق ، وانا نكتفى بهذا القدر من القول فى الفرق القديمة التى ما زال منها بقايا الى أيامنا الحاضرة ، ونختم القول فيها بانقسام الكنيسة الى يونانية شرقية ولاتينية غربية ، وقد نوهنا الى الانقسام عند الكلام فى المجامع ، واشرنا الى أسبابه بالاجمال .

وقد تبين من هذا أن أساس الخلاف بين كنيسة القسطنطينية التى آلت اليها رياسة الكنيسة الشرقية اليونانية قاطبة ، وكنيسة روما التى آلت اليها رياسة الكنيسة الغربية اللاتينية أمران :

أحدهما — يتعلق بالاعتقاد — وهو أن كنيسة القسطنطينية ومن والاها من بعد اعتقدوا ان الروح القدس من الآب وحده ، لا من الآب والابن ، وكنيسة روما ومن والاها قد اعتقدوا ان الروح القدس منبثق من الآب والابن معا ، وعقد كل فريق مجمعا شايع اعتقاده وتابعه فيما اقتنع به ، وكان المجمع المشايع لروما سنة ٨٦٩ ، والمشايع للاخرى بعده بعشر سنوات سنة ٨٧٩ .

ثانيهما — لا يتعلق بالاعتقاد — ولكن يتعلق بالرياسة الكهنوتية ، أهى لكنيسة القسطنطينية أم لكنيسة روما ؟ لقد قرر المجمع الذى شايع روما أن تكون لروما ، لرئيس كنيستها هو الحبر الأعظم والرئيس الروحى للمجمع ، وقرر المجمع الذى شايع القسطنطينية رفض تلك الرياسة وعدم الاعتراف بها ، ويعتبرون رئيس القسطنطينية رئيسا عاما للكنيسة .

ولقد تبع هذا الاختلاف فى هاتين المسألتين الرئيسيتين خلاف فى مسائل أخرى أوجدها تتابع السنين واستمرار الشقاق ، فقد كثرت أوجه الاختلاف فى مسائل فرعية منها :

١ — استعمال الفطير فى العشاء الربانى بدل الخبز ، فان ذلك أقرته الكنيسة الغربية ، ولم تعترف به الكنيسة الشرقية .

٢ — أكل الدم والمخنوق ، فان الكنيسة الغربية أباحته وهو مخالف لمجمع الرسل فى أورشليم الذى انعقد بعد مفارقة المسيح بنحو اثنين وعشرين سنة .

٣ — أكل الرهبان دهن الخنزير ، فهو مباح عند الكاثوليك دون الكنيسة الشرقية .

٤ — لبس الأساقفة الخواتم فى أصابعهم وحلق الكهنة لحاهم .

وجاء فى حاشية لكتاب سوسنة سليمان ما نصه : « يوجد اختلافات غير هذه بين الروم واللاتين لم يصرح بها هؤلاء البطاركة . وربما كان ذلك لكونها ما كانت تحددت وتتخذ كقاعدة دينية فى كنيسة روية ، كالمطر الذى لم يثبت الا فى مجمع فلورنسا المنعقد فى سنة ١٤١٩ ، ثم أوجب قبوله على كل الكنائس الغربية المجمع الترينتينى فى القرن السادس عشر .

اما الفرق بينه وبين عقالات جهنم التى يقررها الروم ، فهو ان المطهر نار مطهرة يتخلص منها الخاطىء بعد أن يقاص فيها بمقدار جرم ذنوبه .

اما عقالات الجحيم ، وهى نظير حبس يقيم فيه الخطاة الى يوم الدينونة الذى به ينالون القصاص الأبدى فى جهنم ، والصلوات التى يقدمونها لأجل الموتى ، يعتقدون انها تلطف نوعا أحوال هذا الحبس عليهم تلطيفا وقتيا فقط .

وكذلك منع الشعب من الاشتراك فى الكاس اذا لم تثبته كنيسة رومية الا فى مجمع كنستانس سنة ١٤١٥ » .

تقادم الزمن يوسع الخلاف :

١٠٧ — كان كلما تقادم الزمن على النقطة التى ابتدأ منها الخلاف اتسعت فرجاته ، وكبرت زاوية الافتراج ، وكلتا الكنيستين ذات بأس وقوة ، وكانت فى القديم لها دولة تحميها ، اذ كانت دولة الرومان منقسمة الى شرقية وغربية . فكان استقلال كل واحدة من الدولتين وانفصالها عن الأخرى مما أكد الفرقة وقوى الانقسام .

ولقد كان يأتي الفينة بعد الأخرى صوت يدعو الى الوحدة والالتئام بدل الاستمرار على الفرقة والانقسام ، فتعقد لأجل هذا مجامع ، وترسل الوفود . ولكن ما ان يتلاقى المتخاصمان ، حتى تعاد اسباب النزاع جذعة، اذ كل واحدة ترغب في أن تنزل الأخرى عن رأيها ، فتلاحى كل واحدة مما تعتقد ، فيشتد الجدل ، ويحمى وطيس القول ، فتفترقان ، وقد زادت القطيعة قوة واحتداما .

محاولة ازالة الخلاف :

حاول احد بطارقة روما في منتصف القرن الحادي عشر أن يجمع الشتات ، ويلم الشمل ، وعرض مبادىء تكون اساسا للمصالحة ، رفضها بطريرك القسطنطينية ، واصدر الأول قرارا بحرمان الثاني ، فاصدر هذا قرارا بحرمان الوفد الذي عرض عليه الشروط .

وهكذا ازدادت الفرقة بسبب ذلك التلاقي ، وأغرى الله بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، ويظهر أن السبب في ذلك ما تعتقده كل واحدة منها ان الأخرى خارجة على الدين ، ورغبة كل واحدة في أن تجتذب الأخرى اليها كما بينا .

انتقاد مسيحي للكنيسة الغربية :

ويقول في ذلك صاحب سوسنة سليمان : « ان الكنيسة الرومانية تدعي أن كل المذاهب المسيحية على وجه الاطلاق هي شيع هرطوقية خارجة منها ، ومنفصلة عن شركتها . وهذه الدعوى تصح لأية كنيسة لكنها ان ثبتت لذاتها الأقدمية في الثبات على المعتقدات الصحيحة الأصلية. أما كنيسة رومة ، فليس لها في هذه الدعوى الا الاستيلاء على أمانة مستودق التقليدات .

غير ان سلامة الذوق تقتضي بانه كلما قلت التقاليد في كنيسة من الكنائس دل على اقدميتها بالنسبة التي تزيد عليها فيما هو من هذا القبيل ، لأن التقاليد على ما يستبين من مجريات رومة قابلة للزيادة ، والزيادة احداث ، والاحداث في الدين لا ريب في انه بدعة ، والابداع هو من ما يسميه المسيحيون هرطقة » .

ونرى من هذا ان صاحب هـذا الكتاب ينتقد الكنيسة الغربية بكثرة، ولعل السبب فى ذلك النقد ليس مجرد الحق ، بل كونه ليس من مذهبها ، وإلا كان كل ما تقوله مقدسا لا بدعة فيه .

١٠٨ — وقد بينا البلاد التى تتبع الكنيسة الغربية ، وكانت فيما مضى كل اوربا تقريبا ، وبعض طوائف فى آسيا .

بطارقة الكنيسة الشرقية :

اما البلاد التى تتبع الكنيسة الشرقية ، فاكثرها فى الشرق كما اسلفنا من القول ، ولها بطاركة .

اولهم بطريرك القسطنطينية ، وهو كبيرهم ويضيفون الى لقبه وصفه انه البطريق المسكونى ، ويقول صاحب مسوسنة سليمان : « انه ليس الا لقبا تشريفيا فقط ، فليس له تسلط على غيره من البطارقة او الاساقفة المستقلة بوجه تاقوتى اصلا » .

ويليه فى الرتبة والمكانة الدينية بطريرك الاسكندرية للأروام الارثونكس ثم بطريرك انطاكية ، ثم بطريرك اورشليم ، ثم المجمع الروسى، ثم عدة مجامع لاسقفيات مستقلة اخرى كاسقفية اثينا ، واسقفية قبرص وغيرهما .

وقد ظهرت فى روسيا التى كانت تسودها هذه الكنيسة شيع وفرق كثيرة بلغ عددها نحو مائتى نحلة ، وتعداد اصحاب هذه الفرق الجديدة مجتمعة لا يزيد عن خمسة عشر مليونا .

فمنهم فرقة لا ترى تعميد الاطفال ، ومنهم شيعة تحض للنصرانى ان يقتل نفسه فى حب المسيح ، ومنهم شيعة يحرقون انفسهم لتعمدهم النار ، ليتطهروا بها ، ومنهم شيعة تلتزم الختان باعتباره كان المسيحية الاولى ، وفى التوراة التى تعتبر النصرانية مجددة لها ، وهكذا تختلف النحل وتتباين ، وكل واحدة تعتقد أن رأيها هو محض الحق المبين .

الاسلام يظلل الكنائس الشرقية بالحرية الدينية :

١٠٩ — ذكرنا أن العلاقة بين الكنيستين على اشد ما يكون الخلاف ، كل تعد الاخرى قد خرجت عن نطاق الدين ، وقد كانت الحال من قبل كذلك بين كنيسة القبط بمصر والكنائس الأوربية . ونزل بمصر اشد البلاء ، ولم ينقذهم الا الفتح الاسلامى ، فمن وقت حكم المسلمين لمصر والشام الى الآن شعر المصريون بحريتهم التى لم يستمتعوا بها من قبل ، حتى اهداها اليهم الأسلام السمح الكريم .

ولما اختلفت الكنيسة الغربية مع الكنيسة الشرقية كان من المنتظر أن تنزل احداهما بالاخرى اشد البلاء ، ولكن ذلك لم يتم اول الأمر لانقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية ، واعتصام كل واحدة منهما بدولة ، لذلك لم تتمكن واحدة منهما من رقبة الاخرى . فلم تقبض على ناصيتها .

ولكن لما اخذت الدولة الشرقية فى الانحلال ، وخلفها المسلمون على بعض املاكها ، واخذوا يقتصونها من اطرافها . اخذت ترجح احدى الكفتين على الأخرى فقويت الغربية ، وصارت لها السيادة . واعترف بطريرك القسطنطينية له بالتقدم عليه فى الجلسة ، وان لم يعترف بانها على حق فيما يختلفان فيه ، وما اختلفا فيه من قبل ، والبلاد التى اقتطعها المسلمون كانت تنعم بالحرية الدينية كشان المسلمين فى معاملتهم لغيرهم .

ولما جاءت الحروب الصليبية ، استولى الصليبيون على أورشليم التابعة كنيستها للكنيسة الشرقية وغيرها من المدن الاسلامية التى يعيش فى ربوعها المسيحيون آمنين مطمئنين ، لا يزعجهم اضطهاد ، ولا يرنق صفاءهم ضغط ، ثم ثنى اولئك الصليبيون اتباع الكنيسة الغربية ، فاستولوا على دولة الرومان الشرقية نفسها ، فانزلوا باخوانهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون .

ولنترك الكلمة للمسيحى صاحب سوسنة سليمان ، فهو يقول : « حرك البابا اتوسنت الثالث قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونان ، فافتتحوا القسطنطينية سنة ١٢٠٤ ، ودام متسلطين عليها الى سنة ١٢٦١ م فاستعملوا ما امكنهم من البربرية فى الاراضى التى

املكوها من بلاد سورية وفلسطين ، ليخضعوا بطارقة أورشليم ، وجميع الاكليرس اليونانى بواسطة الحبس واثقال الكنائس الى أن أحوجوهم أن يفضلوا مودة العرب حكام البلاد الاصليين على موادتهم ويختاروا تسلط شعب برضى بجزية على أن يتسلط عليهم ملك روحى طمعه وطمع قصاده لا يشبعان » .

حينئذ احس اولئك المسيحيون بنعمة الاسلام عليهم ، ونعمة حكم المسلمين لهم ، فقد سامتهم الكنيسة الغربية وملوكها الخسف والهوان ، وتقبوا عن قلوبهم ، وبحثوا عما تكنه الصدور ، ولكن نعمة الاسلام كانت تلاحقهم ، فلم ينقض زمن طويل ، حتى جاءهم الاسلام فى القسطنطينية واعطاهم الامن والدعة والقرار والاطمئنان ، حتى لقد قالوا كما حكى صاحب البوسنة : « عمامة السلطان محمد الفاتح ، ولا تاج البابا المثلث » .

وهكذا كان الاسلام رحيما تسع رحمته المخالفين .

الفرقـــة الحديثة « البروتستانت » (١)

أو الاصـــــلاح الديني

حال الكنيســـة قبـــل الاصـــلاح :

شدة الكنيسة على الناس والعلماء :

١١٠ — اشتد ضغط الكنيسة الكاثوليكية على المسيحيين ، وبالغت في فرض آرائها عليهم مبالغة تجاوزت حد الغلو ، ولم تسلك في ذلك سبيل الموعظة الحسنة ، والدعوة الصالحة ، والارشاد القويم ، ومخاطبة الأرواح والنفوس ، وتمكينها من ان تتبعها ، وهي حرة مريدة مختارة ، بل سلكت سبيل العنف وركبت متن الشدة ، فجعلت كل راى في العلوم الكونية يخالف رايها كفرا ، ولا تدعو معتنقيه الى الهداية ، وترشده الى الرشاد ، كما يليق برجال الدين مع من يرونه ضـــالا ، بل تكفر لاوهى الأسباب ، وتحرق أو تعذب من تراه كافرا بلا رفق ولا مواددة .

فهـذا المجمع الثاني عشر من مجامع الكنيسة وهو المجمع المسمى باللاتراني الرابع المنعقد سنة ١٢١٥ يقرر استئصال الهراطقة ، ويعنون بذلك كل من يرى رايا مخالفا للكنيسة ، ولو كان رايا في الكون أو طبائع الاشـــياء ، ولم تكتف الكنيسة بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها ، بل اخذت تنقب على القلوب وتستكنه خبايا النفوس ، وتكشف عن سرائر النـــاس بما اسماه التاريخ محاكم التفتيش ، التي دنست تاريخ الاديان بما ارتكبت من آثام ، وما أزهقت من أرواح ، وما سفكت من دماء ، وما عذبت من احياء .

---

(١) سمى الذين اعتنقوا مبـــدا الاصلاح الكنسي ، وخرجـــوا على الكنيسة الكاثوليكية بروتستنت ، لانهم عندما اريد تنفيـــذ قرار الحرمان عليهم اعلنوا احتجاجا يســـمى بالانجليزية برتست ، فسمى الذين امضوا القرار بروتستنت ، اى المحتجين .

وان جهر رجل من رجال الدين بالدعوة الى الاصلاح ، داعيا رجال الكنيسة الى اخذ الناس برفق ، وحاثا رجال الدين على الاخذ بهديه كان عقابه الحرمان والقتل .

حدث فى أوائل القرن الخامس عشر أن احس اساقفة فرنسا بوجوب اصلاح حال البابوات ، فانعقد لذلك مجمع مؤلف من ١٥٠ اسقفا ، و١٨٠٠ من رجال الدين ، ولكن هذا المجمع انتهى فى قراراته بالأمر باحراق يوحنا هوس مصلح كنيسة بوهيميا ورفيقه جيروم .

ولقد حرق وعذب فى هذا السبيل علماء استشهدوا فى سبيل العلم بسبب مظالم تلك الكنيسة ، وضيق صدر القوامين عليها .

ومما يذكر فى هذا ان احد العلماء واسمه ابيلارد كان له راى فى تكفير المسيح عن خطيئة آدم خالف به راى الكنيسة فقال : ليست حياة المسيح وصلبه وما لاقى فى ذلك من تعذيب سبيلا لارضاء الله وانزال عفوه عن خطيئة الانسان ، فعفو الله ايسر من ذلك واقرب ، وانما لاقى المسيح ما لاقى اعلانا لما يكنه قلبه من حب الله ، وعسى أن يثير فى الناس عاطفة الشكر وعرفان الجميل ، فيعيدهم الى طاعة الله . ولكنه ما أن قال ذلك القول حتى انعقد مجلس لمحاكمته ، فكان نصيب كتبه التحريق ، ونصيبه السجن الدائم ، حتى وافته منيته .

وجاليليو يرى رايا فى الكون فيسجن لذلك الراى ، مع ان رأيه ليس من أمور الدين فى شىء .

فرض سلطانها على الملوك :

١١١ — بالغت الكنيسة فى شدتها ، كما رايت ، ولم يلج حتى الملوك من طغيانها ، فقد كان انقسام الدولة الرومانية الغربية الى ممالك مختلفة ، واعتبار كل مملكة وحدة سياسية لا تتصل بالاخرى الا اتصال محبة وسلام ، او حرب وخصام — كان ذلك سببا فى ان صار البابا لا سلطان لاحد من ولاة الامر عليه ، وقد تقرر هذا من بعد كما صار تعيين البابوات باختيار المجامع ، لا بتعيين ملك او امير ، مهما تكن قوته وسطوته وصار البابوات بعد تعيينهم غير خاضعين باى نوع من انواع الخضوع لاى ملك من الملوك ، وعلى النقيض من ذلك لهم هم السلطان الذى لا يرد على

كل مسيحي ، مهما تكن مكانته ، يستوى فى ذلك الأمير والخفير ، والراعى والرعية ، فليس لأى ملك سلطان على البابا ، والبابا له سلطان على كل ملك ، لأنه مسيحى ، وله السلطان الكامل على كل المسيحيين ، ولأن البابا خليفة لبطرس الرسول وبطرس الرسول اقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده ، فالبابا على هذا الأساس خليفة للمسيح ينطق باسمه ، ويتكلم بخلافته ، وينفذ بسلطانه ، ومن خرج من طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح ، وحارب دينه .

قرارات الحرمان تنال الملوك :

وبهذا المنطق فرضوا أوامرهم على الملوك ، كما فرضوها على سائر الناس ، ولذا لم ينج بعض الملوك من قرارات المجامع بحرمانهم ، وطردهم من حظيرة المسيحية ، ولعنهم ، فقد جاء فى كتاب موسنة سليمان : « المجمع الثالث عشر انعقد فى ليون من اعمال فرنسا سنة ١٢٤٥ بأمر البابا اينوسنت الرابع لأجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرمانه ، وهذا المجمع لم تسلم كنيسة فرنسا حتى الآن بصحته أو بسلطانه مطلقا » .

لم ينج اذن الملوك من قرارات الحرمان والطرد ، وان لذلك اثره فى نفوس شعوبهم ، كما أنه يحفز الملوك على العمل من جانبهم على حماية أنفسهم ، وهم فى ذلك لا يتمنعون عن ان يثيروا القالة فى رجال الكهنوت ، ويكبروا صغائرهم ، ويروجوا عنهم ما يحط من قداستهم ، حتى ينفردوا بالاحترام ، ولا يكون سلطان لأحد غيرهم .

١١٢ — هذه هى الكنيسة فى معاملتها للناس ، عنف وزجر وقسوة ، لا ارشاد وهداية واصلاح ، وهى تضرب كل من يعترض طريقها - لاتفرق بين سائس ومسوس ، وحاكم ومحكوم ، وراع ورعية .

وقد احتكمت لهذا بذوى السلطان ، فكان لابد من مغالبة بينهما . ولم يكن الأمر متصورا على الاذى البدنى تنزله بمن يخالفها ، ولو فيما ليس بينه وبين الدين نسب ، ولا يتصل به بسبب . بل تجاوز ذلك الى ارغاق المسيحيين باتاوات مالية يفرضونها ، وضرائب كبيرة يأخذونها ، وعلى ذلك صار المسيحيون قاطبة يئنون تحت نير ثقيل ، سواء فى ذلك من خالف ومن وافق ، فالمخالف بالعذاب يهرا به جسمه ، والموافق بالمال يثقل به ، وتفرض عليه ضرائب لأسباب غير معقولة وغير مقبولة احيانا وما يجمع

من أموال الفقراء والمحدودين التي حصلوا عليها بالكد والتعب يتوزعه رجال الدين بينهم ، ويلتقونه أمراما وبدارا في سبيل تحقيق رغباتهم ، وبذلك كانوا يجمعون المال من غير حله ، وينفقونه في غير حله أيضا ، وبذلك انغمسوا في شر ما في هذه الدنيا ، وتركوا لب الدين .

استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة :

١١٣ — ولقد احتجزت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم ، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس ، ولا معقب لها تقول في هذا التفسير ، أو في رأي تبديه ، أو أمر تعلنه ، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول وافق العقل أو خالفه ، وعلى المسيحي اذا لم يستسغ عقله قولا قالته أو مبدأ دينيا أعلنته أن يروض عقله على قبوله ، فان لم يستطع ، فعليه أن يشك في العقل ، ولا يشك في قول البابا . لأن البابا خليفة لسلسلة الخلافة التي بيناها .

ولقد كانت تعلن أمورا ما جاء بها الكتاب المقدس عندهم ، وما تعرض له المسيحيون الأولون ، لا المجامع الأولى ، وهي أمور غريبة جد الغرابة ، بعيدة عن القبول في أحكام العقل جد البعد ، وتلزم المسيحيين بها ، وتفرضها عليهم فرضا ، ومن قال كلمة فيها فالويل له ، ينزلونه به في الدنيا ولا ينتظرون حساب الديان في الآخرة .

وتذكر القارىء على سبيل المثال مسألتين كان لهما أثر في الفكر المسيحي ، وبسببهما هما وغيرهما تقدم المصلحون في جرأة ، داعين الى اصلاح الكنيسة بالحسنى او بغير الحسنى . هاتان المسألتان هما مسألة الاستحالة ، ومسألة الغفران .

مسألتا الاستحالة والغفران :

١١٤ — أما مسألة الاستحالة فالأساس فيها ما علمت في شرح الشعائر النصرانية ، من أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزا ويشربون خمرا ، ويسمون ذلك العشاء الرباني ، ولقد زعمت الكنيسة ان ذلك الخبز يستحيل الى جسد المسيح ، وذلك الخمر يستحيل الى دم المسيح المسفوك فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه ، وذلك أمر غريب في العقل ، لا يستطيع أن يستسيغه أحد

بيسر وسهولة ، بل لا يستطيع أن يستسيغه قط . اذ كيف يتحول الخبز لحما ، وكيف يصير لحم شخص معين معروف ، وكيف تتحول الخمر دما ، وتصير دم شخص معين معروف ؟ ذلك غريب . بل مستحيل التصور والقبول في العقل ، ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته ، والا عرضوا للطرد والحرمان . وهل ورد هذا الأمر في الكتب المقدسة ، حتى يجب الأخذ به من غير تفسير أو تأويل . انه أمر استقلت به الكنيسة واعلنته وأبنته في أحد مجامعها ، غير معتمدة في ذلك على نص صريح من الكتب المقدسة عندهم .

ولقد خالفت في بعض شأنه الكنيسة الكاثوليكية غيرها من الكنائس ، فالكنيسة الشرقية ترى أن العشاء الربانى لا يكون بالفطير ، بينما تراه الكنيسة اللاتينية ، ووجد من احرار الفكر من ينكرون هذه الاستحالة ، ويعتقدون انها غير ممكنة في العقل ولا سائغة في الفكر .

١١٥ — اما المسألة الثانية فهي مسألة امتلاك الكنيسة حق الغفران للمسيء في الدنيا ، فقد قررته الكنيسة حقا لنفسها في المجمع الثاني عشر ايضا .

وقد جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع في هذا الشأن : « انهى المجمع تعليمه فيما يتعلق بأمر الغفران فقال : « ان يسوع المسيح ما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات . وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذى نالته من العلا منذ الأيام الأولى ، قد أعلم المجمع المقدس ، وأمر بان تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحى ، المثبتة بسلطان المجامع » .

ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون ان الغفرانات غير مفيدة ، او ينكرون على الكنيسة سلطان منحها ، غير انه قد رغب في أن يستعمل هذا السلطان باعتدال واحتراز حسب العادة المحفوظة قديما ، والمثبتة في الكنيسة ، لئلا يمس التهذيب الكنسى قراح بفرط التساهل .

افراط الكنيسة في استعمال حق الغفران :

هذا قرار المجمع ، وفيه تمكين للكنيسة من سلطان قوى جبار ، وهو سلطان مسح الذنوب ، وغفرانها مهما يكن مقدارها ، ومهما تكن

قد دنست النفس ، واركست الثلب ، ولكنه قد اوصى الكنيسة بالاعتدال والاحتراس ، حتى لا يؤدى الافراط فى منح الغفران الى ترك التهذيب الدينى ، وهجر تعاليم الكنيسة ، والعبث بهدى الدين ، فهل أخذت الكنيسة بما اعطاها المجمع ، وراعت حق الرعاية ما اوصاها به من عدم الافراط فى الاعطاء والمنح ؟ لقد اتى حين من الدهر من بعد أن أعطى رجال الدين انفسهم ذلك الحق ، أن افرطوا فى اعطائه افراطا شديدا وانشاوا له صكوكا تباع وتشترى ، فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ، ومتعة من متعتها ، وبذل العصاة فى سبيلها المال ، وما كان عليهم من حرج فى أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات ، وينالوا ما تهوى الأنفس من معاص . ما دام ذلك يفتدى بمال قل أو جل ، وهذا نص صك الغفران الذى يباع بيع السلعة .

صورة من صك الغفران :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة ، وانا بالسلطان الرسولى المعطى لى احلك من جميع الخصاصات ، والاحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وايضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ،ومن كل علة ، وان كانت محفوظة لأبينا الاقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وامحو جميع اقذار المذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وارفع التصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وارجك حديثا الى الشركة فى اسرار الكنيسة واقرنك فى شركة القديسين ، وارجك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك ، حتى انه فى ساعة الموت يغلق امامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح ، وان لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الاخيرة باسم الآب والابن والروح القدس » .

هذه صورة من صور صك الغفران تذكر انها تمحو الآثام ، وتغفر ذنوب العاصى ما تقدم منها وما تأخر ، تغسله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ، ثم لا يصير قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ، ومهما ينغمس فى المعاصى . كان ذلك الصك جواز المرور الى النعيم المقيم ، لا يعوق حامله عائق ، ولا يرده عن الوصول خازن أو حارس .

هذا ما يدل عليه الصك ، وهذا ما كانت تحاول الكنيسة أن تلقيه فى روع الناس تمكينا لسلطانها ، ورغبة فى نقودهم التى يبذلونها للكنيسة فى سبيل الحصول على ذلك الصك الذى يكون سر الامان ، وطريق الوصول الى الغاية .

لقد ابتدات الكنيسة صك الغفران بمسألة الاعتراف بالذنوب عند الموت والتوبة ، ثم تولى القسيس مسح هذه الذنوب والشخص لم يودع الدنيا . ثم انتقلت من ذلك الى ان جعلت لنفسها الحق فى الغفران ، والشخص قوى يستقبل الحياة ، ولا يودعها ويقبل على متعها ، ولا يدبر عنها ، وغالت فجعلت لنفسها غفران ما تقدم وما تاخر من الذنوب ، ثم اغرقت فى المغالاة فاتخذها رجال الدين بابا من ابواب الكسب للكنيسة . ثم انهم ينفقون ما يجمعون من مال فيما يحله الدين والاخلاق ، وما قد يحرمانه ، وبذلك طم السيل ، حتى جاوز الحزام الطبيين .

سلوك رجال الدين الشخصى :

١١٦ — وهل كان رجال الدين فى سلوكهم الشخصى ، وفى استمساكهم بعروة الاخلاق ، وهدى الدين يستحقون ان يبذل الناس فى طاعتهم ما يبذلون ويروضوا انفسهم على الخضوع لآرائهم ، وقبولها بقبول حسن ، متهمين العقول ان حاولت التمرد والعصيان ، لان حال رجال الدين بعيدة عن الظنة ، منزهة عن الريبة ، قد سموا بأنفسهم ، حتى سادوا فى العلو القديسين والشهداء والصالحين ، وجعلوا انفسهم عنوان العفة ، وبخع النفس عن الشر ، وافتدوا الفضيلة بانفسهم أو عرضوا انفسهم للفداء كما كانوا يرون أن المسيح قد فعل من قبل ؟ لقد كانت حال رجال الدين تحوطها الريب من كل جانب ، وتاخذهم الانظار المتعقبة من كل ناحية من نواحى الحياة . جرموا على انفسهم الزواج اذ ساءت الرهبانية وسيطرت على نفوسهم ، فجعلوا زواجهم حراما ، لينصرفوا لخدمة كنيسة الرب ، ويقوموا على سدانتها ، ويرعوها حق رعايتها ، ولكن ما ان تورمت عليهم الاموال ، وكثرت امامهم اسباب النعيم ، حتى نكصوا فيها متوغلين وانغمسوا فى الملاذ يستطيبون اطيبها ، ويطلبون اشدها ، ولما مكنوا لانفسهم من السلطان ، اندفع بعضهم فى طلبها اندفاعا ، ومنهم من استبق فى سبيلها استهتارا ، وخرجت حال بعض اولئك المتغمسين فى الخطايا من

السر الى الجهر ، ومن التستر الى التفحش ، ومن الخفية الى الاعلان ، واتصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح ، بعد ان حرموا على انفسهم النكاح؟ ولم تتمنع النساء المتصلات بهم من أن يعلن ذلك مفاخرات به ، وجاء من ذلك الاتصال الآثم اولاد لا آباء لهم ، ولكن لهم حظوة ، لأن بعض رجال الدين يعرفون آباءهم ، كما يعرفون أبناءهم ، فيمكنون لهم بسلطانهم الديني سلطانا دنيويا .

ولقد كانت تلك الحياة اللاهية العابثة الفاسقة ميزة اختص بها بعض رجال الطبقة العالية الدينية انفسهم ، اما النحوت من رجال الدين فى قفر مدقع ، وفى حياة هى أقرب الى الدين المسيحى من حياة كبرائهم ، وذوى السلطان فيهم وفى الشعب .

ابتداء الاصلاح :

١١٧ — هذا سلطان الكنيسة ، وتلك حال رجالها ، يتدخلون فى كل شىء ، ينقبون عن القلوب ، وقد سترها ستار الغيوب ، ويرهقون من يتهمونهم بأقسى أنواع العذاب ، ويفرضون سلطانهم على الراعى والرعية ، حتى يتطيل من تحكمهم الملوك والأمراء ، ونوو الفكر من الشعوب ويجبون الاتاوات ويفرضون الضرائب حتى كأنهم الجباة العشارون لا رجال الدين المهذبون ، ويعطون انفسهم حق مسح الخطايا بعد اعتراف المذنب فى آخر ايامه فى الدنيا ، وأول ايامه فى الآخرة ، ثم يفالون ، فيمنحون انفسهم حق غفران الذنوب السابقة واللاحقة للقوى الصحيح ، ويكتبون فى ذلك صكوكا يبيعونها بثمن قليل او كثير ، ثم يقتنون أو بعضهم حياة كلها لهو ، وحولهم الناس ينظرون .

ولقد بلغ السيل الزبى فى العصر المشهور فى التاريخ الاوربى بعصر النهضة ، وفيه نهضت الارادة الانسانية ، والعقل الانسانى يفرضون وجودهما ، وفيه استطاع الاوربيون أن يروا نور الله فى الاسلام ، والتدين الحقيقى فيما يدعو اليه هذا الدين ، اذا اتصل الشرق بالغرب فيما قبس الغرب من دراسات يلقاها على أساتذة من المسلمين بشكل خاص ، ومن الشرقيين بشكل عام ، وفيه علم ان لا سلطان لأحد من رجال الدين على القلب ، وان لا وساطة بين الله والعبد ، وان الله قريب ممن يدعوه ، ويجيب دعوة الداعى اذا دعاه .

دعوة بعض رجال الدين الى الاصلاح :

حينئذ اخذت الانظار المتربصة تحصى على رجال الدين ما يفعلون، ووجد من بينهم من استنكروا حالهم ، واخذوا يدعون زملاءهم الى اصلاح حالهم ، ليردوهم الى حكم دينهم قبل أن يفوت الوقت ، وقبل أن ينفض الناس ، وقبل أن يحملهم العامة على الاصلاح .

ولقد جاهر بذلك جيروم وهوس ، ولكن كان نصيبهما ان أعدما بحريتهما بالنيران ، وكان ذلك بقرار من مجمع كونستانس الذى انعقد من سنة ١٤١٤ الى سنة ١٤١٨ ، ولقد قرر ذلك المجمع قتل هذين العالمين حرقا بالنار ، لانهما دعوا الكنيسة الى عدم الاخذ بما يسمى سر الاعتراف ، مبينين ان الكنيسة ليس لها سلطان فى محو الاثم او تقريره ، وانما التوبة مع رحمة الله هى التى تمحو الآثام ، وتطهر النفس من الخطايا ، ولقد تقدم الى المجمع يوحنا هوس ليدافع عن آرائه ، وهذا ما قاله كاتب متعصب للكاثوليك فى ذلك الدفاع :

« لدى دخوله اخذ يعلن غواياته قبل انتظاره حكم المجمع على تعليمه فقر الراى على القساء القبض عليه ، وفوض المجمع الى بعض اعضائه أن يفحصوا مؤلفاته والحوا عليه أن يقلع عنها ، ولكنهم لم يستفيدوا شيئا ووجدوا فى مؤلفاته فصولا كثيرة تتضمن اضاليل ، وقد خولوه الحرية ليوضح اقواله فى كل منها ، وحرضوه على الخضوع لحكم المجمع ، وعرضوا عليه صورة الرجوع عن ضلاله ، فابى أن يمضيها ، وبقى مصرا على غيه، ولم يشا المجمع أن يتوصل معه الى المضايقة الاخيرة ، بل حاول مرارا أن يرده عن عناده فحكموا اولا على كتبه بالتحريق رجاء أن يخيفوه بذلك ، لكنه لبث مصرا على عناده ، فحينئذ حطوه عن الدرجات المقدسة حطا احتفاليا ، واسلموه لحكومته فحكمت عليه بالحرق حيا بمقتضى نواميس المملكة ثم نال جيروم تلميذه وقرينه فى العناد هذا العقاب نفسه .

اما المجمع فلم يطلب قط هذا العقاب بل ترك للقضاء المدنى أن يعمل بموجب شرائع المملكة التى كانت تعطى الملك حقا فى أن يعاقب من يفسدون النظام المدنى بينهم بتعاليم سيئة تقلق راحة الجمهور » .

هـذا ما يقوله الكتاب المدافعـون من الكنيسة ، ومهما يكن قولهم في براءتها من دم أولئك الذين حاولوا من رجال الدين اصلاحا ، فمما لا شك فيه انها لم تصغ الى اقوالهم ، بل عاقبتهم عليها بالحرمان ، فسلبتهم المنصب الديني ، ثم عاونت بذلك على قتلهم أفظع قتلة ، ان لم تكن هي الفاعلة .

ابتداء الاصلاح من غير رجال الدين :

١١٨ — كانت ارهاصات الاصلاح تبدو الوقت بعد الآخر ، ويظهر به رجال استعدوا للفداء زمنا بعد زمن ، وكانت البلاد التي تظهر فيها آراء الاصلاح في شمال اوربا وانجلترا ، وفرنسا ، لأن فرنسا قد ذاق بعض ملوكها اذى الحرمان من الكنيسة ، واحس الفرنسيون بشدتها ، وانجلترا رات من سلطان البابا عليها تدخلا في شئونها ، ولأن امم شمال اوربا قد اقترنت حضارتها بالدين فكانت شديدة الغيرة عليه ، قوية الرغبة في فهمه على وجهه ، جاعلين قبلتهم الكنيسة ورجالها ، فعثروا بما أوتوا من رغبة دينية وعقل فاحص على عيوبهم ، فأرادوا ان يصلحوها من غير ان يهدموها ، لذلك ظهرت حركات الاصلاح ووجدت آذانا مصغية في تلك البقاع ، ولم ينبثق فجر القرن السادس عشر حتى انبثقت معه اصوات قوية جريئة تدعو الى اصلاح الكنيسة ، وتنقد حالها وتندد بأعمالها ، وتنشر عيوب القوامين عليها ، وعساهم يصلحون امرهم ، ويعودون الى آداب الدين وتهذيبه .

الدعوة الهادئة :

وقد ظهر في فجر القرن السادس في ازمان متقاربة اصوات رجال مصلحين ، ومن اشدها ظهورا صوت ارزم ، وقد ظهر بالأراضي المنخفضة ، وعاش من سنة ١٤٦٥ الى سنة ١٥٣٦ . وقد أخذ يدعو الناس الى قراءة الكتاب المقدس عندهم ، والى تهذيب عقولهم ، وتنمية مداركهم ، ليستطيعوا فهمه ، والانتفاع به ، وادراك مراميه وغاياته ، وأخذ يدعو الى اصلاح الكنيسة ، وظهر انه لم يوجه دعوته الى الشعب ، بل وجهها الى الحكام المستنيرين ، والى رجال الكنيسة انفسهم ، فقد كان البابا ليو العاشر معاديه ، وكان ممن يقدرون آراءه ، ويعجبون بتفكيره ويوافقون بالأولى على وجهة نظره ، وقد سار في طريق ذلك الاصلاح السلمي مجتهدا الاجتهاد

كله فى ان يحافظ على مركز البابا وقداسته ، حريصا على الا ينال احد منهما ، والا يخلط دعاة الاصلاح بين اصلاح الكنيسة ومراكز رجالها ، وما يستحقون من اجلال وتقديس ، فهو يرى ان الاصلاح واجب على ان تقوم به الكنيسة فى داخلها ، او يعاونها الحكام على اصلاح نفسها ، ولذلك عندما رأى ثورة لوثر العنيفة ، وما ادت اليه من مس سلطان الكنيسة ونقص ما لها من قداسة ، نبذ آراءه ولم يعاونه .

وظهر كذلك فى هذا الابان توماس مور من ١٤٧٨ الى ١٥٣٥ ، وقد ظهر بانجلترا ، ودعا الى اصلاح الكنيسة ايضا بالطريق السلمى ، ولذلك دعا بنفسه الى وجوب احترام سيادة البابا ، وان يكون له السلطان الدينى على الجميع .

النقد العنيف :

١١٩ — ولكن دعوات اولئك السلمية لم تعد فائدتها ، ولم تنتج ثمراتها ، وان شئت قل ان تحول الافكار وانتقال الفكرة الى الشعوب ، واصطدام الكنيسة بالمفكرين وبعض الامراء جعل نقد الكنيسة عنيفا ، وجعل خطوات الدعاة اسرع مما يريد اولئك السلميون .

واشد من ظهر من اولئك تأثيرا واقواهم نفوذا : مارتن لوثر ، وزونجلى ، وكلفن . ولنتكلم عن كل واحد من هؤلاء بكلمة موجزة .

لوثر :

اما مارتن لوثر ، فقد ولد سنة ١٤٨٢ من ابوين فقيرين ، ولكن اباه اجهد نفسه ، واراد ان يصل به الى اقصى درجات الثقافة ، ومكن له ليكون قانونيا ، فارسله الى الجامعة ، ولكنه عجز من اتمام دراسته القانونية ، وعكف على دراسة اللاهوت ، وانصرف اليها لانه احس بنزعة دينية قوية تدفعه الى الانقطاع لذلك ، وقد كان شديد التورع ، مبالغا فى تقدير سيئاته ، قد سيطرت على مشاعره نفسه اللوامة ، حتى لقد قال بنفسه انه ان ينجو من عذاب الجحيم الا برحمة الرب الرحيم ، وكان لهذا الاحساس الدينى الدقيق ، وذلك النزوع اللاهوتى بوضع رعاية رجال الكنيسة ، حتى لقد اوصوا به خيرا اولى الامر من رجال الدنيا ، فعين مدرسا للفلسفة ، وظل عاكفا على هذه الدراسة التى كان يشك

فى صلاحيتها ، اذ كان يدرس فلسفة أرسطو . وما كان فى نظره الا من عبدة الاوثان ، ويجب ان يلاحظ ان دراسة الفلسفة فى ذلك العصر كانت تحت ظل الدين ، وفى خدمته ، ويقوم بها رجال الدين انفسهم ، ولذلك لم تكن دراسته الفلسفية بمعدة له عن دراسته الدينية ، بل كانت تتميما لها .

ولقد دفعته نزعته الدينية الخالصة ، واجلاله للكنيسة ورجالهـا الى ان يحج الى روما ، ليتبرك بلقاء رجال الدين ، ولكى تحل عليه بركات روما موطن المسيحية ومقر الكنيسة المقدسـة ، ولكنه ما ان وطئت قدماه ارض روما حتى راى ما هدم حسه ، وازعج نفسه ، لقد توقع أن يرى النسك والعبادة والزهادة ، فوجد مدينة لاهية عابثة ، ووجد رجال الدين قد دنست بعضهم المفاسـد ، وحاطت بهم الريب ، وظلت بهم الظنون ، وجد جراة على الخطايا ، واستهانة باحكام الدين . ووجـد الذين تخيلهم قديسين صالحين ، وانهم ملائكة الله تسـير على الأرض ، قد انغمسوا فى الرذيلة ، ورتعوا فى حماها زاعمين ان سحائب الرضوان قد نزلت عليهم ، وغفر لهم سابق ذنوبهم ولاحقها ، وأن بيدهم مفاتيح الملكوت فى السماوات والأرض وسر التوبة ، وابوابه الغفران ، يغفرون لمن شـاءوا ما تقدم من ذنبه وما تاخر .

راى لوثر كل هذا وهو المرهف الحس الدينى ، ذو النفس اللوامة ، الذى يرى ان خطايا الانسـان اكبر من أن يمحوها هو ، وانه لا سـبيل لغفرانها الا ان تسعها رحمة الله .

لذلك شده من هول ما راى ، وتحير بين ما تخيله فى رجال الدين من زهادة ، والواقع المستقر الذى صدمه صدمة عنيفة ، ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى انتقل من الحيرة الى الاستنكار ، لذلك عاد الى المانيا حانقا متنكرا بعد ان ذهب راضيا مقدسا .

ولقد أخذ يعلن من ذلك الابان ان التبرك بالمقدسات ، والحج اليها وتكرار الصلاة لا يجدى العاصى ، ولا يغنيه عن توبة نصوح ، وقدم مطهر ، ورجاء رحمة الرحيم ، وأن احدا من الخلق مهما تكن قدسيته لايملك لاحد غفرانا ، ولا يستطيع ان يستر ذنبا قد ارتكب .

١٢٠ — كان لوثر بعد عودته ماخوذا بهذه الافكار ، قد استولت على نفسه ، وسوغ له كل هذا انه قد عرا ثقته برجال الدين ضعف ، وان لم يعتزم الثورة عليهم او على آرائهم ، ولكن الحوادث كانت تدفعه الى أن يعلن استنكار آراء رجال الدين ، والجهر بذلك . وذلك لان البابا ليو اراد ان يعيد بناء كنيسة بطرس فى روما ، وذلك يحتاج الى مقدار من المال غير يسير . فقرر أن يجمعه من صكوك الغفران يبيعها ، فذهب الراهب تتزل الى المانيا ، ومعه تلك الصكوك التى نقلنا لك نموذجا منها فيما اسلفنا من القول ، واخذ يعلن من امرها . ويبالغ فى تدسها وسرها .

عندئذ ثار لوثر الذى لا يعرف ان شيئا يستر الذنب الا الندم على ماكان ، والاقلاع عنه فيما يكون ، ورجاء رحمة الديان ، والذى راى فى رجال الدين ما راى ، ثار لوثر على تلك الصكوك وكتب فى بطلانها احتجاجا علقه على باب الكنيسة .

ولقد كان لذلك اثره فى العامة والخاصة ، ولم يكن من المعقول أن تقابل الكنيسة ذلك بالصمت او الاغضاء ، فقد أرسلت اليه تدعوه الى الحضور لمحاكمته أمام محكمة التفتيش التى كانت تدبيرا اتخذته المجلس ذريعة للقضاء على مخالفيها .

ثورة لوثر على الكنيسة :

وهنا نجد بعض الامراء [illegible] فلم ير البابا بدا من أن يصدر قرارا بحرمانه ، وبعده زائفا ، وهنا تاخذ الحميه لوثر ، ويشتد فى دعوته ، ويجاهر بالاستهانة بامر الحرمان، حتى انه ليحرق فى وسط وتبرج — والجموع حاشدة — حرمان البابا وقرار زيفه ، ولم يبق الا أن تنفذ السلطة المدنية قرار الحرمان ، فتحرمه من الحقوق القانونية والمدنية ، اثرا لقرار الحرمان الدينى ، فاجتمع مجمع ورمز سنة ١٥٢١ لمحاكمته ، ولكنه طالب البابا بان يقنعه بخطئه فيما ارتاى . فلم يجب الى ما طلب ، فانفض المجمع من غير نتيجة فى هذا ، ولكن الامبراطور أعلن حرمانه من الحقوق المدنية الا ان امير سكسونية حماه .

ومن هذا الوقت اخذت تخضع دعوة لوثر لحكم الاحداث السياسية، فتجد سلما من الدولة ، اذا كان الامبراطور مشغولا بحرب ، ولا يريد

اثارة فتنة ، وتجد حربا اذا خلا الامبراطور لهم ، وفى كلتا الحالتين تزداد الدعوة حدة ويزداد اتباعها عددا ، ويشتد ساعدهم بموالاة امراء اعزاء فى النمسا .

وفى سنة ١٥٢٩ حاول الامبراطور أن ينفذ قرار الحرمان الصادر سنة ١٥٢١ ولكن انصار لوثر يحتجون على ذلك ، ومن ذلك الحين سموا البروتستنت اى المحتجين ، ثم جرت الامور سلما فحربا متداولين ، حتى اذا مات لوثر ، وكان الامبراطور قد تخلص من كل الحروب التى تشغله انزل بالبروتستنت اقسى العذاب واشده بلاء ، ثم يعقب ذلك صلح بين الفريقين .

لوثر لم يرد هدم الكنيسة :

١٢١ — لم يكن لوثر من الغلاة الذين يرمون الى هدم الكنيسة ، ولا الى محاربة سلطانها ، بوصف كونها مرشدة وواعظة ومبينة للناس شئون دينهم ، ولكنه كان يريد اصلاح حال الكنيسة ورجالها ، وحملهم على الجادة واعطاءهم من الحق ما اعطته الكتب المقدسة ، ووصايا رسلهم ، والمأثور عنهم ، وهو لم ينظر الى البابا على انه خليفة المسيح لا يخطىء ، ولا يأتى الباطل الى قوله ، بل نظر اليه على انه كبير المرشدين الواعظين .

ولما اراد لهم الصلاح — وكان يائسا من إن يقوموا هم بذلك — دعا الامراء الى أن يتدخلوا ، وقرر ان لهم عليهم سلطانا ، وأن لهم الحق فى عزل رجل الدين اذا لم يقم بما يأمره به الدين ، ووجد ان جزءا من فساد رجال الدين يرجع الى عدم الزواج .

ورأى ان المنع منه لم يكن فى المسيحية فى عصورها الاولى ، فمنح حقهم فى الزواج ، وتزوج هو فعلا مع انه من رجال الدين . وكان زواجه من راهبة .

ووجد أن الكنيسة تحتفظ لنفسها بحق فهم الانجيل ، وذلك من اسباب غلوها وتقييدها الرقيب ، فجعل لكل مسيحى مثقف الحق فى فهمه ، واشتغل بترجمته الى الالمانية ليقراه كل المانى .

وانكر أن المسيح يحل فى بدن من يأكل العشاء الربانى . فقد انكر

استحالة الخبز الى عظام المسيح المكسورة . وانكر استحالة الخمر الى دم المسيح ، وحلولهما فى جسم الآكل . واكتفى بكون العشاء الربانى تذكيرا لما قام به المسيح من فداء للخليقة فى زعمهم . وان يعتقد المسيحى ان المسيح معه بجسده عند تناول هذا العشاء .

هذا كله مع انكاره حق الكنيسة فى الغفران ، ذلك الحق الذى كان عود الثقاب الذى اشعل ثورة لوثر ، وكانت منها تلك النيران التى لم تستطع الكنيسة لها اطفاء .

زونجلى واعماله :

١٢٢ — وفى الوقت الذى كان يغالب فيه لوثر الكنيسة وانصارها من ذوى السلطان ، كان فى سويسرة صوت قوى آخر ينادى بما يقارب ما نادى به لوثر ، ذلك هو زونجلى (١٤٨٤ — ١٥٣١) فقد آلمه حال الكنيسة ودعا الى مثل ما دعا اليه لوثر فى مسائل الدين . وقد ابتدات ثورته بالثورة على صكوك الغفران كما ابتدا لوثر ، وقد مات اثناء صراع وقع بين انصاره المعتنقين لمبادئه وانصار الكاثوليك .

وآراؤه فى الجملة تتقارب من آراء لوثر ، ولقد كان يرى ان العشاء الربانى مناولة تذكارية لموت المسيح وفدائه لخطيئة الخليقة فى زعمهم ، وان المسيح يحضر ذلك العشاء بروحه فقط . ويفسر ماجاء خاصا بالعشاء الربانى فى انجيل متى بمعناه المجازى . وهذا نص ما جاء فى ذلك الانجيل فى اصحاحه السادس والعشرين : وفيما يأكلون اخذ يسوع الخبز وبارك وكسر ، واعطى للتلاميذ ، وقال : « خذوا ، كلوا هذا هو جسدى » واخذ الكأس وشكر ، واعطاهم قائلا : « اشربوا منها كلكم ، لان هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » .

ودعوة زونجلى هذه، وان كانت تتلاقى فى مبادئها فى الجملة مع مبادىء لوثر كانت منفصلة عنها ، فلم تتوحد الدعوتان ، بل كانت كلتاهما تعمل فى محيط اقليمها ، بيد ان حركة لوثر كانت اوسع دائرة واسرع انتشارا ، لسعة الاقليم الذى نشأت فيه ، ولرعاية بعض الامراء لها ، بل لاعتناقهم مبادئها ، ولان الاحوال السياسية فى المانيا كانت تسمح لمثل هذه الدعوة بالذيوع والانتشار .

اثارة فتنة . وتجد حربا اذا خلا الامبراطور لهم ، وفى كلتا الحالتين تزداد الدعوة خدة ويزداد اتباعها عددا ، ويشتد ساعدهم بموالاة امراء اعزاء فى النمسا .

وفى سنة ١٥٢٩ حاول الامبراطور ان ينفذ قرار الحرمان الصادر سنة ١٥٢١ ولكن انصار لوثر يحتجون على ذلك ، ومن ذلك الحين سموا البروتستنت اى المحتجين ، ثم جرت الامور سلما فحربا متداولين ، حتى اذا مات لوثر ، وكان الامبراطور تخلص من كل الحروب التى تشغله انزل بالبروتستنت اشنى العذاب واشده بلاء ، ثم يعقب ذلك صلح بين الفريقين .

لوثر لم يرد هدم الكنيسة :

١٢١ — لم يكن لوثر من الغلاة الذين يرمون الى هدم الكنيسة ، ولا الى محاربة سلطانها ، بوصف كونها مرشدة وواعظة ومبينة للناس شئون دينهم ، ولكنه كان يريد اصلاح حال الكنيسة ورجالها ، وحملهم على الجادة واعطاءهم من الحق ما اعطته الكتب المقدسة ، ووصايا رسلهم ، والمأثور عنهم ، وهو لم ينظر الى البابا على انه خليفة المسيح لا يخطىء ، ولا يأتى الباطل الى قوله ، بل نظر اليه على انه كبير المرشدين الواعظين .

ولما اراد لهم الصلاح — وكان يائسا من ان يقوموا هم بذلك — دعا الامراء الى ان يتدخلوا ، وقرر ان لهم عليهم سلطانا ، وأن لهم الحق فى عزل رجل الدين اذا لم يقم بما يأمره به الدين ، ووجد ان جزءا من فساد رجال الدين يرجع الى عدم الزواج .

ورأى ان المنع منه لم يكن فى المسيحية فى عصورها الاولى ، فقرر حقهم فى الزواج ، وتزوج هو فعلا مع انه من رجال الدين . وكان زواجه من راهبة .

ووجد ان الكنيسة تحتفظ لنفسها بحق فهم الانجيل ، وذلك من اسباب غلوها وفقدها الرقيب ، فجعل لكل مسيحى متفقه الحق فى فهمه ، واشتغل بترجمته الى الالمانية ليقرأه كل الناس .

وانكر ان المسيح يحل فى بدن من ياكل العشاء الربانى . فقد انكر

استحالة الخبز الى عظام المسيح المكسورة ، وانكر استحالة الخمر الى دم المسيح ، وحلولهما فى جسم الآكل . واكتفى بكون العشاء الربانى تذكيرا لما قام به المسيح من فداء للخليقة فى زعمهم . وان يعتقد المسيحى ان المسيح معه بجسده عند تناول هذا العشاء .

هذا كله مع انكاره حق الكنيسة فى الغفران ، ذاك الحق الذى كان عود الثقاب الذى اشعل ثورة لوثر ، وكانت منها تلك النيران التى لم تستطع الكنيسة لها اطفاء .

زونجلى واعماله :

١٢٢ — وفى الوقت الذى كان يغالب فيه لوثر الكنيسة وانصارها من ذوى السلطان ، كان فى سويسرة صوت قوى آخر ينادى بما يقارب ما نادى به لوثر ، ذلك هو زونجلى (١٤٨٤ — ١٥٣١) فقد آلمته حال الكنيسة ودعا الى مثل ما دعا اليه لوثر فى مسائل الدين . وقد ابتدأت ثورته بالثورة على صكوك الغفران كما ابتدأ لوثر ، وقد مات اثناء صراع وقع بين انصاره المعتنقين لمبادئه وانصار الكاثوليك .

وآراؤه فى الحملة تتقارب من آراء لوثر ، ولقد كان يرى ان العشاء الربانى مناولة تذكارية لموت المسيح وفدائه لخطيئة الخليقة فى زعمهم ، وان المسيح يحضر ذلك العشاء بروحه فقط . ويفسر ماجاء خاصا بالعشاء الربانى فى انجيل متى بمعناه المجازى . وهذا نص ما جاء فى ذلك الانجيل فى اصحاحه السادس والعشرين : وفيما يأكلون اخذ يسوع الخبز وبارك وكسر ، واعطى للتلاميذ ، وقال : « خذوا ، كلوا هذا هو جسدى » واخذ الكأس وشكر ، واعطاهم قائلا : « اشربوا منها كلكم ، لان هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا » .

ودعوة زونجلى هذه ، وان كانت تتلاقى فى مبادئها فى الجملة مع مبادىء لوثر كانت منفصلة عنها ، فلم تتوحد الدعوتان ، بل كانت كلتاهما تعمل فى محيط اقليمها ، بيد أن حركة لوثر كانت اوسع دائرة واسرع انتشارا ، لسعة الاقليم الذى نشأت فيه ، ولرعاية بعض الامراء لها ، بل لاعتناقهم مبادئها ، ولأن الأحوال السياسية فى المانيا كانت تسمح لمثل هذه الدعوة بالذيوع والانتشار .

كلفن واثره فى الاصـــلاح :

١٢٣ — فى الوقت الذى كان فيه هذان الرجلان يعملان ويجاهدان، كل بطريقته ، فلوثر بطريقته السلمية التى خالطها العنف، وزنجلى بطريقة السراع والمنازلة ، حتى مات فيه .

فى هذا الوقت كان رجل آخر ظهر فى فرنسا وهو كلفن (١٥٠٩ — ١٥٦٤) قد ولد بفرنسا ، ونشأ بها ، وتثقف ثقافة قانونية ، ولكنه مال بعد تخرجه فى القانون الى الدراسات الدينية ، وقد كانت حـركة لوثـر قد ذاعت وشاعت فى ربوع أوربا ، وما ان اعلن كلفن آراءه حتى اضطر الى الفرار بعقيدته الى جنيف فى سويسرا ، وهناك الف وكتب، وأخذ يعمل على نشر مبادىء المذهب البروتستنتى ، وينظمها بعد موت لوثر، فتنظيمها على الشكل الاخير يرجع الى كلفن اكثر مما يرجع الى اى رجل آخر ، وان كان باذر البذرة سواه ، بل ان بذور ذلك المذهب قدكانت أقدم تاريخيا من لوثر نفسه ، وقد نوهنا الى بعض هذا الكلام فى المجامع .

ويرى كلفن ان الكنيسة يجب أن تحكم نفسها بنفسها ، وعلى الحكم المدنى مساعدتها ومعاونتها وحمـــايتها ، وذلك ليكون الســلطان الدينى غير خاضع لحكم الحكام ، وهو يرى ان المســـيح لا يحضر لا بشـــخصه ولا بروحه فى العشاء الربانى ، ويعتبر تناول العناصر المادية رمزا للايمان. ويقول كما يقرر صاحب كتاب الاصول والفروع فى العشـــاء الربانى : « يشير العشاء الربانى ايضا الى مجىء المسيح ، كما يشير الى موته ، فيكون تذكارا للماضى والمستقبل ، فالعبرة فى العشاء الربانى للذكرى ، لا حضور المسيح ماديا اوروحيا » .

انشـاء كنائس للمصـــلحين :

١٢٤ — كانت جهود هؤلاء القادة واتباعهم ، وحبوب الكنيسة ، وسوء حالها وحال القوامين عليها ، وشدة ضغطهم سببا فى ذيوع الآراء التى تخالف رأى الكنيسة ، وقد ابتدات الحركة بطلب اصـــلاح الكنيسة على أن يقوم بالاصلاح رجال الكنيسة انفسهم ولكنهم انفضوا رءوسهم ، واصروا واستكبروا استكبارا ، ورفضوا كل دعوة للاصـــلاح ، وقابلوا أصحابها بقرارات الحرمان احيانا كثيرة ، والاهمال احيانا قليلة . فلمـــا

استيأس مريدو الاصلاح من أن يقوم الكنسيون باصلاح حالهم، وان يرعوا الديانة حق رعايتها اتجهوا الى الحكام طالبين ان يتدخلوا لاصلاح الكنيسة، كما حاول لوثر ، فقد أعطى الحكام حق الهيمنة على الكنيسة ليصلحوها ، ولكن الحكام تقاعسوا ، ومنهم من لم يحاول اصلاح الكنيسة ، بل حاول القضاء على طلاب اصلاحها ، وانزل بهم اضطهادات وبلايا وشدائد ومذابح ، كما حدث لبروتستنت فرنسا ، وكان ذلك اما تعصبا للكنيسة ، واما مجاملة ، واما كراهة للمصلحين ، لأن منهم من كانت لهم آراء اصلاح تنظم الحكم بجوار آرائهم فى اصلاح الكنيسة ، وقد كان الحكم استبداديا مطلقا ، بلا نظام يقيد الحاكم ، ويلزم المحكوم .

فلما يئس طلاب الاصلاح من الحكام ويئسوا من رجال الكنيسة اتجهوا الى أن يجعلوا لآرائهم جماعة ، ووحدة دينية منفصلة عن الكنيسة وآراؤها غير خاضعة للكنيسة . وراغضة كل ما لها من سلطان ، وانشأوا لهم كنائس ليست معترفة لروما بأى سلطان ، وسلطة رجال الدين فيها محدودة ، ولرجال الدين من الحقوق ما قرروا من مبادىء، وسميت كنائسهم كنائس انجيلية (١) اى انها لاتخضع الا لحكم الكتاب المقدس، ويقيد بأحكامه رجل الدين امام رجل الشعب ، وجميعهم مسئول امام ذلك الكتاب ، وليس لرئيس الكنيسة خلافة تجعل كلامه مقدسا ، مساويا لاحكام الكتاب المقدس فى الرتبة والاعتبار .

وقد انتشر المذهب الجديد فى المانيا والدانمرك والنرويج وهولندا وانجلترا وأمريكا الشمالية وسويسرا ، وان لم تسر كلها على المذهب .

اهم مبادىء الاصلاح :

١٢٥ — والآن نلخص المبادىء التى قام بها ذلك المذهب الجديد ، نكتفى بذكر أصولها التى يرجع اليها غيرها من الفروع ، واعظم تلك الاصول ثمانية :

---

(١) وتسمى الكنائس الاخرى التى تجعل لرئيس الكنيسة سلطانا يستمد نيه خلافة المسيح الكنسى التقليدية وهى كنيسة الكاثوليك ، والكنيسة الارثوذكسية اليونانية والكنيسة الارثوذكسية المرقسية ، وهى كنيسة القبط وغير ذلك .

(أ) جعل الخضوع التام الواجب على المسيحى لنصوص الكتاب المقدس وحدها (١) وجعله الحكم وحده الذى لا ترد حكومته ، ولا ترفض اوامره ، وقياس كل اوامر الكنيسة القديمة وقرارات المجامع على ما نص عليه فى ذلك الكتاب فما وافقه قبل على أن الكتاب قد ورد به ، وما خالفه رفض، ولو كان قد صدر من اكبر رجال الكنيسة شانا فى الماضى او الحاضر .

ولذلك يقول صاحب كتاب سوسنة سليمان فى ذلك : « انهم جميعا متفقون فى المعتقدات على مجرد ما فى الكتاب المقدس فقط ، فلا يخضعون لشىء من التقاليد التى لايوجد لها فيه رسم اصلا ، ولا الى اقوال أحد من الآباء أو المجامع الا اذا كان موافقا لنصوصه لفظا ومعنى ، أما تفسير الآيات الغامضة والتى لم يوضحها الوحى الالهى ، فلا يمارون احدا فيها الا اذا كان التفسير يتفق مما كان معناه واضحا فى غيرها من تعاليم الكتاب» .

فهم لا يعترفون بسلطان لغير الكتاب وقد كان تحكيم الكتاب وحده سببا فى جعل رجل الدين غير مطاوع الا فيما ورد فى الكتاب .

---

(١) الكنيسة الكاثوليكية ، والكنيسة الشرقية وغيرهما من الكنائس التقليدية لا يعتبرون الكتاب المقدس وحده هو المصدر للدين المسيحى ، بل يعتبرون معه الرسائل غير المسطورة فى ذلك الكتاب وتعاليم المسيح التى نقلت الى البابوات خلفا عن سلف مصدرا ايضا . ويبنون ذلك المصادر التقليدية .

ويقول فى ذلك صاحب كتاب تاريخ الكنيسة الذى ترجمه يوسف البستانى فى ذكر قرارات المجمع الترنديتى: «ان المجمع الترنديتى المقدس الملتئم بتدبير الروح القدس والمصدر فيه صفات الكرسى الرسولى لاعتباره ان حقائق الايمان ورسوم الآب متضمنة فى الصحف المكتوبة وفى التقليدات المكتوبة ، وهى المنقولة عن فم يسوع بواسطة الرسل ، أو المنزلة على الرسل انفسهم بالروح القدس ، وقد اتصلت الينا تسليما اقتفاء بأثر الآباء الارثوذكسيين قد قبل جميع اسفار العهدين القديم والجديد ، ثم التقليدات ايضا المتعلقة بالايمان والآداب بما انها بارزة من فم يسوع المسيح ، أو ملقنة من الروح القدس ، ومحفوظة فى الكنيسة بالخلافة المتواصلة ويعتقلها بنفس الاكرام والاحترام الذى تعتنق به الكتب المقدسة » .

وقد كان جعل سلطان الكتاب شاملا لرجل الدين ، ولرجل الشعب سببا فى ان حق التفسير والفهم لم يعد مقصورا على رجال الدين ، فازيل ذلك الحجاب الذى اقيم بين المسيحى وبين كتابه . اذ اقامه رجال الدين ليحتجزوا حق تفسير الكتاب لانفسهم . وبذلك يكون الدين ما تنطق به افواههم وليس لاحد ان يعقب على قولهم ، لان باب التفسير قد اقفل دون غيرهم فلا يستطيعون ازالة رتاجه ، ولا فتح اغلاقه، فالغى المذهب الجديد ذلك الحجاب وفتح باب التفسير لكل مثقف ذى فهم ، واذا كان ثمة نص لم يفهم توقفوا من فهمه ، فان ابدى رجل الدين رايا فى فهمه تبلوه الا اذا خالف نصا ظاهرا لا مجال للتاويل فيه .

عـــدم الرياســـة فى الدين :

(ب) ليس لكنائسهم من يترأس عليها رياسة عامة ، بل لكل كنيسة رياسة خاصة بها، والرياسة الكنسية التى تستمد الخلافة من احد الحواريين او من المسيح نفسه لا وجـــود لها عندهم ، بل ان الكنيسة فى كل مكان ليس لها الا سلطان الوعظ والارشاد، والقيام على تادية الفروض والتكاليف الدينية وبيان الدين لمن لا يستطيع معرفته من تلقاء نفسه ، ولم يكن عنده من الثقافة ما يمكنه من ذلك .

ليس لرجـل الدين الغفـــران :

(جـ) واذا كانت الكنيسة لها سلطان الا البيان لمن لا يســـتطيع بيانا والارشاد لمن لا يستطيع معرفة اوامر الدين من تلقاء نفسه ، فليس لها سلطان فى محو الذنب او ستره . او تلقى الاعتراف بالذنوب ومسحها سواء اكانت تلك هى المسحة الاخيرة عند الاحتضار . ام كانت قبل ذلك . فكل ذلك ليس لها فيه سلطان . لانه من عمل الديان. وقد علمت ان صكوك الغفران وحق الكنيسة فيه كانت الثقاب الذى اندلعت منه الثورة على الكنيسة ، وتبعها تقصى عيوبها ، وتتبع نقائصـــها . وقد ذكرنا ببعض التفصيل ما كانت تفعله الكنيسة ، وبينا انها غالت فيما زعمته لنفســها فى ذلك من حق ، والاساس فى رفض الكنيسة فى هذا : كل نفس لهـــا ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

وكما أن ذلك الاساس ادى الى سلب الكنيسة ما زعمته لنفسها من حق الغفران ادى الى أمر آخر. وهو منع الصلاة لاجل الموتى، واعتبار أن ذلك لا يفيدهم لانه ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سيحاسب عليه ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وأدى أيضا الى أن طلب شفاعة القديسين لا قيمة له ، لانه لا يغير عمل الشخص من صالح الى طالح .

وفى الجملة انهم اعتبروا غفران الذنوب يرجع الى عمل الشخص وعفو الاله، وتوبة العاصى وندمه على ما فات ولومه نفسه على ما كان وكل قول يجعل غفران الذنب اساسه غير ذلك رفضوه ، ولم يلتفتوا اليه.

عدم الصلاة بلغة غير مفهومة :

(د) ولقد كان ذلك المبدأ الذى يجعل الانسان يدين بعمله وحده ، ومبدأ ان لا سلطان للكنيسة على القلب والعبادة، كان هذان المبدآن سببا فى أن رفض اولئك المسيحيون الصلاة بلغة غير مفهومة للمتعبد، لان الصلاة دعاء من العابد للمعبود وانصراف القلب اليه ، والقيام بالخضوع الكامل له ، والنطق بما يدل على الخضوع والالتجاء الى المعبود ، فوجب أن تكون بالفاظ يفهمها العابد ليردد معانيها ويقصد مراميها ، وقد كانت صلاة القسيس بلغة لا يفهمها المصلون مقبولة لدى الكاثوليك . لان اساس ذلك ان عبادة القسيس عبادة لمن هم تحت سلطانه .

رأيهم فى العشـــاء الربانى :

(هـ) انتبى البروتستنت بالنسبة للعشاء الربانى الى انه تذكار بفداء المسيح للخطيئة التى ارتكبها آدم ، وتحملت الخليقة من بعد وزرها ، وتذكار لمجيئه ليدين الناس، فهو تذكار للماضى والمستقبل كماجاء فى بعض الرسائل، وهم ينكرون أن يتحول الخبز الى جسد المسيح . والخمر الى دمه .

والكنيسة قد اصرت على ذلك اصرارا . وهذا قرارها فى المجمع الترنديتى فى ذلك الشأن، فهى تقول بلسان اعضائه.. «لقد اعتقدت كنيسة الله دائما بانه بعدالتقديس يوجدجسد ربنا الحقيقى ودمه الحقيقى معنفسه ولاهوته تحت أعراض الخبز والخمر، وان كلامن الشكلين يحتوى مايحتوى كلاهما ، لان يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز ، وتحت اصغر اجزاء هذا الشكل ، كما انه هو كله ايضا تحت شكل الخمر وجميع اجزائه،

وقد اعتقدت الكنيسة ايضا اعتقادا ثابتا بانه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز الى جوهر جسد ربنا ، وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه تعالى ، وهذا التعبير قد دعى بكل صوابه . فيلتزم اذن جميع المؤمنين بأن يعدوا هذا السر المقدس العبادة المستوجبة للاله الحقيقى ، لاننا نعتقد بانه يوجد فيه الله نفسه الذى عبدته الملائكة على امره تعالى . حينما اتى على العالم ، وهو نفسه الذى سجدت له المجوس خارين على اقدامه ، وله نفسه سجدت الرسل فى الجليل » .

هذه عقيدة الكنيسة فى العشاء الربانى ، لم يستصغها لوثر واشياعه، وخلفاؤه من بعده ، وانتهى امرهم الى ان رفضوا ذلك التحول الذى تفرضه الكنيسة ، وتلتزم به ، وان كان بعيدا عن المعروف المألوف ، وبعد أن رفضوا ذلك قر قرارهم الأخير على اعتبار العشاء الربانى تذكارا بالفداء وتذكارا للمجىء وفى ذلك عظة واستبصار .

انكار الرهبنة :

(و) انكر اولئك المصلحون لزوم الرهبة التى ياخذ رجال الدين انفسهم بها ويعتبرونها شريعة لازمة . يفقد رجل الدين صفته الكهنوتية ان تخلى عنها ، ولقد رأوا ما ادى اليه ذلك الحظر من تعبث للجسد الانسانى، وتعذيب له من غير ضرورة ، ولا نص من الكتب قديمها وجديدها يفيد ذلك، بل لقد رأوا ما ادى اليه ذلك الكبت من انفجار غريزة الانسان فى رجل الدين فانطلق يكرع اللذة من شقتها الحرام بعد ان حرم على نفسه الحلال، رطفق يقترف من ورد معتكر بالآثام ، مرنق بالمفاسد ، وترك المنهل العذب الذى حللته الشرائع ، ويتفق مع ناموس الاجتماع الانسانى .

عدم اتخاذ الصور والتماثيل :

(ز) منع البروتستنت اتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس والسجود لها ، معتقدين أن ذلك قد نهى عنه فى التوراة ، فقد جاء فى سفر التثنية : « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من أسفل ، وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لانى انا الرب الهك غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، واصنع احسانا الى الوف من محبى ، وحافظى وصاياى » .

ولا شك ان ما نهت عنه التوراة يجب الأخذ به ما دام الجميع يؤمنون بالتوراة ، وكتب العهد الجديد ، وما دام لم يرد عن المسيح او عن الرسل ما يبطل ما جاء فى التوراة .

ولقد اثبت الاستاذ امين الخولى بالسند التاريخى أن ذلك التحريم قد قبسه النصارى المصلحون من نور الاسلام .

المسيحيون لم يسيروا فى منطقهم الى اقصى مداه :

١٢٦ — هذه اعظم المسائل التى خالف بها المصلحون فى المسيحية ما عليه الكنيسة ، وهى لا شك خلع لسلطان الكنيسة على النفوس وقضاء على سلطان المجامع ، واذا كان للحوادث منطق تسير عليه ، فهل لنا ان نستنبط منطق تلك الحوادث ، وما كان عساه يكشف عنه لو سار فى طريقه الى اقصى مداه ؟ لقد علمت فى سياقنا التاريخى الذى بيناه عن ادوار المسيحية ان ذلك السياق يعلن فى عباراته وفى فحواها ان تلك الديانة كانت ديانة توحيد ، حتى جاءت المجامع ، فقررت الوهية غير الله ، وطردت من حظيرة المسيحية المستمسكين بعروة التوحيد الذين رفضوا دعوى الوهية المسيح ، وناصرتهم الشعوب المسيحية فى الابان .

فاذا كان المصلحون قد قرروا ان يأخذوا مذهبهم الدينى من الكتب الصحيحة ، وقرروا أن يرفضوا سلطان المجامع والكنيسة معا ، فإن المنطق الذى يسيرون عليه كان يوجب عليهم أن يرفضوا اقوال المجامع القديمة ، ومنها الوهية المسيح ، والوهية الروح القدس .

وقد كنا نود أن يدرسوا قرارات هذه المجامع ، وينظروا الى سندها وقوتها فان لم يروا السند قويا رفضوا ذلك القرار ، ولكنهم لم يسيروا فى منطقهم الى اقصى مداه ، فرفضوا آراء الكنيسة فى امور ، اعظمها شانا ما بيناه ، ولم يتجهوا الى لب المعتقدة ، وهو لم يتجاوز أنه قرار مجمع فيدرسوه من جديد على ضوء ما فتحوه لأنفسهم من نور مبجر ، وهو ان يكون لكل شخص له قدرة على فهم الكتاب حق فى تفسيره ، وابتخراج الأوامر والنواهى منه من غير أن يتخذوا الأحبار والقسيسين وسائط فى فهمه ، ويحكموا بذلك فى ضمائرهم واعتقاداتهم .

عقول مسيحية تنكر الوهية المسيح :

١٢٧ — ولكنا وقد بلغنا من أن يسير البروتستنت فى طريقهم الى اقصى مداه وجدنا العقول المسيحية قد تنبهت ، والدراسة العلمية والفلسفية قد سارت ونور الاسلام قد انبلج ، فوجدنا علماء كثيرين قد صرحوا فى قوة بأن المسيح لم يكن الا رسولا ، وانه لم يكن اكثر من بشر ، قد قيسوا ذلك من الإنجيل نفسها ، فهذا ريفان قد جهر بذلك فى قوة وجراة ولم يمنعه حرمان الكنيسة له من الاصرار على رايه والذود عنه ، وهذا تولستوى ينكر على المسيحيين الوهية المسيح ، وتنتهى نتائج بحثه الى ان بولس لم يفهم تعاليم المسيح ، بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للاعتقاد غموضا واخفاء .

ولنترك الآن الكلمة لذلك الفيلسوف ، فهو يقول : « انه ينبغى لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقى ، كما كان ينبغى هو ان نبحث فى تلك التفاسير والشروح الطويلة التى شوهت وجه التعليم المسيحى ، حتى اخفته عن الابصار تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا الى ايام بولس الذى لم يفهم تعليم المسيح ، بل حمله على محمل آخر ، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين ، وتعاليم العهد القديم ، وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأمم ، او رسول الجدال والمنازعات الدينية ، وكان يميل الى المظاهر الخارجية الدينية ، كالختان وغيره فادخل اميالة هذه على الدين المسيحى فافسده ، ومن عهده ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس ، واما تعليم المسيح الاصلى الحقيقى فخسر صفته الالهية الكمالية ، بل اصبح احدى حلقات سلسلة الوحى التى اولها منذ ابتداء العالم ، وآخرها فى عصرنا الحالى ، والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وان اولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع الها دون ان يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون فى دعواهم على اقوال وردت فى خمسة اسفار : موسى ، والزبور ، واعمال الرسل ، ورسائلهم ، وتاليف آباء الكنيسة ، مع ان تلك الاقوال لا تدل اقل دلالة على ان المسيح هو الله .

هو اذن ينكر الوهية المسيح ، وينكر الوهية روح القدس ، ويعتقد بأن الله واحد احد فرد صمد ، وينكر ان تكون كتب النصارى كتبت بالهام ،

ويعلن فى جراة انها حرفت وعراها التغيير والتبديل ، فيقول فى صراحة المستمسك بالعروة الوثقى : « ان المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحى الالهى ، فالمسلمون يعتقدون بنبوة موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بانه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ، وهم يعتقدون بان محمدا خاتم الانبياء ، وانه قد أوضح فى قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقية ، كما تلاها دون زيادة ولا نقص ، وان كل مسلم امامه القرآن يقرؤه ، ويتمسك به ويسير بموجب أحكامه ، ولا يعترف بغيره من الكتب مهما اشتهر واتسعوها بالتقوى والصلاح ، ويسمى المسلمون ديانتهم بالمحمدية ، لان محمدا وضعها بخلاف الكنيسة المسيحية التى تسير الآن بموجب تاليف الآباء الذين يدعون بان ما كتبوه هو من روح القدس ، فكان الاحرى بالمسيحيين ان يسموا كنيستهم بالروحية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية » .

خاتمـــــة

١٢٨ — قد ظهر اذن مسيحيون يدعون الى التوحيد ، وانك لترى بريق الاسلام يلمع بين السطور التى دونوها والاقوال التى نشروها ، ولكن قد طردتهم المسيحية الحاضرة من حظيرتهم كما فعلت الجامع من قبـل ، ولقد كان الأمر لا يسترعى النظر لو كان مقصورا على العلماء . بل انك لترى المسيحيين الذين تجادلهم او تخالطهم بالمودة — ان استثنيت رجال الدين منهم — يصرحون فى بهرة المجالس وفى جهـر من غير اسرار بانهم لا يستطيعون ان يتصوروا المسيح الا رجلا عظيما رسـولا من عند الله ، وليس هو الله ، ولا ابن الله وليس ذا صلة بالالوهية الا صـلة الرسـول بمن أرسـله .

فهل لنا ان نعتقد ان شيوع هذا على السنة أولئك المثقفين يؤدى الى اصلاح كامل للعقيدة ، يكون شـاملا للأصل ، ولا يكون مقتصرا على الفرع كما فعل الاصلاح السابق واقتصر عليه ؟ .

ان الأجدر لهذا ان يتجه أولئك المثقفون الى دراسة دينهم ، وان يتجه الذين يحاولون ارشـادهم — الى بيان الأدوار التاريخية التى مرت بدينهم ، والى ما أحدثته الجامع من احداث ، وكل حدث فى الدين هو بدعة فيه ، فان دراسة تلك الادوار تريهم الحقائق عارية ، وتكشفها لهم غير مستورة برسوم وطقوس كنسية او غير كنسية ، وقد حاولنا فى اثناء بحثنا أن نبين ان الوهية المسيح والوهية الروح القـدس فكرتان عرضتا على العقـل المسيحى ، ولم تكونا فى المسيحية الأولى ، وذكرنا السند التاريخى فى ذلك وانه لمسيحى خالص ، وانه بهـذه المحاولة نريد أن ندعو الذين يهمهم رد العالم المسيحى الى التوحيد — الى العناية بدراسة تاريخ المسيحية واعلانه لأهلها ، ونريد أن ندعو الذين يريدون نشر الاسـلام بين ربوع المسيحيين الى اعلان ذلك التاريخ ، فانهم ان دخلوا فى التوحيد ، دخلوا فى الاسـلام بأيسر مجهـود ، لأن الخطـوة التالية لا تحتاج الى أكثر من الاعـلام ، والحمد لله رب العـالمين .

(تم بحمـــد الله وتوفيقه)

ما يشـــتمل عليـه الكتـاب

٣ ـ افتتاحيـة الطبعة الثالثة ٦ ـ افتتاحية الطبعـة الثانية
٨ ـ افتتاحية الطبعـة الأولى ١٠ ـ تمهيد .

١٢ ـ المسيحية كما جاء بها المسيح عليه السلام

١٢ ـ المسيحية فى القرآن الكريم ١٣ ـ دعوة المسيح ١٤ ـ مريم والمسيح فى القرآن الكريم ١٦ ـ الحمل بالمسيح وولادته ١٧ ـ الحكمة فى كون المسيح ولد من غير اب ١٨ ـ بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته ٢٠ ـ الحكمة فى كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع ٢١ ـ ماتراه حكمة صحيحة ٢٢ ـ طغى اليهود لدعوته ٢٣ ـ مناواة اليهود له ٢٤ ـ نهاية المسيح فى الدنيا ـ المسيح بعد نجاته ٢٥ ـ موازنة بين المسيح فى القرآن الكريم والمسيح فى المسيحية الحاضرة .

٢٩ ـ المسيحية بعد المسيح

٢٩ ـ ما نزل بالمسيحيين من اضطهاد ٣٢ ـ اثر الاضمحلالات فى الديانة ٣٣ ـ الفلسفة الرومانية والمسيحية ٣٥ ـ الأفلاطونية الحديثة واثرها فى النصرانية .

٤٠ ـ مصادر المسيحية بعد عيسى عليه السلام

٤٠ ـ الاناجيل ٤٢ ـ الاناجيل لم يملها المسيح ولم تنزل عليه ٣٢ ـ انجيل متى ٤٣ ـ انجيل متى كتب بالعبرية ولم يعرف الا باليونانية وجهل المترجم ٤٥ ـ اثر جهل تاريخ التدوين والمترجم ٤٦ ـ انجيل مرقس ـ اللغة التى كتب بها انجيل مرقس وتاريخ تدوينه والاختلاف فيه وفى الكاتب ٤٧ ـ انجيل لوقا ٤٨ ـ من كتب لهم انجيل لوقا ، ولغته ، واختلافهم حوله ٤٩ ـ انجيل يوحنا ٥٢ ـ تاريخ تدوين هذا الانجيل وسبب تدوينه ٥٣ ـ ما يستنبط من سبب كتابته ٥٤ ـ هذه الأناجيل لم تنزل على عيسى عليه السلام ـ انجيل عيسى ٥٦ ـ اقوال علماء النصرانية فى انجيل عيسى ـ انجيل برنابا ٥٧ ـ برنابا ٥٩ ـ هل برنابا من الحواريين الاثنى

عشر ٦٠ — الكلام فى صحة تسمية هذا الانجيل ٦٢ — ترجيح صدق النسبة فى هذا الانجيل ٦٤ — قيمة انجيل برنابا من حيث ما اشتمل عليه — مخالفة انجيل برنابا لما عليه المسيحيون .

٦٨ — رســـائل رســـلهم

٦٨ — عدد الرســائل وكاتبوها ٧٠ — ترجمة يعقوب صـــاحب الرســالة — ترجمـــة يهوذا — ترجمـــة بولس ٧٤ — صـــفات بولس ٧٦ — كتب العهد القديم والاناجيل والرسائل كتبت بالهام فى اعتقادهم .

٧٧ — نظرة فاحصة فى الكتب

٧٧ — ما يجب ان يكون فى الكتاب الدينى من صـــفات ليكون حجة ٧٨ — تطبيق هذه الشروط على كتب النصارى ٧٩ — مناقشة ادعاء الالهام فى سفر الأعمال ٨٠ — الرسل غير معروفين ٨١ — لوقا صاحب سفر الاعمال لم يكن ملهما ٨٢ — دعوى الالهام ليست محـــل اجماع المسيحيين ٨٣ — دعوى الالهام باطلة ممن يدعيها ٨٤ — التضـــارب بين كتب العهد الجديد ٨٩ التناقض بينها مبطل لادعاء الالهـــام وبيان انكارهم لبعضها ثم اعترافهم به ٩٠ — انقطاع السند فى نسبتها لكاتبها ٩١ — مـــوازنة قس بين احاديث الرســـــول وكتبهم من حيث الرواية ٩٢ — بيان ما فى كلامه من زيف ٩٦ — نظرة فى الوحى فى الاسلام والوحى فى المسيحية — معنى الوحى .

٩٩ — النصرانية كما هى عنـــد النصارى وفى كتبهم

٩٩ — العقيـــدة ١٠٠ — عقيـــدة التثليث — التوراة والتثليث ١٠١ — الابن لا يعنى به الولادة البشرية فى زعمهم ١٠٢ — الثـــالوث اشخاص متغايرة ، وان كان وجودها متلازما ١٠٣ — لمـــاذا يحاولون الجمع بين الوحدانية والتثليث ١٠٦ — صلب المسيح نداء من الخليقة ١٠٩ — المســـيح يدين ويحاسب ١١٠ — تقـــديس الصليب ومقامـــه فى المسيحية ١١١ — عباداتهم ١١٤ — من شعائر المســـيحية — التعميد والعشـــاء الربانى ١١٥ — من تنظيم الأســـرة ١١٧ — منزلة شرائع التوراة فى المسيحية ١١٩ — تحليـــل لحم الخنزير مع تحريمه فى التوراة .

١٢٠ — المجـــامع المسيحية

تاريخهـــا — واسبابها — وقـــراراتها

١٢٠ — كيف وجدت فكرة جمع المجامع ١٢١ — المجامع العامـــة والمجامع الخاصة .

١٢٢ — مجمع نيقية : ٣٢٥

١٢٢ — سبب انعقاده العام ، الاختلاف بينهم فى شخص المســـيح ١٢٣ — الاختلاف الخاص الذى انعقد المجمع بعده — كلام اريوس — انتشار رأى اريوس وطرق محاربته ١٢٤ — تدخل قسطنطين وجمـــع مجمع نيقيا ١٢٥ — موقف قسطنطين من المتناظرين — انحيازه لرأى تؤلهى المسيح مع انهم ليسوا الكثرة — العقيدة التى فرضها المجمـــع ١٢٦ — قراءاته تؤيد رهبة الســـــلطان — النقد الموجه الى المجمـــع ١٢٧ — الرغبة والرهبة من السلطان لهما دخل فى القرارات — المجمع فرض لنفسه سلطانا كهنوتيا على النـــاس — امره بتحريق ما يخالفه ١٢٨ — قسطنطين يتدخل ذلك التدخل وهو لم يتنصر ١٢٩ — تلقى المسيحيين لقرارات المجمع — مجمع صور يرفض بالاجماع قرار مجمـــع نيقية ١٣٠ — ما يستنبط من هذا — نشاط الموحدين .

١٣٢ — المجمع القسطنطينى الاول سنة ٣٨١

١٣٢ — سبب انعقاده — عـــدد المجميـــع والطعن فى كـــونه عاما ١٣٣ — بطريرك الاسكندرية هو الذى يقرر الوهيـــة روح القدس — قرار المجمع يوافق رأى بطريرك الاسكندرية — نظرة فاحصة .

١٣٥ — مجمع افسس الاول سنة ٤٣١

١٣٥ — سبب انعقـــاده — النسطوريون ينكرون الوهية المســـيح ١٣٦ — قرار المجمع والاحتجاج عليه — انتشار النسطورية فى الشرق .

١٣٧ — مجمـــع خلقيدونية سنة ٤٥١

١٣٧ — كنيسة الاسكندرية تعلن أن المسيح اله قد اتحد فيه اللاهوت والناسوت وصارا طبيعة واحدة — طلب انسحاب بطريرك الاســـكندرية ورفض الطلب ١٣٨ — الشغب فى المجمع — قـــرار المجمع ان المسيح

له طبيعتان — الانشقاق ومداه . ١٣٩ — عدم اعتراف المصريين بقرار المجمع . ١٤٠ — المصريون يرفضون تعيين بطريرك على فى مذهبهم — يعقوب البراذعى ونسبة المذهب المصرى اليه ١٤١ — انفصال الكنيسة المصرية نهائيا .

١٤٢ — المجامع الباقية

١٤٢ — المجامع السابقة تقرر المسيحية الحاضرة — المجمع القسطنطينى الثانى وسبب انعقاده ١٤٣ — المارونية — مجمع القسطنطينية الثالث ١٤٤ — مجمع تحريم اتخاذ الصور ١٤٥ — انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية وسببه ١٤٦ — الكنيسة الغربية ام الكنائس ١٤٧ — المجامع اللاحقة كلها غير مسكونية الا فى نظر الكنيسة الغربية — محاولة تقريب بين الكنيستين .

١٤٩ — الفرق المسيحية

١٥٠ — الفرق التى ظهرت فى عصر التوحيد — فرقة اريوس ١٥١ — أصحاب بولس الشمشاطى ١٥٢ — دخول الوثنية على التوحيد — اتباع مرقيون ١٥٣ — البربرانية — نحل اخر ١٥٤ — ضياع التوحيد سبب تحريق الكتب .

١٥٦ — الفرق القديمة فى عهد التثليث

١٥٦ — فرقة مقدونيوس ١٥٧ — النسطوريون ١٥٩ — اليعقوبيون ١٦٠ — المارونية .

١٦١ — الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية

١٦١ — أسباب انقسام الكنيسة الى شرقية وغربية ١٦٢ — تقادم الزمن يوسع الخلاف ١٦٣ — محاولة ازالة الخلاف — انتقاد مسيحى للكنيسة الغربية ١٦٤ — بطارقة الكنيسة الشرقية — الاسلام يظل الكنائس الشرقية بالحرية الدينية .

١٦٧ — الفرقة الحديثة « البروتستانت »

أو الاصلاح الدينى

١٦٧ — حالة الكنيسة قبل الاصلاح .

١٦٧ — قسوة الكنيسة على الناس والعلماء ١٦٨ — غرض سلطانها على الملوك ١٦٩ — قرارات الحرمان تنال الملوك ١٧٠ — استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة — مسألتا الاستحالة والغفران ١٧١ — افراط الكنيسة فى استعمال حق الغفران ١٧٢ — صورة من صك الغفران ١٧٣ — سلوك رجال الدين الشخصى ١٧٤ — ابتداء الاصلاح ١٧٥ — دعوة بعض رجال الدين الى الاصلاح ١٧٦ — ابتداء الاصلاح من غير رجال الدين — الدعوة الهادئة ١٧٧ — النقد العنيف — لوثر ١٧٩ — ثورة لوثر على الكنيسة ١٨٠ — لوثر لم يرد هدم الكنيسة ١٨١ — زونجلى وأعماله ١٨٢ — كلفن واثره فى الاصلاح — انشاء كنائس للمصلحين ١٨٣ — أهم مبادىء الاصلاح ١٨٥ — عدم الرياسة فى الدين — ليس لرجل الدين الغفران ١٨٦ — عدم الصلاة بلغة غير مفهومة — رأيهم فى العشاء الربانى ١٨٧ — انكار الرهبنة — عدم اتخاذ الصور والتماثيل ١٨٨ — المسيحيون لم يسيروا فى منطقهم الى اقصى مداه .

١٨٩ — عقول مسيحية تنكر الوهية المسيح .

١٩١ — خاتمة .

١٩٢ — ما يشتمل عليه الكتاب .

مؤلفات فضيلة الامام الشيخ

محمـد ابو زهـرة

- خاتم النبيين (٣ أجزاء) .
- المعجزة الكبرى — القرآن الكريم .
- تاريخ المذاهب الاسلامية — جزءان .
- العقوبة فى الفقـه الاسلامى .
- الجريمة فى الفقه الاسلامى .
- الاحوال الشـخصية .
- ابو حنيفة — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- مالك — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- الشافعى — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- ابن حنبل — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- الامام زيد — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- ابن تيمية — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- ابن حزم — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- الامام الصادق — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- احكام التركات والمواريث .
- علم اصول الفقه .
- محاضرات فى الوقف .
- محاضرات فى عقد الزواج وآثاره .
- الدعوة الى الاسلام .

- مقارنات الاديان .
- محاضرات فى النصرانية .
- تنظيم الاسلام للمجتمع .
- فى المجتمع الاسلامى .
- الولاية على النفس .
- الملكية ونظرية العقد .
- الخطابة « اصولها . تاريخها فى أزهر عصورها عند العرب » .
- تاريخ الجدل .
- تنظيم الأسرة وتنظيم النسل .
- شرح قانون الوصية .
- الوحدة الاسلامية .

وتطلب جميعها من ملتزم طبعها ونشرها وتوزيعها

دار الفكر العربى

١١ شارع جواد حسنى بالقاهرة

ومن فروع التوزيع :

ص . ب ١٣٠ ت ٧٦٠٥٢٣ — ٧٥٠١٦٧

١ — **الفرع الرئيسى** : ١٦ شارع جواد حسنى القاهرة ت ٧٥٠١٦٧

٢ — **فرع الدقى** : ٢٧ شارع عبد العظيم راشد متفرع من شارع شاهين — الدقى ت ٧١٧٤٩٨ .

٣ — **فرع مدينة نصر** : ٩٤ شارع عباس العقاد المنطقة السادسة مدينة نصر .

رقم الايداع ٨٧/٨٧٥١

مطبعة عقل
٣٠ شارع العطار - جبرا مصر
ت ٩٤٢٠٨١

Bibliotheca Alexandrina
0396328

الفرع الرئيسي

١٠٦ شارع جواد حسني - القاهرة

ت : ٣٩٥٠١٦٧

فرع مدينة نصر

٩٤ شارع عباس العقاد - المطلة الدائرية

فرع الزقازيق

٢٧ شارع عبد العظيم أنيس - متفرع من

شارع الكنور شالمين - بالمحمودية

ت : ٧١٧٤٩٩

مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطبع والنشر والتوزيع

[illegible]

بجوار المقاولون العرب، ميدان [illegible]

ت : [illegible]